

علياء عليّ أفضل

مكتبة ياسين

هل

"تناول مختلف"
كلير ماكينتوش

"دافئة مسلية"
لورا مارشال

أكذب

"مبهجة"
كوسموبوليتان

"سخرية بارعة"
صوفيا كينسيلا

"تغمر القلب"
جينيفر سانت

"إدمان"
تميمة أنام

عليك؟

ترجمة: أنور الشيخ

الهامون
نشر والتوزيع

كتابات ياسين

◀ الكتاب: هل أكذب عليك؟

◀ المؤلف: علياء علي أفضل

◀ التصنيف: رواية

◀ الناشر: دار ملهمون للنشر والتوزيع

◀ ترجمة: أنور الشيخ

◀ الطبعة الأولى: يناير 2024

◀ التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام
التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

ISBN:

◀ الرقم الدولي المتسلسل للكتاب:

MC-

◀ إذن طباعة:



مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

◀ الطباعة: AL MASAR PRINTING

   darmolhimon

 www.darmolhimon.com

 0097165551184

 SILICON OASIS, 20TH
FLOOR (SIT TOWER) -
OFFICE 2004, Dubai, UAE

نُشر لأول مرة في Head of Zeus Ltd في المملكة المتحدة عام 2021.

حقوق النشر © علياء علي أفضل، 2021

تم التأكيد على الحق المعنوي لعليا علي أفضل بعد ثبوت أنها مؤلفة هذا العمل وفقاً لقانون حقوق النشر والتصميم وبراءات الاختراع لعام 1988.

كل الحقوق محفوظة؛ فلا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام استرجاع، أو نقله بأي شكل أو وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالنسخ الضوئي أو التسجيل وما إلى ذلك دون إذن مسبق من كل من مالك حقوق الطبع والنشر، والناشر أعلاه.

العمل خيالي، وجميع الشخصيات والمنظمات والأحداث المتجسدة في هذه الرواية هي إما من نسج خيال المؤلف، وإما من إضفاء المؤلف سمة الخيال عليها.

8 6 4 2 1 3 5 7 9

سجل فهرس هذا الكتاب متوفر في المكتبة البريطانية.

ردمك (HB): 9781800245662

ردمك (XTPB): 9781800245679

رقم ISBN (E): 9781800245693

تنفيذ Divaddict Publishing Solutions

Ltd

طبع وجمع في بريطانيا العظمى بواسطة CPI
Group (UK) Ltd, Croydon cr0 4yy

Head of Zeus Ltd

أول طابق شرقي، 8-5 شارع هاردويك لندن ec1r
4rg

www.headofzeus.com

هل أكذب عليك؟

أجيزث /علياء علي أفضل / في اللغتين الروسية والألمانية من جامعة (UCL) ثم تولت منصب التدريب المهني لطلاب الماجستير في إدارة الأعمال التطبيقية في لندن، وإبان مساعدتها عملاتها في اقتفاء أحلامهم ومسيراتهم المهنية، قررت أن تأخذ بنصيحتها الخاصة في أن تصبح كاتبة؛ وها هي تسعى اليوم إلى الحصول على درجة الماجستير في الكتابة الإبداعية في (Royal Holloway)، وهي أصلاً من خريجي (Curtis Brown Creative)، وقد زشح كتابها لجائزة (Bath Novel Award)، ومسابقة (Mslexia Novel)، وجائزة (Mo Siewcharran) وجائزة (Primadonna). عاشت عليا حياتها كلها في لندن إذ تركت باكستان طفلة.

إلى أمي، وأبي، وعِرفان.

تمهيد

سبتمبر

لمع طيف وجهها في رأسه.

سار إلى أن بلغ نهاية شرفة السطح، ورنأ قبل المشهد مغلقاً عينيه قليلاً في حضرة الشمس. كانت أيقونات المدينة - شارد وجيركن وسان-بول - ينتصبن شامخات على طول الأفق انتصاب الحرس، فأنجذبت أنظاره كعادته نحو مختلف المكاتب التي عمل فيها على مر السنين، أما القطارات المتقلصة فكانت تشق طرقها عبر الأخاديد البالية لتتعانق عند ذرى المحطات ابتغاء التقاط أنفاسها، فيسارع الناس إلى الأرصفة من دون أن يقصدوا أية وجهة.

تشبث بحاجز يحفّه الزجاج لينظر نحو الأسفل. لن يستغرق الأمر منه إلا ثانية حتى ...



قبل خمسة أشهر - أبريل

إن آخر ما تحتاجين إلى سماعه وأنت تنتظرين حقنة البوتوكس في عيادة هارلي ستريت هو أن يكون زوجك على وشك فقدان وظيفته.

كانت تلك أول حفلة بوتوكس بالنسبة إلي، رغم أن الأمر بدا أقرب إلى رحلة تعليمية ميدانية لأمهات طلاب الصف الثاني عشر، ولذا، رحت أتساءل فور دخولي العيادة ما إذا كان من الحكمة حضورها، لكن إثارة ليزي بدأت تتملكني. صحيح أنني لاحظت أنني السمرء الوحيدة هناك، لكنني اعتدت الأمر، وخاصةً مع تلك المجموعة، وهنا حاولت التجلي في روح الأشياء والجمادات مذكرة نفسي أن الأمر لا يتعلق بالبوتوكس وحده، بل بقضاء بعض الوقت مع صديقاتي أيضاً، فلم أكن أريد أن أكون الشخص الغريب. تصفحنا قائمة «تحسينات» الوجه، ضاحكات على خيارات مثل: «الإغراء» و«ديفا» و«عارضة الأزياء»، فهممت أن أقول مازحة: أليس هنالك ما يسمى «عادي»؟ لولا أن توم اتصل بي فقال:

-لقد تلقينا للتو بريداً إلكترونياً من الرئيس التنفيذي يقول فيه: «بسبب المناخ الاقتصادي الحالي، يقوم البنك بإعادة هيكلة عاجلة. لقد قاموا

بتسريح نصف فريق لندن، وبوب يدعونا إلى مكتبه
تباعاً. مسؤول الموارد البشرية موجود هنا أيضاً.

- اللعنة ...

نهضت قاصدةً نهاية غرفة الانتظار، فوقفت ليضي
في طريقي وهي تبسم قائلةً:

- أهلاً بك في النادي يا فائزة! إنها أول مرة لك هنا!

ورفعت - كأننا وكورا وببلا الواقفات وراءها، كوباً
من عصير الكرنب البارد المضغوط، فابتسمت
تلقائياً، وأشارت إليهن بإبهام الموافقة. على الهاتف،
كان توم لا يزال يحادثني قائلاً: إن الأمن قد أفرغ
للتو ثلاثة مكاتب من نقابيهها. همست للضي
معتذرة، وأشارت إلى هاتفي، واندفعت نحو النافذة،
مبتعدةً عن الآخرين، فقلت:

- كيف لهم أن يفعلوا ذلك؟ وهل أنت بخير، يا
حبيبي؟

- أنا بخير. لا تقلقي! كان يكلمني عبر هاتف مكتبه،
أردف قائلاً: أنا متيقن أنني باقي، فقد أنجزت كل
أهدافي هذا العام، وأنا على وشك إنجاز صفقة ساو
باولو تلك. توقف عن الكلام لبرهة قصيرة، ثم تابع:
لن أسمح لهم بطرد أي عضو في فريقتي؛ فهم شبان
رائعون جميعهم، وقد عملوا بجد.

وظل يتحدث مسرعاً متفانلاً يسرد لي الأسباب
التي تخوله الاحتفاظ بوظيفته، فقال في تلك
الدقائق القليلة ما لم يقله خلال أسبوع، فلما كرهت
أن اتخيله وحيداً في مكتبه الكائن فوق رويال
اكستشانج، أزمعت الإسراع إليه. لا بد أنهم

سيسمحون لأفراد أسرته بالحضور إن كانوا على وشك أن يطردوه، تماماً كتعاملهم مع الأخبار السيئة الأخرى مثل إخبار أحدهم بإصابته بمرض رهيب.

شئت قشعريرةً طريقها على طول ذراعي، وعلمت أنه لم يكن ينبغي لي الحضور إلى هنا، وكان الأجدري أن ألتزم بالميزانية. صحيح أنني حاولت تجلب الأمر، والتمست عذراً عن عدم الحضور في آخر مرة دعنتني فيها ليزي، لكنني بت أضيقتُ ذرعاً بجبيني المتغضن حين أقارنه بجباه صديقاتي الناعمة، بل رحث أجد أن من الوقاحة أن أدخل بذلك الجبين منازل الناس، تماماً كخروجي من دون تنظيف أسناني؛ ولكنني شعرت بالذنب رغم ذلك كله، فقلت:

- حبيبي، أنا على ثقة من أنك ستكون ...

- لدي اتصال. علي أن أذهب.

وانقطع الاتصال.

ولقا عدت إلى الحفلة، مَدت أنا لي طبقاً من الكعك الأسمر، وقالت:

- خذي قطعةً يا فايضة. ألا ترغبين أن تحضري درساً في فن التبرج؟ هنالك فنانة ماكياج تقدم عروضاً لذلك.

هزئت رأسي، وقلت:

- أنا أسفة، لكنني مضطرة للعودة إلى المنزل.

- لماذا؟ هل كل شيء على ما يرام؟ لا يتعلق الأمر بأحد والديك. أليس كذلك؟

- «لا. لا. هما بخير. شكراً لاهتمامك. ليست أكثر من حالة طارئة تتعلق بالسباكة، لكنني مضطرة إلى الذهاب... انسابت تلك الكلمات على شفتي بسهولة.

-التقطت حقيبتني، فوقع هاتفي على الأرض، وكان علي استعادة أموالني قبل المغادرة فهرعت إلى مكتب «بواب العلاج» عند الزكن، وقلت:

- أنا أسفة حقاً. لم يعد في مقدوري تلقي العلاج اليوم، فقد أتلّف عمالي أنوباً في مطبخي فغمرته المياه، وكان عليهم الاتصال بإدارة الإطفاء.

كان ذلك في الواقع قد حدث العام الماضي، وكان في مقدوري أن أدعي مرض أبي أو أحد الأطفال، بيد أنني خفت استجابة القدر.

- لا عليك! قالت موظفة الاستقبال. سأقوم بشطب اسمك من القائمة. حظاً موفقاً!

راحت تنظر إلى الأوراق فوق مكتبها، بينما وقفت حائرة حيال ما سأفعله، ثم أشهرت بطاقتي الائتمانية قرب شعرها الأشقر، وقلت:

- معذرة... هل لي باسترداد الأموال؟

نظرت نحوي، وابتسمت لي مقببة حاجبيها، وقالت:

- أنا أسفة حقاً؛ لكننا نفرض غرامة نسبتها ١٠٠٪ للإلغاء يتم قبل أقل من ٢٤ ساعة. إنها سياسة العيادة.

فتحت فمي لأجادل، لكنني لم أجد ما أقوله. كانت غرفة الانتظار المزدحمة هادئة خلفي، فأطرقش،

وغدا وجهي ساخناً، وقالت:

- لم لا تدخلين للعلاج وحسب؟ لم تنتبني رغبةً في استلطاف صوتها. نستطيع إخراجك من هنا في غضون عشرين دقيقةً.

- يمكنك الدخول قبلنا يا فائزة. قالت ليّزي.

- وقفت الممرضة في المدخل تتفحص أجندتها، فقالت:

- يمكننا تولي أمرك الآن يا فائزة. تعالي معي.

كنت أراوح بين الطاولة والباب أحدث نفسي. لم يحدث شيء بعد. أليس كذلك؟ لا حاجة لافتراض أسوأ السيناريوهات. رفضت أن يكون تفكيري مثل تفكير أمي التي كانت حينها ستدفع المشهد نحو نهاية كارثية فيطرد توم، ثم يصاب بنوبة قلبية، فيسلب منا بيتنا، وننتقل جميعاً إلى عقارٍ سكنيٍ خرساني في ضواحي لندن، ثم يكبر الأطفال ليصبحوا أعضاء في عصابة مسلحة بالسكاكين! ستكون على بساط صلاتها تبتهل إلى الله أن يرأف بابنتها وأحفادها، وأن ينجي زوج ابنتها.

تبعث خطي الممرضة في الردهة قابضةً على ياقة معطفي، فسمعت نفسي أرد على تعليقاتها المتعلقة بالطقس والإضراب في مترو الأنفاق، ثم تفقدت هاتفي المحمول للتأكد من أن الجرس لا يزال قيد التشغيل. لم يكونوا في وارد تسريح توم. لقد كان متوتراً أول انضمامه إلى البنك، لكني سمعت منه على مدار أشهر نبذات ومقتطفاتٍ عن «مزارع تعتمد على طاقة الرياح، وقيمتها مليون دولار»، وعن «مشاريع طاقة شمسية في البرازيل»، وعاد مجدداً

لنوم صحيح لا أرق فيه بعدما راحت الصفقات تتوالى.

استلقيث على كرسي العلاج، وبدأت قدمي تهتز،
فقالت الممرضة:

- هل أنت متوترة؟ اسمحي لي أن أضع لك بعض
كريم التخدير.

ومرغث جبهتي بهلام متجمد، فارتجفت ووددت
لو يتسرب إلى دماغي أيضاً. اجتاحني خيال
توم، وتخيلت أنه يدخل الغرفة ليتلا مصيزه على
مسامعه، فيحاول بقلب نابض في منتصف عمره أن
يبدو هادئاً في حوض أسماك كروي مفتوح يضخم
كل المشاعر في عيون من يشاهدون العرض.

- «سيبدأ مفعوله في السريان قريباً»؛ قالت.

ابتسمت الممرضة وخلعت قفازيها، بينما واريث
بسبابتني الدموع في زوايا عيني متظاهرة بإزاحة
رمش أو شيء من الغبار. لم أكن هناك من أجل
رفاهية نفسي فقط، بل كنت أفترض أن حقنة
البوتوكس تصلح لقاحاً لعلاقتي ضد بكتيريا الزواج:
تلك الفيروسات التي توهن عادة الزواج المديد:
كفيروس الزمان والمال وشقاوة ثلاثة أطفال
وأربعة آباء واجتماع ثقافتين، فلم أكن في حاجة
لإضافة عنصر آخر إلى هذه القائمة بأن «أسمح
لنفسي بالذهاب»، وأراه يمضي مع أخرى كما حدث
لصديقنا أماندا وجوناثان، وكما قالت ليزي: «يصبح
الرجال ثعالب فضية، أما النساء فيغدون فضة
وحسب».

كانت أعلى معدلات الطلاق من نصيب من هم

في الأربعينيات من العمر. لم أجرؤ على البحث في غوغل عن الإحصائيات الخاصة بزوجين مختلطي الأعراق. كان علي دائماً أن أسعى جاهدةً لأكون فاتنةً، وأن أزيد من جهدي كلما تقدمت بي السنور؛ ولذا فإن الإحجام عن استخدام البوتوكس سيكون بمثابة ادخارٍ وتوفيرٍ في غير محله على المدى الطويل.

دخل الدكتور كيرتس بوجهٍ محايدٍ لا يفصح عن عمره، وشمرةً تبرز انحداره من وراء الأطلسي. رن هاتفي، فقلت:

-أسفٌ جداً دكتور. علي أن أرد على هذا الاتصال.

-وهربث إلى الرواق، فقال توم:

-لقد تم تسريحني إذ باتت إعادة الهيكلة ملزمةً بسبب الخسائر في عموم أوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا، فلم يعد في استطاعتهم الاحتفاظ بأكثر من قائد فريقٍ واحدٍ فقط، وقد احتفظوا بمات.

وأعاد علي مسامعي حديث الموارد البشرية الذي لا بد أنهم كرروه له، ثم أضاف:

-عزيزتي. أنا أسفٌ جداً.

كنت أرغب في أن أضمه بين ذراعي، فقد ظلموا توم بصنيعهم ذاك، فهو لم يرتكب أي خطأ. رحث أسير في الردهة، وأضغط الهاتف على أذني، فقلت له:

-اسمع. سيكون الأمر على ما يرام.

لكن الأفكار انفجرت في رأسي كالقنابل اليدوية

رغم تبجّحي اللفظي. كيف لتوم أن يتعامل مع
فقدانه وظيفته؟ كم من الوقت سيستغرق للعثور
على وظيفة جديدة؟ كانت صوفيا في منتصف
المستوى «A»، ولم نتمكن من إخراجها من مدرسة
بروكوود الثانوية، أما أحمد فقد استقر أخيراً في
مدرسته الجديدة، ولم أستطع نقله مجدداً بعد العام
الذي مضى، فقلّت:

- ستجد وظيفة أخرى.

- لست متفائلاً بذلك، فالسوق يعاني الركود.

- ما التعويض الذي سيقدمونه لك؟

كان من المهم أن نعرف مقدار مدخراتنا.

- لا شيء سوى راتب شهر واحد.

- ولكنّ ذا مستحيل! ألم يكن من المفترض أن
تحصل على راتب ثلاثة أشهر على الأقل؟ ثم أين
هي مكافأتك وتأمينك الصحي؟

كانت تكاليف علاج أحمد قد دفعت عن طريق
التأمين. هنا جلسنا على كرسي في الردهة، واتكأنا
على الحائط.

- كل ما نلّته هو شهر واحد فقط؛ وذا بناءً على
العقد الذي وقعته، تذكرني ذلك. كما أنه لا حقّ لي
في مكافآت أخرى، فالبنك وفق ما يقولون لم يحقق
ربحاً كافياً.

- بيد أن لدينا مدخرات. أليس كذلك؟ هل سنكون
بخير؟

لقد اهتم بكل ذلك.

-لقد استنزفت مدخراتنا في دفع الرسوم المدرسية، ففدنا الحساب فارغاً تقريباً. كنت أنوي ادخار مكافأتي الشهر المقبل.

مكثنا أشهراً نخطط لاستثمار تلك المكافأة التي تبخرت بين عشية وضحاها.

- لا تقلقي يا فايضة. قال وهو يصغي إلى صمتي: ما زلنا نملك صندوق الطوارئ الذي لا شك في أنه سيضمن استمرارنا ريثما أجد عملاً آخر.

صندوق الطوارئ.

دارت بي الردهة، فتشبثت بمساند الكرسي خوفاً من السقوط، وانحنيت قدماً مسندةً مرفقي إلى ركبتي وأنا أمسك الهاتف بقوة. صوّب نظري نحو نمط الماس الأزرق والأصفر المنقوش فوق السجادة، وأحصيت المربعات الزرقاء الصغيرة بين نعلي حذائي العاجي المصنوع من جلد الغزال.

- «نعم. طبعاً». تحاملت على القول أخيراً.

لم أكن متأكدةً من مقدار رصيدنا في هذا الحساب، فقد انغمست فيه لأشهر وأكثر ربما، فمن مصروفات حفلات أعياد الميلاد إلى الرحلات المدرسية، وسيارات الأجرة، وخدمات التوصيل، والهدايا، والأثاث، ووجبات العشاء، وتذاكر الحفلات الموسيقية، والملابس، ومصروفات الجيب، ومُدبرة منزل أمي أبي، وبار لينغو، وحفلة البوتوكس ... كانت كشوف الحسابات المصرفية مطوية قابعة في «مجلد المستندات» الذي كان حقيبة أحذية قديمة

من ماركة ل.ك بينيت، والمركون في الجزء الخلفي من خزانة ملابسي.

كان من الأسهل ألا أحس بحجم إنفاقي، وكانت خطتي لسداد هذا المال تتلخص بالعثور على وظيفة ما في يوم يكون فيه أليكس أكبر سناً، ولم أتخيل قط أننا سنحتاج إلى تلك الأموال قريباً، إن حدث ما حدث. ومع ذلك، لا يمكن أن أكون قد أنفقت كل هذا المقدار من المال. ربما كنت قلقة من دون داع.

-أنت بخير؟ سألت.

كان هذا ما يهمني حقاً، فهو لا يستحق أن يُطرد بسبب محادثة مدتها خمس دقائق مع رئيس أصغر منه بعشر سنوات. كان يجب أن يكون في أمان الآن، فهي الخطة التي سعى إليها بجد، وضحي لأجلها خمسة وعشرين عاماً.

-لقد أخذوا هاتفي، فلن أتمكن من الاتصال بك حتى أصل إلى المنزل. أين أنت؟

-في بيتر جونز. خرجت الكلمات من فمي من دون قصد مني إذ لم أستطع إخباره أين كنت فعلاً. أنا ذاهبة إلى المنزل أيضاً.

لوحث لي الممرضة أن أسرع، ثم قلت لتوم: «أحبك!»، لكنه كان قد أنهى الاتصال.

أحالتني الممرضة إلى الطبيب، ولما غُرزت الإبرة في جبهتي، تساءلت عما سيفكر فيه توم لو رأي هنا، فانسابت من عيني دمعاً، واعتذر الطبيب عن إيلامي.

خرجت من العيادة وتخرجت وسط الحشود المتزاحمة في شارع أكسفورد، فتفاداني راكب دراجة بينما كنت أعبّر الشارع، وظلت عبارته «عاهرة غبية!» تدوي في أذني حين كنت أنزل السلالم المتحركة، ثم قفزت عبر أبواب مترو الأنفاق في أثناء إغلاقها.

من واترلو اتخذت قطار ويمبلدون، وأسندت إلى النافذة رأسي. كان كل شيء على ما كان عليه في ذلك الصباح، فعين لندن تطل من وراء جدار المحطة بارزة في سماء رمادية باهتة، والناس المعتادون يجلسون حولي يقرؤون في مترو الأنفاق وكأن شيئاً لم يكن. وددت لو أرسل لتوم رسالة نصية لأطمئن عليه، لكنني عدت أية وسيلة للاتصال به، فزحّحت أحاول في ذهني إحصاء ما أنفقته، غير أنني عجزت عن ذلك، فبعد تجنبني وإهمالي فواتير أشهر عدة، لم أستطع الانتظار ثانية أخرى لمراجعتها، وكان عليّ بلوغ المنزل قبل توم.



كان قد وصل قبلي.

ألفيته على مائدة الطعام تحت ثريا مورانو، فكان منكباً على الكمبيوتر المحمول يتصفح موقع الويب «E-Financial Careers». كانت سترته الزرقاء موضوعة على كرسي غرفة الطعام، وأكمامه تتدلى على الأرض مثل الجثة، وكانت ربطة عنقه الحريرية الصفراء ملتفة ككرة، ولقا أحس بحضوري بقي على حاله فلم ينهض أو يلتفت، فطوقته من خلفه بذراعي وانكبث عليه، وضغطت بخدي على خذه، وبجلدي على جلده، قابضة على خصلة من لحيته، فانزلقت يدي على ساعديه حتى استراحتا هناك، ثم قلت:

- يبدو هذا مبشراً.

كانت هنالك قائمة طويلة من الوظائف على الشاشة، فأجاب:

- لقد تقدمت فعلاً إلى بعضها، وسأتصل بجون وتيغ والطاقم القديم. لقد وصلت إلى دور ديفيد في نومورا، وأنا متأكد من أنه سيساعدني.

وانحنيت ألثم عنقه بين ياقته وشعره ناسية أن علي أن أبقي رأسي مرفوعاً بعد البوتوكس. تراخى كتفاه، والتفت إلي فجذبني إلى حجره، فرايت تحت

عينيه هالات زرقاء إذ قال:

- لا يعرف ستيفانو كيف يخبر زوجته بما حدث،
فقد أنجبت طفلاً مؤخراً، واشتريا قبل بضعة أشهر
منزلاً جديداً.

- مسكين! تنهدت وقبّلت جبينه.

نهض، وطوقني بذراعيه، كان علي أن أخبره بما
أجذ من دفء في يديه، وراحة في رُقّة عينيه
الصافيتين الوادعتين. نظر إلي وقال مبتسماً:

- لا أريدك أن تدعني لأية نوبة قلق. اتفقنا؟ سيسير
كل شيء على ما يرام.

- ما هذا التشاؤم والكآبة كلهما في «السوق
الميت»؟

- حديثك يسبب الصدمة. سأعنى بك كما فعلت
دائماً. أليس كذلك؟ لقد ضربت ليوم غد موعداً مع
وكيل التوظيف.

ارتيميث في أحضانه، فشعرت من خلال نبض
قلبه تأكيداً لتفاوله، فعاودت التنفس بسهولة أكبر
حتى زامنت أنفاسي أنفاسه. رغم طوله الذي يفوق
طولي البالغ ستة أقدام، وجسده القوي الذي لا
يزال يحتفظ بذاكرة عضلية إذا ما قورن بجسدي
النحيف الرقيق، إلا أننا كنا متناسبين معاً تماماً. كنت
كلما أتخيل أسوأ السيناريوهات، مثل تسونامي أو
الحرب النووية، أو أن أموت جزاء السرطان أو حتى
الشيخوخة، أعرف يقيناً أنه ما دام توم يحملني بين
ذراعيه، فلن يكون الأمر بهذا السوء. أحكم ذراعيه
حولي، وقال:

- قد يستغرق بحثي عن وظيفة جديدة وقتاً أطول، هذا كل ما في الأمر؛ لكننا نذخر ما يكفي لفواتير الشهر المقبل، وبعد ذلك يمكننا استخدام صندوق الطوارئ.

تسمرت، وجاهدت للحفاظ على ليونة عضلاتي وثبات أنفاسي، وعددت إلى المئة قبل أن أخرج من دون إثارة شكوكه، وما إن عاد إلى الكمبيوتر حتى ذهب إلى غرفتنا.

أغلقت الباب وربت على واجهة خزانة ملابسني التي تبلغ السقف ارتفاعاً، ثم فتحتها وركعت على ركبتني، وسحبت من تحتها صناديق أحذية من الورق المقوى، ثم دفعت بيدي إلى الجزء الخلفي من الخزانة، حتى اضطررت إلى الاستلقاء على الأرضية الخشبية الباردة تقريباً من أجل الوصول إلى الداخل. كانت أصابعي قد طالت للتو حافة حقيبة الأحذية القطنية فالتقطتها لولا أنني سمعت توم يناديني:

- والدتك تتصل.

لقد نسيث أُمي وأبي، فرددت:

- ثانية واحدة!

دفعْتُ كل شيء بعيداً، ونزلت السلالم سعياً إذ كان من المفترض أن اصطحب أُمي وأبي إلى توتينغ لشراء ثلاثة مملوءة باللحم الحلال، وكيس أرز. كان في مقدورنا شراء كل هذا من السوبر ماركت المحلي في نصف الوقت وضعف السعر، وهذا غير منطقي ولا مقبول بالنسبة إليهما.

- «إنني أعاني من نزلة برد خفيفة، أمي، ولذا عدت إلى المنزل باكراً»، قال توم.

كانت تلك حيلته، فأومأ له براسي وهو يسلمني الهاتف لأريه أنني فهمت، فقالت أمي:

- السلام عليكم حبيبتي. كنت قلقة جداً. خشيت أن تتعرضي إلى حادث؛ فلم أرغب في الاتصال بك وأنت تقودين سيارتك.

- وعليك السلام أمي. أنا أسفة! كان علي الاتصال بك، لكن توم عاد إلى المنزل فنسيته تماماً.

فكرت في والدي اللذين ينتظرانني على الأريكة في غرفة التلفاز، وقد ارتديا معطفيهما السماويين مقدماً، وعكاز أبي في يده، فلم أعرف كم من الوقت عليهما البقاء على هذه الحال، فقالت أمي:

- كنت في حاجة كذلك إلى أن تحضري لي دواء «وارفارين» خاصتي، فقد أصاب كما تعلمين بجلطة دموية إن فأتتني جرعة منه؛ لكنني لا أريدك أن تتركي توم وهو مريض. أهو محموّم؟ اصنعي له عسلاً بالليمون وفلفل أسود، واصنعي له من بعض أجنحة الدجاج قليلاً من الحساء أيضاً؛ وضعي فيه الكثير من الزنجبيل والثوم. هل تريدان أن أفعل ذلك بدلاً عنك؟

- شكراً أمي. توم بخير. إنها نزلة برد فقط، ولذا سأتوقف عند الصيدلية وأنا في طريقي لاصطحاب الأولاد، وسأوافيك «بالوارفارين» قبل موعد جرعتك في الساعة التاسعة.»

يمكنني ارتياض الصيدلية إن غادرت فوراً، ولكن

الوقت سيفوتني للتحقق من الأوراق. لم يكن لدي خيار أخز، فكان على البيانات أن تنتظر.

بعد العشاء، قمث بإعداد فطائر التوت الأسود للحلوى، وهو تقليد دأبت عليه عائلة سوندرز في وجبات إفطار أعياد الميلاد وغداء يوم الأحد. تناولنا طعامنا أمام التلفاز ونحن نشاهد حلقة من مسلسل فريندز. جلسث أنا وتوم على الأريكة، أما أحمد الودود ابن الثانية عشرة عاماً، والذي كان إلى جوارى، وقد برزث ركبته المتسخة بسبب كرة القدم من سروال لعبة الروكبي القصير، فقد ارتمى فوق ساقى؛ بينما كان أليكس ابن الأعوام الستة منكباً برأسه الطفولي الأشقر ينقل قطعاً صغيرة من الفطيرة في قاطرات توماس الخشبية فوق أرضية من خشب البلوط الداكن، وراح يصدر لكل محرك صوتاً مختلفاً؛ أما صوفيا، فكانت متحمسة لرحلتها المدرسية إلى برشلونة. كانت تنأى بنفسها عنا، وتجلس متكورة على كرسي مجوف سماوي ذي ذراعين، ليكون حاسنها المحمول المفتوح درعاً إضافياً.

علقت الفطيرة في حلقي حتى كافحت لابتلاع كل قضمة منها. ترقبت فرصة للابتعاد من أجل التحقق من البيانات.

- «أمي!»، لوحث لي صوفيا بهاتفها. «لماذا نتناول الفطائر اليوم؟»

شعرث بتوتر جسد توم حين أضافت:

- هل ستطلفين؟ هذا لطمانتنا قبل أن نخبرينا؟

- «هل فزنا باليانصيب؟»؛ سأل أحمد وهو يقفز على ركبتيه على الأريكة.

تفحصتني عينا صوفيا البنيتان بأهدابهما المشبعة بالكحل الأسود الأنيق، ومكثت تنتظر الإجابة، وهي تقضم طرف إبهامها الذي غار نصفه في فمها. كان شعرها البني الداكن المتشكل من مزيج دقيق بين شعر بني فاتح وآخر أسود قد انساب على شكل موجات بلغت خصرها. لقد بدأت مؤخراً في استعمال أحمر الشفاه، مما جعلها تبدو كأنها صوفيا لورين صغيرة، لكنها ذكرتني باليوم الذي تسلفت فيه إلى غرفتي وهي في الثالثة لتزين وجهها وتزين الجدران والنوافذ وحاسبي أيضاً بواحد من أقلام أحمر الشفاه. انحنى أحمد إلى الأمام ساهماً ولم يزد على ذلك شيئاً. كانت عيناه الزرقاوان ساطعتين متلذذتين بفكاهته؛ فكان يشبه توم، لكن بشرته وشعره كانا أغمق. لقد طال انتظاري لرؤيته مجدداً على هذه الحال ضاحكاً مرتاحاً، وتمنيث لو أن ذا يدوم، فقلت:

- يا إلهي ما أوسع خيالكما! لا. لا طلاق لحسن الحظ، كما لم نفز باليانصيب للأسف! نحن نحتفل لأن أباكم سيبدأ مشروعاً جديداً، وسيعمل من المنزل لبضعة أسابيع وسنراه كثيراً. أليس ذلك رائعاً؟

شعرت صوفيا وأحمد بالاشمئزاز عندما أسندت رأسي إلى كتف توم، وانساب أصابعي في يده التي قبضت على يدي بقوة فجعلتني أسكر؛ يده التي لطالما فعلت ذلك منذ أن تشابكت أيدينا لأول مرة على منصة في محطة مترو بيكاديللي سيركس قبل

واحد وعشرين عاماً، فواساني بها عند كل مرض،
وكل هم، وكل يوم عصيب؛ ولم يخذلني قط.

- «طارئ! طارئ!» عبس أليكس لانقلاب القطار،
وصفع جبهته بيده الصغيرة.

نزل توم على الأرض، وانحنى فوق سكة القطار
المزدوجة البالغة ستة أقدام، وأصلح القطعة التي
سقطت، فرفع أليكس لوالده أصابعه الخمسة عالياً،
ثم التقط عن الأرض بعض الفطيرة ودفعها في فم
توم كمكافأة، فأكلها توم بابتسامة، وهز رأسه عندما
التقى نظره بنظري.

أمسكت بمفاتيح سيارتي وأنا أثناء، وقلت:

- من الأفضل أن أجلب الأدوية.

- «سأوصلك بالسيارة.»؛ قال توم.

في السيارة التزم الصمت؛ فالتفت إليه، وقلت:

- هل أنت بخير؟

لم يجب؛ بل قُطِبَ حاجبيه كعادته حين يقلق.
أردت أن أعيدهما كما كانا، وأن أقبل خده كي
يسترخي، فقلت:

- انظر إلى الجانب المشرق من الأمر، فعلى الأقل
بث تعلم الآن أنني لست معك من أجل أموالك.

ضغطت على فخذه وابتسمت، لكن تعابيره لم
تتغير، بل قال:

- معك حق؛ فأنا لم أمنحك الملايين. اليس كذلك؟

لا بد أنك تزوجت المصرفي الخطأ.

كان مزاجه سيئاً عندما ابتعدنا عن المنزل، فقلت:

- حسن؛ أولاً أنا لم أتزوجك لأنك مصرفي، وثانياً،
لقد منحتنني الكثير، فشكراً لك.»

ثم أمسكت بيده، وأردفت:

- كل ما هنالك أن حظك خذلك، وهو أمر يتساوى
فيه كثير من الناس؛ فلا تظن أن مسرحية «يا لي
من مسكين!» قد تنجح معك! لا أظنك مفصلاً من
عمله يسعى إلى ملاطفة غرامية. أليس كذلك يا
سيدي؟

- «الأمريستحق المحاولة.» قال بنصف ابتسامة
ارتسمت على وجهه.

استرخيت على مسند الرأس، فقال:

- علينا أن نقتصد في نفقاتنا الآن يا فايضة. لم
أكن أعتقد أنك ستحترمين ميزانيتنا، لكنك كنت
عبقريّة؛ والآن علينا أن نرى كيف لنا أن نزيد من
توفيرنا.

أظهر استخدام بطاقة الائتمان انضباطاً مثالياً من
جانبني لأنني دفعت الزيادة من الحساب الآخر. لكنه
كان محقاً في أننا في أزمة، ولذا علي أن أتوقف؛
فقلت:

- نعم يا حبيبي. بالتأكيد.

- هل لك أن تعطيني كشوف حساب الطوارئ
عندما نعود إلى المنزل؟ أريد تحويل هذه الأموال

إلى حسابنا الجاري بما يكفل تغطية جميع عمليات السحب. لا بد أن لدينا مدخرات تكفيها لستة أشهر، وربما لثمانية.

- حقاً؟ لا فكرة لدي.

- حسناً.

- لقد مضى بعض الوقت على إنشائي جدول بيانات لهذا الحساب. ستكون الموازنة دقيقة، وسأتحقق من ذلك عندما أصل إلى المنزل، ثم سأضع ميزانية شهرية لنرى إلى أي مدى يمكننا أن نمضي.

كان صندوق الطوارئ الحساب الوحيد الذي يستحوذ على عنايتي، فقد قام توم قبل بضع سنوات بتحويل الأموال إلى حساب جديد بسعر فائدة أفضل، وكان في جنوب إفريقيا عندما وصلتني الوثائق، فطلب مني حفظها حينذاك.

انشغل بعد ذلك في أليكس، وبما أننا لم نكن نستخدم هذا الحساب، فلم يكن في حاجة إلى رؤية البيانات التي غابت عن راداره وانتهى بها الأمر في حجري.

قمت بتشغيل الراديو فشغلت فرقة (U2) فراغ صمتي. كنت أعرف أن الرصيد لن يطابق الرصيد الموجود في جدول بياناته، وأيقنت أيضاً أنه لا ينبغي لي السماح له مطلقاً برؤية البيانات واكتشاف استنزافي لمدخراتنا.

ما إن عدنا إلى المنزل حتى أغلقت باب غرفة النوم، واستخرجت حقيبة أحذية (LK Bennett)

من جوف خزانة ملابسي، ثم حلت العقد
البلاستيكية فانكسر ظفر إصبعي وأنا أكابد فيه.
معظم الأموال كانت موجودة، وهذا ما كنت متأكدة
منه. أقيث نظرة خاطفة داخل الحقيبة فكانت
مملوءة بالبيانات غير المفتوحة وغير المقروءة، ثم
أخذت مضطرباً عشوائياً ومزقته، وانتابني خوف
كبير من تصويب نظري إلى البيان داخله. حدث
فيه بنظرة مشوشة ممسكة به على طول ذراعي.
فتحت عيني ببطء فلم يكن فيه ما يستدعي قلقي؛
فهي موازنة شهر مارس قبل حوالي عامين، وكانت
جيدة جداً.

ولما ارتحت طرحت أرضاً عدداً كبيراً من الأظرف
البيضاء، وبدأت بفتحها واحداً تلو الآخر بحثاً عن
أحد بيان فيها لأعرف مقدار ما في حسابنا؛ وبعد
محاولات عدة، وجدتها ففتشت عيني عن الميزانية
واستقرت على الرقم، فلزمت التحديق فيه حتى
اختلطت علي الأرقام وتشوشت. حبست أنفاسي.
اعتقدت في البداية أنني أخطأت في قراءة الفواتير،
فمزرت ظفري على الخط أتعقب سلسلة الأرقام
بأطراف أصبعي غير أن الرقم ظل كما هو رغم
تحقيقي. لم يبق شيء. كنت قد أنفقت ما يقرب من
خمس وسبعين ألف جنيه.

أعدت إلى الكيس المغلفات الممزقة والبيانات
المطوية تقريباً؛ فكانت ذراعي كالرصاصة ثقيلة،
وتنفسني سريعاً، لكنني لم أستطع التوقف، فأخذت
شريطاً لففت به الكيس مرات عدة حتى كدت
أغطي كل قماشه بالشريط اللاصق فلا يكون لأحد
أن يرى ما فيه، ثم أعدته إلى خزانة الملابس وأنا لا
أزال جاثمة على الأرض أضرم ركبتني إلى صدري

وأهز نفسي. كان عقلي خاوياً، وكانت تعتريني رغبة في الجري من دون توقف، لكنني نهضت متشبثةً بالسريّر، ثم نزلت ببطء متكئةً على درابزين السلالم.

نظرتُ إلى توم من باب غرفة المعيشة، كان جالساً على الأريكة يشاهد كولومبو في شلالٍ من الضوء، فرفع نظره ثم ربت على المقعد المجاور له، وقال:

- لم نر هذا منذ أمدٍ بعيد. تعالي.

وضمني إليه، وأفسح لي مكاناً للجلوس إلى جواره، فوضعت ذراعي حول بطنه وضغطت عليه محدقةً في الألوان والأشكال على الشاشة، ولكني لم أكن أسمع شيئاً.

تفقدنا الأطفال قبل أن ناوي إلى الفراش معاً، فكان الصبيان نائمين، أما صوفيا فكانت في سريرها تنهي إحدى المقالات، فنحيث الهواتف والكتب بعيداً، وعلقت القمصان وربطت المدرسة، وطبعث قبلةً على رأس صوفيا رغم قولها طوال الوقت «اغربي عني بعيداً يا أمي!»، فكان عقلي يصرخ «فيم أذنبث؟». وقفتُ أنظر إلى الأولاد يتدافعون تحت الملاءات الناعمة الثقيلة وهم نائمون يحلمون بالمستقبل الذي وعدناهم به، والذي سلبتهم إياه.

وافاني توم من ورائي بينما كنتُ أنظف أسناني، فابتسم لي وطوقني بذراعيه، فغطيت بيدي يديه اللتين لم تتغيرا قط على مر السنين، ورحتُ أملس شعرهما الذهبي، فقال لي:

- نعم؛ خسرث الوظيفة، لكننا ما زلنا معاً على الأقل.

- نظرتُ إلى كلينا في المرأة وابتسمت قائلة:

- هذا كل ما نحتاج إليه.

أطرقْتُ ببصري وأخفيت نظرتي خلف رموشي
المستعارة فلا يستطيع رؤيتها.

لم يطل توم المكوث، نام بينما رحت أحاول تهدئة نفسي. كان واثقاً من أنه سيجد حلاً قريباً رغم توجُّس حواسه، فقد تمكن من إجراء مقابلة بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من مغادرته أبيكس. إضافةً إلى مال التسريح وبعض الإجازات المأجورة، كان في حسابنا الجاري ما يكفي لستة أسابيع. قبضت يدي وأغلقْتُ عيني. لا بد من أن يحظى توم بوظيفة جديدة قبل أن نحتاج إلى مال صندوق الطوارئ. كنت واثقةً من ذلك.



خرج توم في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، وذلك قبل أن يستيقظ الأطفال. كان وكيل التوظيف ريتشارد قد أصر على دعوته إلى وائرلو لاحتساء القهوة قبل الإفطار، فارتدى «زي المقابلة» المكون من بدلة زرقاء، وقميص أبيض ذي أزرار فضية على أكمامه، وربطة عنق من نوع هرمز باللونين الأزرق والوردي، وهي ربطة عنق اشترىها له في عيد ميلاده الأربعين. كان شعره المسزخ للخلف لا يزال رطباً من الحمام، فقلت له:

- حظاً طيباً!

فقال:

- يبدو أنه وجد لي عملاً ما، فقد أراد مقابلتي في أقرب وقت ممكن.

رفعت يدي، وشبكت أصابعي وابتسمت. لقد استيقظ بطاقته المتجددة المعتادة، وكان مزاجه مستقراً بحيث يمكنني الاعتماد عليه والتطلع لعودته إلى المنزل. إنها إيجابية هادئة ومطمئنة. لم يكن بيت القصيد أنني أنتظر أن يسير كل شيء على ما يرام، بل أن يكون توم بخير حين تسوء الأمور.

وابتسم فتدلت خصلة من شعره المبلل على جبهته، فدفعها إلى الخلف وقلت:

- أنا امرأة مشغولة جداً، وفي كل الأحوال، سأنجز ما عليّ إنجازه.

اصطحبت الأولاد إلى المدرسة خلال الوقت الذي كان يجري فيه اللقاء، فقال أليكس:

- أمي، قولي له أن يسكت صوت الموسيقى!

كان أليكس قد استيقظ في مزاج سيئ إذ لم يكن قد انتهى من تناول حبوبه، كما نسي كتاب القراءة في المنزل، فقلت:

- أحمد، حبيبي، هلاً أخفضت صوت الموسيقى قليلاً؟

كانت تنبعث من هاتفه أصوات فرقة لا أعرفها تعزف أغنية لم أتبينها. لقد بلغ أحمد سنّ ما قبل المراهقة فلم أعد أعرف أي نوع من الموسيقى يسمع، أو أي المعاني تحمل كلماتها، فقال:

- إنه شقيّ يا أمي.

واستدار أحمد ليحرق في أليكس قبل الامتثال أو التظاهر بالاستجابة إلى طلبي فتساءلت: عما إذا كانوا قد استشعروا توتري، فالحالات المزاجية في العائلات معديّة كالفيروس أو الأنفلونزا التي لا بد من أن تنتشر أن إصابة أحد أفرادها، ولذا حاولت استخدام حقنة فرح علاجي، فقلت:

- اسمع، إن أحسنت التصرف فسوف أخذك أنت وصديقك إلى صالة البولينغ أو إلى مطعم البيتزا نهاية هذا الأسبوع. اتفقنا؟

وواصلت مراقبة الأرقام على ساعة لوحة القيادة.
في غضون ساعة، قد يعود كل شيء إلى طبيعته
بالنسبة إلى الأرقام.

بعد العودة من المدرسة، تجاهلت الأسرة
الفوضوية، وتسونامي ما بعد الإفطار في المطبخ
إذ كان علي الاتصال بالجراح بشأن إحالة أمي إلى
العلاج الطبيعي، وطلب كتاب مدرسي لصوفيا،
وإعداد شيء ما على الغداء لأن توم سيكون في
المنزل، والاتصال بوالدة توم، فيكتوريا، لاصطحابها
إلى جون لويس لشراء ميكروويف جديد، كما
أردت أن أتولى بعض مهمات أمي وأبي لأنهما فوّتا
التسوق معي. بدلاً من ذلك، جلستُ أحتسي فنجان
قهوة وأتناول علبةً من كعك جافا.

مرّت ساعتان على لقاء توم، فأردت أن أرسل
إليه رسالة نصية، أسأله فيها عما يجري، لكنني
قررت الانتظار رغبةً مني في تجنب الضغط عليه.
أنهيت كوبي، وجعلت الكمبيوتر المحمول أمام
ناظري مقابل مطحنة الفلفل الفولاذية الكبيرة،
وتتبعت العروق الرمادية الفاتحة في طاولة المطبخ
الرخامية في أثناء انتظاري. أخيراً اتصل هاتفياً،
فقفزت وانزلق الهاتف من يدي وسقط على الأرض؛
لكن المتصل لم يكن توم، بل أمي تذكرني بموعد
أبي في العيادة القلبية في اليوم التالي، وعلي أن
أقلهما بالسيارة إليه.

ذهبت إلى غرفة المعيشة، وتحققت من واتس
أب توم، لم يكن متصلاً بالإنترنت منذ الساعة
٧:٣٠ صباحاً. وقفت في منتصف الغرفة حائرة لا
أدري ماذا سأفعل. نظرتُ من حولي فكان صندوق
الطوارئ في كل مكان. فوق الأريكة لوحة زيتية

ضخمة لمنظرٍ بحريٍّ كنت قد اشتريتها من أحد المعارض الفنية في القرية، وأخبرت توم حينها أنها من حفل تخرج، وأنها زهيدة الثمن جداً، أما على الأرض فتهمين سجادة باكستانية كبيرة، شجرة حياة تقليدية تم نسج حريرها الأزرق الداكن والأخضر الباهت على شكل طيور الجنة والغزلان والأسود، وكان لزوج إحدى صديقاتي متجر سجاد في نايتسبريدج وقد منحني خصماً كبيراً. لا بد أن السجادة ستغدو يوماً ما إرثاً عائلياً، فقد بدت لي استثماراً لا إفراطاً فحسب، ولطالما نالت إعجاب من وطنها من الناس، وكذا أريكة جون لويس الرمادية الباهتة، والتي أخبرت توم أنني ابتعتها بخصم قدره ٧٥٪، ومصاييح نورانو الزجاجية التي ادعيث أنني اشتريتها من هومبيز بينما هي من جادة نيو كينغز، كل هذه الأشياء كانت توبخني وتسخر مني، فكانما منزلي مسرحٌ لجرائمي، وفيه من الأدلة ما يكفي لإدانتني.

ومن أجل إلهاء نفسي واستعادة الحالة اللائقة للمنزل، بدأت الروتين المخصص لجمع الأحذية، وتعديل الملاءات، وطي الوسائد التي تركها الأطفال في الليلة السابقة، كما جمعت أكوام الملابس التي بدت بين عشية وضحاها تظهر في غرفة نومهم يومياً، لكنني ما فتئت أقصد الحمام كلما رغبت في الذهاب إلى غرفتي، أو أخذ سترة أو منشفة لا أعرف أين وضعتها. لا بد أنني لم أعد أستطيع التحمل أكثر، فكتبت: «مرحباً. متى ستعود؟»، واستلم الرسالة لكنه لم يقرأها.

عاد توم إلى المنزل بعد ساعة، فهرعت للقاءه، لكنني توقفت عندما رأيت وجهه، وقد ألقى على المنضدة

عدد يوم الخميس من صحيفة فايننشال تايمز التي كانت ملفوفةً بإحكام، ثم حل عقدة ربطة العنق، وقال:

- لقد خذلني الحظ. أنا خائف. قال إن هنالك أشياء قيد الإعداد، لكن، لا يوجد ما هو واضح حتى الآن.

أمسكت بيده، ودخلنا معاً غرفة المعيشة، ثم قلت:

- لا أظنه وكيل التوظيف الوحيد في المدينة. أليس كذلك؟ لماذا لا تسجل عند غيره؟

- قابلت ديفيد وتناولنا القهوة فقال الشيء ذاته. الأمر بزمته متعلقٌ بالقوى العاملة وتجميد التوظيف الآن، ومع ذلك، فالجميع يقول لا بد من أن يتعافى السوق في الربع القادم، فهو ليس بهذا السوء.

كان الربع التالي يعني ثلاثة أشهرٍ أخرى من مدفوعات الرهن العقاري، وفصلاً آخر من الرسوم المدرسية لكل من صوفيا وأحمد، وثلاثة أشهرٍ من الفواتير.

ذهب توم لتغيير ملابسه بينما بدأت أزرع الغرفة جيئةً وذهاباً. مسحت يديّ بسروالي الجينز، وشعرث بضيق في صدري ففركته في محاولة لتهدئة إحساسي بالاحتراق. لم يكن لدينا من المال ما يكفينا لثلاثة أشهرٍ.

«لا بد لي من إخباره. لا بد لي من إخباره!»

تردد صدى هذه الكلمات في رأسي، وكان عليّ أن أفعل ذلك، وبأسرع ما يمكن، فإذا ما علم أمكننا اتخاذ خطوات نتعامل بها مع الموقف،

فربما يمكننا اقتراض المال من البنك، واستخدام بطاقات الائتمان إن لم نكن نملك المال نقداً. يمكننا الاستعداد. كان علي أن أفعل ذلك.

أعطيته الشاي عندما نزل، فجلس على الأريكة، وظل إلى جوار النافذة ينظر إلى الحديقة، ويشاهد الطيور التي حطت على كراسي الحديقة المبللة من المطر. لم أستطع مواجهته عند إخباره ولذا انتظرتُ بضع دقائق استعدُّ للأمر، ورحتُ أُمِرُّ أصبعي على هاتفي متظاهراً بتصفح بريدي الإلكتروني، وكانت شفتاي جافتين تماماً حين فتحتُ فمي للبدء، لكنني عدمتُ الكلمات، فلم أدرِ أية كلماتٍ أستخدم إذ كنتُ أعلم أن زواجي سينتهي حينما أبدأ الحديث.

لم أتوقف عن التفكير في آخر مرة عانيتُ فيها من أزماتٍ مالية، وذلك بعد ولادة أليكس مباشرة، أي قبل ست سنوات. على أية حال، كان لتوم في البداية ذنبٌ فيما جرى بشكلٍ أو بآخر، فقد اعتاد التحقق من كل ما يردُّ في فاتورة بطاقتنا الائتمانية الشهرية قبل دفعها، ويتصفح القائمة، ويقرأ ما فيها بصوتٍ عالٍ، سواءً كانت أجوراً لمترو الأنفاق، أم فاتورة كبيرة لبقالة؛ فإذا ما وجد فيها ما لم يتعرف إليه سألني عنه. كنت أعلم أنه سيتصرف «كمصرفي»، وسيكون على حذرٍ من أية معاملاتٍ احتيالية، لكنني كرهتُ ذلك إذ ذكرني بجذالات أُمي وأبي التي لا تنتهي حول المال عندما كنتُ صغيرة، والتي كانت كالموسيقى التصويرية لمسلسل طفولتي.

ترعرعتُ أُمي في عقارٍ من ١٠ غرف نومٍ في أرضٍ تمتد على خمسة فدادين في لاهور، وكان والداها الثريان اللذان يمتلكان مصانع عدة قد اعترضا على

زواجها من أبي الذي كان لا يزال طالب دراسات عليا ومن بيئة متواضعة. وبعد زواجهما انتقلا إلى لندن بعد أن حصل أبي على منحة للدراسة في جامعة كاليفورنيا. لم يكن ماضي أمي قد هياها للعيش في الشقة الصغيرة جنوب لندن، والتي كانت كل ما استطاع أبي تأمينه حين كنت أنا وفرح شابتين، ولا للعيش على راتب موظف ثانوي غدا فيما بعد مديراً متوسطاً في شركة هندسية. كانت «أساسيات» أمي «تزهات» في نظر أبي، وكان الجدال يدور في منزلنا في حلقة مفرغة.

ورغم أنني أقسمت ألا أكون كوالدي، إلا أن الأمر انتهى بي في المكان ذاته بطريقة ما، فقد كان المال بالنسبة إلى توم مرادفاً للفائدة والأمان، بينما كان في نظري حلاً لأنواع المشكلات كلها؛ وبذا لم نجد قط أرضية مشتركة.

عندما دأب توم على سؤالي عن فاتورة بطاقة الائتمان، كنت أشعر أنه يطلب مني تبرير كل عملية شراء، بينما كان يقول إن ذلك من أجل مراقبة إنفاقنا الذي لم أكن أهتم له، وهنا بدأت أناديه بالمهيمن حين راح يناديني بالمستهتر، فكان الأمر يبدو تكراراً للمشهد ذاته، فكأنما كابوس طفولتي يُبعث من جديد، أما فيما خلا ذلك، فلم نكن نتشاجر.

وذات يوم غرضت علي بطاقة متجر باسمي وحدي فقممت بالتوقيع على الخط المنقط فيها. كنت في حاجة لشراء فستان جديد لحفلة عمل توم الصيفية، وكنت حينها لا أزال بدينة بعد قدوم مولودي أليكس، ومثل تلك الحفلات تجعلني أشعر بالتوتر. كان من الرائع إنفاق المال من دون الحاجة

إلى تقديم تفسيرات، وهو ما اعتدت أن أفعله عندما كان لدي راتب خاّص ينزل في حسابي. لا أقصد من خلال كلامي ذا أن توم كان سيمنعني من شراء الفستان، بل كان سيترك تعليقاً أو يطلق حكماً، وذا بالنسبة إلي أسوأ تقريباً.

استخدمت البطاقة مرات عدة من أجل شراء ملابس صوفيا، وألعاب أحمد وأليكس، وماكياجي، ولشراء بعض المصاييح وأغطية السرير، فأنفقت بضع مئات من الجنيهات، ثم توقفت وقطعت البطاقة كيلا تستمر في إغرائي.

عندما وصلت الفواتير، مزقتها ورميتها بعيداً، وأنا أعلم أنني سأضطر إلى تسديدها عاجلاً أم آجلاً، لكن نفسي حدثتني أن تسديدها أمر يمكن تأجيله بضعة أشهر أو حتى بضع سنوات، مع العلم أن هنالك فترة مبدئية لا فائدة عليها، لكني لم أتحقق من مدتها بدقة، ولا أريد أن أعرف ذلك؛ بل خلصت ذهني من ذا كله، ثم انخرطت في الزوبعة اليومية للأطفال ومرض أُمي إلى أن فاتني قطار الوقت. لم أكن أعرف متى تتحول الفواتير إلى مواعيد نهائية، أو إشعارات قانونية، وذلك أنني لم أفتح الخطابات قط، أما توم فقد اكتشف ذلك حينما رد ذات مساءً على اتصال إحدى وكالات تحصيل الديون التي أنذرته أنها سترسل «زملاء» لتحصيل الأموال إن لم يتم سداد الدين في غضون أربع وعشرين ساعة، وقد بلغت الفاتورة مع الفائدة آلاف الدولارات؛ فدفع لهم مستحقاتهم، لكنه غضب جداً لولا أن رأى ما رأى من ذعري وإرهاقي وأرقى، فقد كنت إضافة إلى أنني وضعت مولودنا الجديد حديثاً، أعنى بأمي التي خضعت حينها لعملية استئصال المرارة،

ثم سامحني؛ فصارحته بعدها بمدى امتعاضي من أسلوب استجوابه لي، ثم شرحت له ما جرى، فوافق على التوقف ووافق على عدم المبالغة في الإنفاق مُقسمةً ألا أعود إلى هذا مرةً أخرى.

لكنني حنثت بقسمي وغدت إلى ذلك في وقت لم يكن فيه توم في وضع يسمح له بإنقاضي من المتاعب، أو مسامحتي مجدداً. كنت أعرف ذلك.

قررت ألا أقول شيئاً إذ لا نزال نملك من المال ما يكفينا لبضعة أسابيع، كما أنه بصدد البحث عن عملٍ آخر. لا بد من حدوث شيء ما.

راح خلال الأيام القليلة التالية يسمع مراراً وتكراراً ذات الرسالة التي كان مضمونها ألا أحد يقوم بالتوظيف حالياً، وخاصةً لمن هم في علوٍ مستواه، كما أجمع من اتصل بهم عبر البريد الإلكتروني، وكذا أصدقاءه الذين انتزع من وقتهم دقائق عدة جمعته بهم لتناول مشروبٍ على أن عودة زخم السوق ستستغرق أسابيع إن لم تكن شهوراً.

عاد إلى المنزل بعد اجتماعٍ شبكيٍّ آخر عُقد في المدينة، وقال:

- يا لسوء الحظ! أخشى أنني عدت إلى المربع الأول.

- ومرت إلى جوارِي من دون أن يضيف شيئاً، ثم تناول حاسبه المحمول وجلس على الأريكة من دون أن يحلّ ربطه عنقه أو يخلع سترته؛ بل ثبت عينيه على الشاشة، ولزم مكانه إلى أن عاد الأطفال؛ فانتهزت لحظةً، خلّت فيها بينه وبين حاسبه المحمول الذي دفعته جانباً، وتحسست بيديّ جانبي

وجهه، فبدت عيناه عاجزتين عالقتين داخل شبكة معقدة من الخطوط. لقد جعلته الخصلات الرمادية في صدغيه، يبدو أكبر سناً. اقتربت منه، لكنه، نظر إليّ نظرة بابتسامة خاطفة، ثم طُوق خصري بيديه ونحاني جانباً، ثم عاود النظر إلى الشاشة مباشرة.

ذهبت إلى المطبخ، وأمسكت بحافة المغسلة، وأخذت نفساً عميقاً. كانت الشجرة المزهرة أمام النافذة تتزين بزهور وردية. لم أجد سبيلاً لتحسين مزاج توم.

كان توم قد طلب مني نقل أموال الرهن العقاري وفواتير الشهر المقبل من صندوق الطوارئ إلى حسابنا الجاري، كما أراد الاطلاع على كشوف الحسابات المصرفية كي يتمكن من إدارة هذا الحساب بنفسه في المستقبل، فأخبرته أنني لا أذكر أين وضعت المستندات، لكنني وعدته بالبحث عنها. في غضون ذلك، توليت عمليات التحويل بنفسني إذ كنت أملك لهذا الحساب بطاقة، بينما كانت بطاقة توم والكشوفات في مكان آمن، فقال لي:

- تأكدي من تحويل الأموال قبل نهاية شهر مايو. اتفقنا؟ فبحلول ذلك الوقت تكون تعويضات نهاية الخدمة قد انتهت، وتكون جميع الفواتير واجبة الدفع.

شيء ما هاج في قلبي. راجعت التقويم في هاتفي.

بقي أمامنا ستة أسابيع قبل نهاية مايو، وهو التاريخ الذي ينبغي أن ينفد مالنا خلاله، فنفقد مدفوعات الرهن العقاري، ونفلس فنخسر كل شيء.

كان تنفسي سريعاً وضحلاً؛ فحاولت أن اخذ نفساً عميقاً، لكن الهواء علق في حلقي.

وضعت الهاتف على المنضدة مقلوباً، وألقيت عليه منشفة أطباق، وبدأت ساهمةً بتحضير وجبات خفيفةٍ للأطفال العائدين من المدرسة، ثم غسلت العنب. الأخضر من أجل صوفيا وأحمد، والأسود من أجل أليكس، وأخذت الموز والبرتقال. كانت أمي قد أعطتني علبة حلوى طازجةٍ للأولاد حين غدثها بالأمس. وضعت الحلوى اللزجة في طبق، ثم انتزعت ثلاث قطعٍ من المناديل الورقية وطويتها على شكل مثلثاتٍ، ورتبت كل شيءٍ على الطاولة، ولما فرغت من ذلك جلست ودفنت رأسي في يدي، وأغلقت عيني.

بدأت قنبلة موقوتة تدق في رأسي.



قبل نهاية مايو بستة أسابيع

كان من المقرر أن يلتقي توم بموظف آخر في اليوم التالي، وكان في الأسابيع الستة متسغ من الوقت لإجراء المقابلة الأولى والثانية، وقد يحصل على وظيفة جديدة في غضون شهر. كان هذا ممكناً، ولكن، ماذا لو لم يحدث ذلك قبل الموعد النهائي؟

ستكون نهايتنا.

كان صدى الكلمات يوافق دقائق قلبي وأنا مستلقية في سريري حتى تخدر ذهني وابتلعني الظلام في غياهب النسيان. فتحت عيني في الساعة السادسة، أي قبل رنين المنبه بساعة. كانت خطوط كفي الأرجوانية تشوه راحتي ففركتهما بإبهامي برفق، ونهضت فجأة وقد تيقظت فخطر لي فكرة بينما أنا نصف نائمة.

هنالك طريقة لإصلاح ما فسد من دون أن أكون في حاجة إلى العثور على خمسة وسبعين ألف جنيه. لا أحتاج إلى أكثر من العثور على وظيفة ما، فإذا ما جنينا من المال كل شهر ما يكفي لتغطية فواتيرنا ريثما يجد توم عملاً، فلن يكون توم في حاجة إلى معرفة ما أفعل؛ فأخبره أن علينا

استهلاك راتبي وتوفير مدخراتنا؛ وكنت موقنة من موافقته؛ فقد كان شعار توم: «لا تلمس المدخرات ما استطعت.»

كانت مشكلة الفكرة الوحيدة هي أنني لم أزال عملاً منذ خمسة عشر عاماً؛ بل لم تكن لدي سيرة ذاتية أصلاً.

في ذلك الصباح، قابلت سام ونائلة في المقهى، كانت سام قد عادت مؤخراً إلى العمل بعد عشر سنوات قضتها في تدبير المنزل مع أطفالها، ولذا لا بد أنها ستجد حلاً.

انتظرت في شرنقة مقهى ويمبلدون الدافئة أشاهد تدفقاً منتظماً لنساء يرتدين المقهى بقاماتهن القصيرة، وحقائبهن الجلدية الضخمة ذات الشعارات السرية؛ فكنّ ثلاثينيات أو أربعينيات ذوات بشرة تفوق شباباً بشرة النادلات العشرينيات اللاتي يقدمن لهن القهوة.

رأيت كومة مناديل ممزقة أمامي فبادرت إلى إزالتها، وقد اتخذت قراراً بكتمان أمر صندوق الطوارئ عن صديقتي، ما الذي سيتبادر إلى ذهنيهما حيالي إن عرفت ما اقترفت يداي؟

كانت قصتي تتلخص في أنني مستعدة للعودة إلى العمل، فقد كبر أطفالي، وتسرب الملل إلى نفسي.

رأيت سام وهي تندفع إلى المقهى فكانت كعادتها تبدو كمن تأخر عن موعد رغم أنها دائماً تحضر في وقت مبكر. حتى ملابسها بدت كما لو أنها ارتديت على عجل، فكانت تتناوب على فساتين متطابقة ذات نقوش زرقاء أو سوداء، وترتدي معها حذاء

باليه للمكتب، وسروالاً ضيقاً مع أحذية رياضية
وبلوزاتٍ تمتلكها منذ سنوات.

بدأت بالحديث قبل أن تجلس، وحلت الوشاح
الأحمر الطويل الذي كانت ترتديه حول رقبتها،
وحيث النادلة في الوقت نفسه، وقالت:

- أتيت من عند أمي، ولذا لم أشرب القهوة بعد!

- هل تمكنت من العثور على مقدم رعاية؟

شخصت حالة أمها مؤخراً على أنها مصابة
بالزهايمر.

- نعم؛ لكنه ليس حلاً طويل الأمد. أنوي تشييد
ملحق صغير للجدّة، لكن جيمس يعمل اليوم كله في
صفقة كبيرة، ولذا لم يتسّر لي إخباره بعد.

وصلت نائلة وتعانقنا جميعاً، فقالت سام:

- يعجبني زيك يا نائلة.

كانت نائلة ترتدي فستاناً قطنياً أبيض ذا نمط
باكستاني فيه تطريزٌ زهري، ووشاحاً وردياً مناسباً.
قالت نائلة:

- شكراً لك. لاحقاً، سأذهب لتناول العشاء في منزل
صديقة باكستانية لها الكثير من «العمات» العجائز
اللاتي سيحضرن أيضاً، ولذا ظننت أنني ذاهبة إلى
تقليد.

وما إن وصلت قهوتنا حتى بدأت فقلت:

- خفنا ماذا؟ لقد قررث العودة إلى العمل.

وابتسمت كما لو أنني أتحدث عن قضاء عطلة
نهاية الأسبوع مع توم؛ فقلتا معاً:

- كيف ذلك؟

- «أعتقد أن الوقت حان لتوسيع أفاقي إلى ما
وراء حلبة الكرة المدرسية الخيرية.» قلت ضاحكة.

- «جيد! لا أعرف كيف تحتملين كل هذا الهراء
على أية حال. أنا لا أصدق أن لديك حفلة بوتوكس
في الفصل.» قالت نائلة.

لطالما ضدمت نائلة من الإفراط في أنشطة
الأمهات الباذخة في مدارس أطفالي.

- «كنت في العمل فلم أشارك فيها، وليس هذا مما
يثير اهتمامي كما تعلمان.» قالت سام وتجهمت،
ثم ابتسمت مشيرةً إلى أجزاء مختلفة من وجهها
لتظهر افتقارها للشلل الجمالي. كانت ابنة سام في
مدرسة صوفيا ذاتها؛ مدرسة بروكوود الثانوية.

ابتسمت، وقلت:

- سام، هل يمكنك مساعدتي في كتابة سيرة
ذاتية؟ أو بالأحرى، هل يمكنك فعل ذلك الآن؟ أريد
أن أبدأ في طلب العمل منذ اليوم.

- «وعلام العجلة؟» قالت سام.

وتناولت عصاة رأس من معصمها فربطت شعرها
الأجعد الأشقر على شكل ذيل حصان فوضوي.

أما أنا فتفحصت كل الطاولات من حولي لأتثبت
من عدم وجود أي شخص أعرفه، ثم انحنيت إلى

الأمام فهمست:

- لقد فقدتوم وظيفته.

وضعت سام يدها على فمها، وقالت:

- هذا مريع! متى حدث ذلك؟

- الأسبوع الماضي. من فضلكما لا تخبرا أحداً، ولا حتى زوجيكما، فتوم يريد التعود على الفكرة أولاً.

- «بالطبع؛ فلا شأن لأحد بهذا على أية حال.»؛ قالت سام.

- «لا أعتقد أن عليك إخبار أحد حتى حين يعتاد توم على الأمر. ألا تذكرين عندما فقد زوج راني وظيفته؟ حينها توقف الناس عن دعوتها إلى تناول العشاء، ولا يزال الجميع يتحدث عن ذلك رغم أنه عاد إلى العمل منذ فترة طويلة.»؛ قالت نائلة.

- لا أنوي أن أقول لأحد سواكما، فلست في حاجة إلى أن أكون حديث الناس، أو موضع شفقتهم.

- «أنت وتوم بخير؟»؛ قالت نائلة.

- غرزت أظفاري في يدي لأمنع دموع عيني من الانهمار.

- إنه بخير، ولكنه مصدوم قليلاً طبعاً، أما أنا فغاضبة جداً إذ لم يرتكب أي ذنب. هذا ليس عدلاً.

- «حاولي ألا تقلقي يا فايضة. أنا متأكدة أنه سيجد عملاً آخر قريباً.»؛ قالت سام، ثم توقفت للحظة

أطرقت فيها النظر، وراحت تنظف الطاولة من فتات لا وجود له. حين تحدث مرة أخرى، فكان حديثها أبطأ كما لو كانت تزن كل كلمة تقولها: «على الأقل؛ تقدم البنوك رواتب جيدة.»

قد نتحدث أنا وسام عن كل شيء سوى موضوع واحد لا نتحدث عنه أبداً: وهو المال. علمت أن العلاقة بينها وبين جيمس بدأت في مكتبه، وأن والدها خدع أمها مع أخت أمها الصغرى، وأن أحد توأميها البالغين اثني عشر عاماً يخضع للعلاج لأنه لا يزال يبلى سريرته، كما كنت أنا أول شخص اتصلت به عندما اكتشفت ورماً في ثديها، وكانت هي على علم بقلق ابني أحمد، وصعوبات زواجي التي لم أبح بها لسواها، وإحباطي من إحجام شقيقتي عن مساعدتي في رعاية والدينا، وتعلم كذلك ما ألقى من عنصرية في مترو الأنفاق أو في حفلات العشاء خاصة.

لكننا لم نتحدث قط فيما يخص ما يجنيه أزواجنا، وقيمة منازلنا، ومقدار مدخراتنا، وما ندفعه لمدبرة المنزل أو لرجل الضرائب.

تنحنح، وقلت:

- في الواقع، ليست بالرواتب الكبيرة هذه الأيام.

عرفت سام أن توم لم يكن يكسب من المكافآت ما يكسبه زوجها جيمس عاماً بعد عام. كان جيمس شريكاً في مكتب ماجيك سيركل للمحاماة، وهو لقب يخبرك به كامتداد لاسمه عندما يعزف بنفسه لأول مرة.

- «لا تزال خيراً من رواتب كثير من الناس يا

فايزة. لا أعرف ماذا سنفعل لو فقد طارق وظيفته.
تكنولوجيا المعلومات لا تدفع كما تدفع البنوك؛
قالت نائلة التي لا تعاني من هواجس سام ذاتها.

أردت أن أخبرهما أننا أفلسنا، لكن ذلك سيلزمنا
أن أوضح لهما السبب، وارتجفت الكلمات على
شفتي كما لو أنها حكمة اضطررت إلى حكاها. ماذا
لو تقيأت الحقيقة فوق المائدة أمامنا؟ كانتا أقرب
صديقاتي.

التقيت بنائلة عندما كنا مراهقتين، وأجبرنا
على حضور دروس اللغة الأردنية كل سبت في
وورسيستر بارك. كنا نجلس في الخلف نقرأ مجلة
كوزموس المخبأة في كتبنا المدرسية، ونقترب أكثر
من الحياة الغربية وغير المكتشفة للثقافة المزدوجة
التي اكتسبناها، أما سام فقابلتها عندما كان أولادنا
في روضة الأطفال قبل تسع سنوات، فكانت لطيفة
هادئة متحررة لا تكثر برأي الناس فيها، ومنذ
ذلك الحين نلتقي كل أسبوع تقريباً لتناول القهوة
والتجول في الضواحي؛ والآن صوفيا ويسيينا ابنة
سام هما في الفصل ذاته أيضاً.

ومع ذلك، فإن حبي العميق لهما هو ما منعني من
إخبارهما، فما فعلته كان من الأنانية والتهور ما قد
يغير نظرتهما إلي؛ ولذا فإن أسهل شيء هو كتم
كل شيء بحيث لا أضطر إلى الشعور بالخجل، ولا
تضطران إلى إظهار الدهشة والاستنكار.

هزئت رأسي، وقلت:

- نعم، لحسن الحظ أن ليس هنالك، على الأقل
الآن، ما يدعو إلى القلق بشأن المال، لكنني أرى أن

التعود على العودة إلى العمل سيكون أسهل بكثير،
وذلك ما دام توم مع الأطفال في المنزل؛ ولذا أنا
في عجلة من أمري.

قالت سام:

- «ماذا تريدان أن تفعلين؟»

- لقد عملت في المدينة في يو بي إس قبل أن
أرزق صوفيا.

هزت سام رأسها، وقالت:

- لن يكون الأمر سهلاً، وخاصةً بعد انقطاعك
الطويل.

عضضت على شفتي. ولكنها أردفت:

- لنقم أولاً بإنجاز سيرة ذاتية لك، ثم يمكنك النظر
في خياراتك.

ومضت عملياً بتدوين النقاط في دفتر ملاحظاتها
الأحمر الذي أخرجته من حقيبتها الزرقاء الضخمة،
وشاركنا جميعاً في تقديم الاقتراحات.

انسكب شعر نائلة الأسود الأنيق على الطاولة،
وراحت أقراطها الذهبية تتأرجح في الفراغ. كانت
تقطب حاجبيها قليلاً عندما تحاول الإصغاء كأنما
تخشى أن تفوتها أية كلمة، وقد راقني ذلك فيها، أما
سام فكانت مفعمةً بالحيوية والمهنية، مما منحني
شعوراً بالسكينة.

قالت نائلة:

- تحضرني الآن لينغو بير!

كان القسم الأكبر من سيرتي الذاتية هو أنني كنت الرئيس التنفيذي لشركة (Lingo Bear UK). في الواقع، كان كل ما علي إبرازه لعملي كرئيس تنفيذي هو مقبرة من دمي الدبية تتمثل في عشرين صندوقاً من الورق المقوى المكدسة في مستودع الحديقة.

تتلو دمي الدبية عبارات مسجلة مسبقاً بلغة الماندرين والروسية عند الضغط على كفوفها، ولقد عرفت أباء كانوا يرافقون أطفالهم لمشاهدة أفلام فرنسية، ويتحدثون إلى صغارهم بلغة ثانية لمنحهم تعليماً مبكراً. كانت فكرة وضع دمي الدبية في أسرة الأطفال والكراسي العالية، وتلاوة عبارات مقطعية بلغة الماندرين، فكرة ناجحة للغاية، ولذا كنت قد خططت لشراء الدبية التي تتحدث الأردية أيضاً لأن أمي وأصدقاءها كانوا يشكون دائماً من أن أحفادهم لا يتحدثون الأردية، فكانت الاحتمالات مفتوحة.

كانت الألعاب رائجة جداً لكني بدأت أتلقى رسائل بريدية إلكترونية تطالب غاضبة باسترداد الأموال، وذلك أنها بعد بضعة أيام من استخدامها لا تتلو إلا صريراً عالي النبرة، لكنها على الأقل تجسد سيرتي الذاتية.

- انتهينا منها!

قالت سام ثم انتزعت الصفحات وأعطتني إياها، فقلت:

- شكراً جزيلاً!

قالت سام:

- أتمنى حضورك إلى منزل جوليا من أجل المزار
الخيرى.

تنهدت وقلت:

- نعم، إنه عنوان أسبوعي العريض!

قالت نائلة وقد ارتجفت حلقاتها الذهبية استنكاراً:

- ما معنى هذا؟ لقاء آخر للأمهات؟ ما كل تلك
المزادات والحفلات، وملابس اللجان ومآدب
الغداء؟ إنها مرهقة حقاً.

أبدت الموافقة على كلامها، وقلت:

- ضرب من الجنون.

- لا أفهم سبب اهتمامكم بالدفع للمدارس الخاصة.
إن كان الطفل نابغاً، فسيكون كذلك في مدرسة
عامة.

قلت:

- هذا صحيح.

لقد كان جدالاً دار بيننا فيما مضى، فلم أخبرها قط
بسبب اختياري لتلك المدارس، ولا بما جرى لي.

أخبرتني أنني كنت على خطأ، وأن الأمور تغيرت،
وأن الزمان كان مختلفاً، وأنه لا ينبغي لي أن أسمح
لتجربتي السيئة أن تملي علي قراراتي الحالية،
وافقها عقلي، أما قلبي فلم يبرحه ذاك الخوف، ولم
أكن قادرة على النسيان. كانت بروكوود مساحتي
الامنة، ولذا أرسلت صوفيا إليها؛ أما بالنسبة إلى

أحمد، فكنت دائماً أختار المدارس الإعدادية الصغيرة.

هزرت كتفي قائلة:

- كنت وفرح قد درسنا في بروكوود، فلم يخطر في بالي مطلقاً أن أرسل أولادي إلى مدرسة أخرى، وكان من حظ والدي الوافر أنهما لم يكونا مضطرين إلى دفع الرسوم المدرسية، فقد حصلت كلتانا على منحة دراسية.

كان ذلك ما دأبت على قوله حين كان أفراد عائلتنا أو أصدقاؤنا يشككون في قراراتنا. قلت:

- كما أن تلك اللجنة المافوية ليست مدرسة خاصة فقط

- فعلاً، كذلك تشكو أختي من مدرسة أبنائها الحكومية أيضاً؛ ومن قبيل ذلك الزمر والاستعراض وحفلات العشاء كبرنامج ماستر شيف.

قالت نائلة، وهي تبدي الشك:

- مدارس أطفالتي ليست كذلك، ولا المدارس التي أدرس فيها. كانت نائلة معلمة بديلة لصالح مجلس مدينة واندسورث.

وفي عجلة تفحصنا ساعاتنا وهواتفنا لأن قوائم المهام في حياتنا أعادتنا إلى الواقع، فنهضنا على مضض، لكنني حرصت على العودة إلى المنزل لكتابة سيرتي الذاتية، وأنا لا أزال أشعر بانحلال العقدة التي كانت تخنقني، فقد كان قضاء الوقت مع صديقاتي أشبه بتنفس الصعداء، أما لو أنني تحدثت

معهم عن المال لكانت محادثتنا مختلفة تماماً، ولذا كنت سعيدة أنني كتبت الأمر في صدري.

في طريق العودة، وحينما كنت أقود سيارتي، جثمت على صدري فكرة كصخرة ثقيلة، فهي المرة الأولى التي يكون فيها توم في المنزل بمفرده، وقد سبق أن تحدث عن فرز كل البريد والأوراق القديمة التي كنت أميل إلى وضعها في الأدراج ونسيانها، وهنا أسرعحت محاولة تذكر ما إذا كنت قد تركت كشف حساب بنكي مدسوساً بشكل عشوائي تحت بعض الأوراق على عجل بدلاً من إخفائه في الحقيبة، ولذا دعوت ألا يكون قد بدأ في البحث في الأدراج.

لم يعد وجود كل هذه الأوراق في المنزل آمناً.



قبل نهاية مايو بخمسة أسابيع ونصف

كنت أنا وسام في بيت جوليا لحضور أول اجتماع سنوي تعقده لجنة المزاد الخيري، وشعرت بالامتنان لهذه التسلية. لم أتلّق أي ردّ على عشرات طلبات العمل التي أرسلتها، لكن سام قالت لي إن هذا الأمر طبيعي، ولا بدّ من مواصلة التقدم. أجرى توم في غضون أسبوعين مقابلةً على وظيفة، فكان على القائمة المختصرة.

ارتديت ملابسٍ بعناية، واخترت من الألوان والأزياء ما جعلني أبدو كجميع النساء الأخريات هناك. لبست فستاناً حريراً وردياً شاحباً، وانتعلت حذاءً ضيقاً بكعب عالٍ، وكلاهما من متجر الفراشة (باترفلاي) خلال تسوقي في القرية. كنت قد أسبلت شعري حتى كتفي، ووضعت أحمر شفاهٍ وردياً شفافاً. كانت ملابسني كأنها معطف غير مرئي ساعدني على الاندماج مع هذا الحشد.

حين كانت صوفيا أصغر سناً، غالباً ما كانت الأمهات في الحديقة أو الحضانة يحسبنني مربيةً سمراء تتجول بصحبة طفل أبيض أشقر الشعر، لذلك تعلمت منذ ذلك الحين أن ارتدي الملابس وأحمل من الحقائب التي تجعلني أبدو واحدةً منهن.

بينما راح الآخرون يتجولون في الردهة فتصعد أحاديثهم إلى الأسقف العالية وترتطم بالثرثريات المتلألئة، جلست أنا وسام في غرفة المعيشة الفسيحة المشمسة التي تم تصميم الجزء الداخلي منها ليبدو كقصر في ريف من الأرياف رغم أننا كنا على بعد عشرين دقيقة من ماربل آرتش.

رمث سام حقيبتها أرضاً، وقالت:

-تباً للأصهار! بل تباً لجيمس! لقد استأجر في توسكانا فيلا مجنونة نقضي فيها إجازتنا الصيفية. لم يدغ والديه فحسب، بل دعا كذلك روبرت وعائلته، وهو في غاية السعادة؛ لأنه وجد واحدة فيها سبعة حمامات، لأن الفيلا التي استأجرها روبرت في نيس العام الماضي كان فيها خمسة حمامات فقط. إنهما بصراحة يبدوان كطفلين لم يبلغا السنتين!

قلت:

-ينتابني بعض الأسف حيال جيمس المسكين. تخيلي أن يحرضك والداك على أخيك الوحيد هكذا.

فنظرت إلي وقد احمر وجهها؛ فقلت:

-أسفة، كان كلامي وقحاً جداً. توم لا يعمل وأنا ...

-لا تكوني غبية. المشكلة مشكلة، وما كنت لأحكم على فيلات إجازتك أبداً.

ومع ذلك لم أستطع صرف تفكيري عن أن إيجار الفيلا لمدة أسبوعين يمكن أن يغطي الرهن العقاري لأشهر عدة على الأرجح.

- كيف حال توم؟ هل نال أية فرصة؟

- ليس بعد، فهو يقول إن فرص العمل باتت قليلة، لكن لديه مقابلة مع أحد البنوك ...

فاحت سحابة من عطر شانيل-5 ثم ظهرت جوليا فوقنا، وانحنت لتقبيل سام، ورحت ألوح لها، لكنها لم تنحن لتقبلي رغم ذلك، بل قالت:

- من ذا الذي سيجري مقابلة؟

جمدت إذ لم أكن في حاجة إلى أن تعرف جوليا بأمري، وخاصة أنها تحب أن تعرف أخبار الجميع.

قالت سام:

- أجدد شكري لك، لأنك استضفتنا.

فابتسمت جوليا وهزت شعرها الأشقر المسترسل، وقالت:

- إن ذا من دواعي سروري! أنت على حق في أن الوقت غيز ملائم للنميمة. وغمزت ثم أضافت: فلنتحدث في الأمر لاحقاً.

وصفقت جوليا بيديها مرتين إيداناً بجلوس النساء الخمس عشرة في نصف دائرة، ثم وقفت كموسيقار أمام الأوركسترا متألقة بشعرها الأشقر وبريق شفتيها، فكانت إيماءات يديها تومضان بطلاء الأظافر الفرنسي والماس.

كانت جوليا متزوجة بمليونير، وهذا ما عدته إنجازاً شخصياً كبيراً كأنما هو الجري في سباق الماراثون أو الحصول على الدكتوراه. ما جمعني بها

كان شينين اثنين هما: إن بناتنا يدرسن في الفصل ذاته، وإننا صديقتا سام، وقد التقت هي وسام في مؤسسة (NCT) الخيرية، فقالت سام إن جوليا «لم تكن بهذا السوء حين تعرفت إليها»، فظننت أن الحمل أضعف قدرة سام المعتادة على اكتشاف المتغطرسين النرجسيين.

بدأت جوليا في توزيع المهام، بينما جلست في مقعدي خائفة مما ستفرضه علي.

- سام، هل لك أن تطلبي منها أن تكون المهمة سهلة؟ فأنت منشغلة بأمك، وأنا بالبحث عن وظيفة، لذا قللي إنني سأساعدك.» قلت همساً.

تم تكليفنا ببيع التذاكر التي تضمنت الحضور مدة ساعة صباحية واحدة في الأسبوع حتى نهاية الفصل الدراسي.

كان هدفنا هذا العام هو تحطيم جميع الأرقام القياسية السابقة، وجمع ٢٠٠٠٠ جنيه إسترليني!

صفق الجميع، ورفعث جوليا يديها، وأغلقت عينيها مدة ثانية تجنباً لشعاع الشمس الساطع. كانت ترتدي فستاناً أبيض من دون أكمام، يُظهر أنحف خصر لامرأة ناضجة.

- تبدأ هذه التذاكر من ٢٠٠ جنيه إسترليني قيمة التذكرة العادية، و٣٠٠ جنيه إسترليني قيمة الفضية، و٤٠٠ جنيه إسترليني قيمة الذهبية؛ وهذا للشخص الواحد، ولذا فالأزواج يدفعون الضعف. سيحضر هاري للأسف مؤتمراً في بالي، لكننا سنظل نرعى طاولة ذهبية لثمانية أشخاص، وذا أقل ما يمكننا فعله.

لم أر هاري زوج جوليا في أية مناسبة مدرسية منذ أن انتقلوا إلى القرية قبل بضعة أشهر، لكننا كنا نسمع عن هاري كل الوقت، فإذا ما اشترت جوليا حذاءً جديداً قالت كم أحبه هاري حينما انتعلته، وإذا ما فاته مباريات كرة السلة، أخبرتنا أنه يصطحب ابنتيهما، أمبر وإيلي، لركوب الخيل في ويمبلدون إن لم يكن مسافراً، وأنه دائماً يتصل بهما عبر «الفيديو» من مكتبه عندما يتأخر في العمل. ذات مرة، وخلال إحدى محادثاتنا الصباحية الدورية حول خيانة الأزواج، أوضحت جوليا أن مفتاح إخلاص الزوج يكمن في أن تقدم له الزوجة كل ما يحتاج إليه.

كانت النساء الأخريات يصغين باستغراق إلى التفاصيل التي ترويها عن علاقتها بزوجها، أما أنا فتساءلت: كيف سيشعر زوج جوليا إن علم أنها تسرّب أسرار بيتها؟ لو كان توم مكانه، كان سيكره ذلك.

جلست ليزي إلى جوارى وقبلت خدي وبدأت الحديث. كانت أكبر منّا بقليل، وقد ناهزت الخمسين من عمرها، لكن جسدها المتناغم بفعل اليوغا، ونظامها الغذائي الصحي كانا يتحديان تقدم عمرها. كان شعرها الأشقر يترنّج برفق على طول ترقوتها كشاهد على شامبو الأعشاب الذي يعده لها أخصائي تدليك الوجه كل شهر، والذي عرضت عليّ أن تزودني ببعضه أيضاً، ولكنه مكلف للغاية حتى مع وجود صندوق الطوارئ. صحيح أن ليزي كانت صديقةً للبيئة، لكنها صديقةٌ بيئةً باذخةً.

في مطبخ البط البري، تم اصطحابنا إلى جزيرة

مترعة بالرخام. وسط الكيك الرقيق وأكواب سلطة
الفاكهة الصغيرة المقطعة كانت كعكة الشوكولا
الأنيقة مزينةً بزهور وردية وحمراء، وشمعة فضية.

- عيد ميلاد سعيد، إلى الأسبوع المقبل يا سام.
لقد أعدتها بنفسى هذا الصباح. قالت جوليا وهي
تطوق سام بذراعيها.

بدأت ابتسامة جوليا صادقة، فتساءلت، كما أفعل
أحياناً: هل أنا حاقدةٌ عليها أم هي حساسية مفرطة
نحوها فقط؟

بدأ أن الجميع يحبها، وأنها دائماً محور كل
مجموعة، وعلى رأس قائمة كل مضيف، وكان الناس
يمدحون سلوكها، كانت ترسل الطعام إلى المرضى،
وكذلك اهتمامها البالغ بأطفال الآخرين ورفع
معنوياتهم. كل هذا لم يجعلني حميمةً إزاءها، وبدأ
هذا الشعور متبادلاً، أما سام إذا ما أحبث جوليا، فلا
بد من أن فيها خيراً يحتاج إيجاده إلى جهد أكبر.

بينما كنا نأكل، كانت المحادثات تدور حول
الخيارات الجامعية، لكنني لم أعد أستمع لما يُقال
إذ كنتُ أفكر في عذرٍ للتملص من المزداد؛ فلا طاقة
لي بدفع ثمن التذاكر، ولكن الموعد ما زال بعيداً عن
شهر سبتمبر، ولذا لم أجد حتى الآن ما أقوله مقدماً،
ثم إن المنتظر من أعضاء اللجنة أن يكونوا قدوةً
تحتذى، وخاصةً نحو شراء التذاكر.

- قالت ليزي وهي تتلمس ذراعي.

- فايزة؟

- معذرة؟

- هل قررت صوفيا ما الذي تريد أن تدرسه؟

- إنها حائرة جداً؛ فهل تختار الإسبانية؟ فهي تحب اللغات.

تدخلت جوليا بالقول:

- هل تتحدث صوفيا لغتك الباكستانية؟

- بل الأردية. صحت ليزي، فابتسمت لها.

لطالما كانت ليزي لي ظهراً وعضداً.

- إنها تفهم اللغة الأردية، لكنها لا تجيدها كثيراً.

- فكيف تتواصل مع جدتها إذن؟ لقد رأيتها في القرية مع والدتك وهي ترتدي فستانها الشرقي الرائع بألوانه الزاهية.

فتجهمت حائرة فيما تسأل عنه جوليا.

- أي إن لم تكن صوفيا تتكلم ... وتوقفت جوليا مؤقتاً كما لو أن الكلمة التالية تتطلب جمبازاً شفهياً أو قيناً موجعاً. ...الأردية. هل لوالدتك أن تتحدث الإنكليزية؟

لم أشعر بصدمة كبيرة من سؤال كهذا، بل اكتفيث بالتنهد والابتسام، وقلت:

- أمل ذلك، فهي حاصلة على ماجستير في الأدب الإنكليزي من جامعة كينغز.

ابتسمت جوليا كما لو كانت مبتهجة حقاً بدرجات أمي في الكلية؛ حتى خشيت أن تصفق، فقالت:

- مرحى! أليس هذا رائعاً!

حرث فيما أقول، وكنت ممتنة لليزي أن غيرت هذا الموضوع. رغم ملايينهما المتطابقة، إلا أن بين ليزي وجوليا اختلافاً كبيراً، فقد كانت ليزي ترتدي ملابس كلاسيكية تشبه الزي الرسمي كما يفترض بها كزوجة محترفة لرئيس تنفيذي، أما جوليا فقد أترعت خزانة ملابسها لإثارة حسد بدا أنها تتغذى عليه.

قالت ليزي:

- لا تقلقي... مادي لم تقرر بعد بشأن شهادتها.

ردت جوليا:

- إن مشكلة أمبر هي أن أمامها الكثير من الخيارات.

قالت سام التي انضمت إلينا:

ماذا تقصدين؟

- حسنٌ. إنها فنانة موهوبة جداً، ولذا فإن مدرسة الفنون احتمالاً واردٌ، لكنها متفوقة في العلوم كذلك، وزوجي حريص على أن تنال شهادة «حقيقية» ومثالية في أكسفورد فتقتفي بذلك أثره، كما استوقفنا في الأسبوع الماضي عارض أزياء في واترلو تعقبته وعلمت صدقه، فقال إن لديها المظهر الذي تبحث عنه الوكالة بالضبط، ولذا لا أعرف ما الذي عليها أن تفعله. لنكن صادقين. إنه أمر مرهق حقاً!

بالشهقات تحمست الأخريات لعارض الأزياء ذاك،
وتعاطفن مع حياة أمبر الصعبة، بينما مضت امرأتان
تحمستا للحديث عن صراعات بناتهن المماثلة
تبادلان الملاحظات مع جوليا.

توجهنا أنا وسام للحصول على بعض القهوة.

- مسكينة أمبر! قلت ضاحكة.

- فائزة! ردت سام بابتسامة.

سألنا بعض النساء عن موعد بدء بيع التذاكر.

- في غضون أسبوعين.

دأب جيمس على شراء تذاكر «الطاولة الذهبية»
كاملة ودعا إليها أهم الشركاء في شركته وزوجاتهم.
قد يفوت أمسيات أولياء أمور الطلاب ومسرحيات
المدرسة، لكنه على رأس طاولته يبقى منخرطاً في
المزاد الخيري محاولاً المزايدة على الآباء البارزين
الآخرين. لم تكن الصدقة غاية المزاد الوحيدة، وكلنا
يعرف ذلك، لكنني أذكر نفسي دائماً أن معظم تلك
الأموال على الأقل ستذهب إلى مستشفى الأطفال.

كان عليّ أن أقول للجميع شيئاً ما بحيث لا
يعتقدون أنني أخفي عليهم أمراً إن لم أشتري التذاكر
في وقت لاحق.

- يعتريني انطباع فظيع أن المزاد سيجري في
الليلة نفسها، التي ستحيي فيها عمتي ذكرى زفافها
الكبير. لدينا أقارب سيصلون بالطائرة من دبي
وباكستان ونيويورك.

كنت قد رتبته وجهي لتصنع كابة مناسبة.

- إنه هذا! سنشتاقك! قالت ليزي ، وانضمت إلى المجموعة مع جوليا.

كان فستان ليزي الوردي الطويل ناعماً رقيقاً مثلها، وكانت عيناها تبدوان صغيرتين حينما تبتسم، وقد أخفت تجاعيد ضحكتها في عيادة البوتوكس، وهو التنازل الوحيد في ممارساتها غير الطبيعية على جسدها.

قالت جوليا:

- لا تقلقي يا فائزة! يمكن لأعضاء اللجنة هذا العام أن يتبرعوا بسعر التذاكر حتى لو لم يتمكنوا من الحضور؛ وبذا يمكنك المساهمة رغم ذلك.

ردت ليزي:

- إنها فكرة ممتازة! فهو في النهاية عملٌ خيريٌّ يمكننا جميعاً أن نسهم فيه.

- أمسكت فنجاني بإحكام. إن لم أشتري تذكرة ولم أتبرع، فسأطرح علي أسئلة لن أجد لها جواباً.



- هلاً أعطيتني بيانات صندوق الطوارئ حين نعودين؟ أحتاج إلى تفاصيل الحساب. قال لي توم في اتصالٍ بينما أنا في طريقي لاصطحاب أليكس وأحمد من المدرسة.

بدأ قلبي ينبض بعنف.

- أسفه حبيبي، ما زلت ناسية أين وضعتها. لا يخفى عليك أمري إذن؟

- نعم. أعرف ذلك. قال بصوتٍ مقتضبٍ لا تساهل فيه.

- في العادة، كان من الممكن أن يتجهم أمام فوضويتي قبل أن يبتسم لي ويخبرني أنني محظوظة بسبب وجودي قرب زوج ديدنه الترتيب، فأزعجه في المقابل ساخرة من هوسه بالأعمال الورقية، لكنه أجاب هذا المرة ببساطة:

- لا بأس. ستصدر الفاتورة التالية قريباً، أو لعلي أذهب إلى البنك بنفسي.

- لا! لا تضع وقتك في القيام بذلك. أعلم أن الأوراق موجودة في مكانٍ ما هنا. لا توجد حالة طارئة. أليس كذلك؟ لديك مقابلة قريبة! ركز على ذلك وحسب.

غادرت المحادثة وقدت سيارتي نحو القرية بسرعة كبيرة راجيةً ألا يكون في الرادارات فيلم. لم أجد موقفاً للسيارات، ولذلك ركنت سيارتي في مكانٍ مخصصٍ لحاملي الترخيص، وركضت نحو البنك.

ابتسمت لأمينة الصندوق، وهي امرأة لطيفة تدعى ليندا، فقلت لها:

-أخشى أن لدينا بعض المشكلات في عملياتنا الحسابية، فهل لك أن تحتفظي ببيانات حسابي ريثما أتمكن من سحبها من الوكالة بنفسي؟ نسمع الكثير من القصص الرهيبة عن سرقة الهوية هذه الأيام.

عادة أكون وحدي حين تصل الدراسات الاستقصائية، فأخفيها قبل عودة توم إلى المنزل، أما الآن فذا مستحيل. وافقت على الاحتفاظ بها نزولاً عند رغبتني، وأكدت لي أنه لم يتم بعد نشر أي منها هذا الشهر.

-«لم لا تتصلين من خلال الإنترنت؟ يمكنني أن أنجزه الآن. قالت ليندا بعد أن فرغت من الضرب على لوحة المفاتيح.

كنت على وشك المغادرة فتوقفت، فقد كان حساباً مشتركاً. حتى إن لم يكن توم يعرف كلمات المرور على الإنترنت، إلا أنه لا يزال بإمكانه طلب التقارير من دون استئذان. عدت أدراجي كما لو أنني أمشي على حبلٍ مشدود، واصطنعت على وجهي ابتسامة ما، وقلت:

- كدت أنسى! يريد زوجي إزالة اسمه من هذا الحساب، فهل لك إلى تغييره وحصره في اسمي فقط يا ليندا؟

فاستهجنت الأمر ونظرت إلى زميلتها في النافذة التالية، فابتلعت لعابي. هل ارتأيت في أمري؟ قد يتصلون بتوم فيخبرونه أنني أحاول إزالة اسمه من الحساب. قمت بلف شريط حقيبتتي الجلدي حول راحة يدي.

- آسفة، لم أفهم.

لم تسمعني أصلاً.

- زوجي يريد إزالة اسمه من هذا الحساب، فهو لا يستخدمه ويستمر في تلقي رسائل البريد الإلكتروني التسويقية.

- طبعاً. ليس عليه سوى الحضور للتوقيع على استمارة بهذا الخصوص.

ضغطت على مفاتيحي، فخدشت حوافها الحادة راحة يدي، فتجهمت وقلت:

- حسناً. المشكلة أنه دائماً في العمل، ولا يمكنه الحضور إلى البنك أبداً.

هزئت رأسي وكأنني غاضبة من جداول أعماله.

- لا نسمح بذلك عادةً، وبما أنني أعرفك، فسأعطيك الاستبيان لأخذه إلى المنزل، برجاء أن تطلبي منه التوقيع عليه، ثم يمكنك إعادته لي.

شعرت بالارتياح، لكنني خجلت كذلك من ثقتها بي.

لطالما كنا نتجاذب أطراف الحديث عندما أتى إلى البنك. على الأقل، هنالك بعض الامتيازات للأمهات المثاليات في قرية ويمبلدون: وهن النساء اللاتي لهن اهتمامات بالأنشطة الحميدة كرقص الباليه بعد المدرسة، والهدف في مباريات الروكبي، وعشاء الجمعة، ومواعيد القهوة في منتصف النهار، رغم أن ذلك لم يكن القصة الكاملة طبعاً. كنت أعرف أن الناس ينظرون إليّ بهذه الطريقة أيضاً. كان ذا «تصنيفي الفرعي» على أي حال، أما تصنيفي الأساس ، فلا يزال أنني السمرء المسلمة ذات الأصول الباكستانية.

عندما خرجت، رأيت أولئك النساء يقمن مثلي بمهامهنّ بالجينز الضيق وشعرهن الجاف، حريصات أن ثدار حيائهنّ الأسرية وفقاً لمعايير صارمة اعتاد عليها أزواجهنّ وذرائهنّ. كنّ نساءً غير مؤديات يعشن حياةً غير مؤذية، فلا عجب أن خرقت أمانة الصندوق القواعد من أجلي.

هرعت إلى سيارتي متسائلة، كيف سأقنع توم بالتوقيع على الاستثمار. ربما كان عليّ أن أتظاهر أمامه أنها ورقة تتعلق بالمدرسة، لكن الأمر لن يكون سهلاً إذ لم يوقع من قبل على شيء من دون قراءته مرتين. تعثرت على الرصيف. ماذا لو لم يوقعها؟ ماذا لو وقعها بدلاً منه؟ لطالما كان الأطفال يمزحون قائلين إن تزوير توقيعهم سهل جداً. هزئت رأسي رافضة الفكرة. لا. إنه تزوير وخيانة لتوم.

غادرت بأقصى سرعة، كاني أهرب من لحظة جنون، وحين وصلت إلى المنزل أخفيت الورقة تحت كومة من الأوراق في درج المنضدة، ثم نزلت إلى المطبخ.

كان توم يقف خلف باب الثلاجة يهز رأسه حين قال:

- ها هنا أشياء كثيرة على وشك الفساد، ثم تقولين إنها ليست آمنة، فترمينها بعيداً. يجب أن تتوقف عن هذا.

لقد كان محقاً، لكن نبرته لم تعجبني، وتابع:

- سأضع خطة للوجبات وحداً للإنفاق اليومي، وسأعلقها على مرأى من الجميع، ثم سنأكل جميعاً الوجبة ذاتها. الأطفال سيدللون، وسأقوم بإنجاز جدول البيانات الآن.

حاولت كبج جماح غضبي من طريقة حديثه، فأنهمكت في غسل باقة الكزبرة التي اشتريتها من توتنغ بدلاً من السوبر ماركت الأعلى بثلاثة أضعاف. كان على خطأ، فقد كنت أحاول أن أكون حذرة إذ بدأ طلاء أظفاري في التناثر فتركته بدلاً من الذهاب إلى اختصاصي تجميل الأظفار، كما ألغيت موعدتي لدى مصفف الشعر.

كنت أضع الكزبرة بعيداً عندما دخلت صوفيا المطبخ وبدأت في تناول البرتقال اليوسفي، فقلت لها:

- كيف كانت المدرسة؟ أنت جائعة؟ لقد صنعت لك طبقك المفضل، لحم الضأن بالأرز.

- شكراً يا أمي. أنا أتضور جوعاً. لقد نلت المرتبة الأولى في امتحان اللغة الإسبانية، وللأنسة هاينز صديقٌ فنانٌ لديه استوديو في برشلونة، لذا نحن

زاهبون إلى هناك.

- يبدو ذلك رائعاً!

- أوه! وهي في حاجة إلى المال لأجل برشلونة
يوم الإثنين. أسفه. نسيث أن أعطيك هذه.

وأعطتني من حقيبتها رسالة مطوية.

- ظننت أن استحقاقها سيكون في يوليو؟

- تقول الرسالة إن القسط الأخير البالغ أربعمئة
جنيه كان مستحق الدفع بعد أربعة أيام.

- لا، أمي. لقد أخبرتك بهذا، لكنك لم تكوني مصغية
إلي.

حدثت في الرسالة. ما زلت مدينة لليزي بمائة
جنيه إسترليني، من أجل يوم في المنتجع الصحي
نظمته بمناسبة عيد ميلاد سام. كان علي أن أعطيها
نصبي.

بعد العشاء، وضع توم خطة وجباته في المطبخ ثم
طوقني بذراعيه وتنهد قائلاً:

- أسف بشأن ما سلف.

- أمل ذلك أيضاً! فزوجي لم يفقد وظيفته
فحسب، بل يبدو أنه يفقد صوابه أيضاً!

قلت وهزئت رأسي متبسمة لأشعره أن الأمر على
ما يرام، ثم ابتعدت قليلاً لألقي عليه نظرة من بعيد.

- توم؟ خطر لي خاطر. لماذا لا نبيع سيارتي؟
فنحن لا نحتاج إلى سيارتين، ولا ينبغي لنا أن نمس.

صندوق الطوارئ إن كان ذا يمكن أن يساعد، فنفاذ
مالنا يعني انتهاء كل شيء. أليس كذلك؟

حاولت مخاطبته بروحه الاقتصادية لإقناعه، فأنا
لا أستطيع بيع السيارة من دون موافقته.

ضحك، وقال:

- رويديك حبيبتني. كنت أفكر في تبديل محلات
السوبر ماركت، لا في بيع السيارات!

ثم جذبني إليه مرة أخرى، وأضاف:

- لدي خيارات كثيرة من أجلنا، فاهدئي!

وطبع على رأسي قبلةً وحين أفلتني مسح
عينني، فأضاف:

- لا تبكي يا حبيبتني. الجميع بصحة جيدة،
والأطفال سعداء، وما زلت لي، ولدينا في البنك
رصيد.

وعكف توم على ملء جميع أوراقنا المعلقة غير
المدفوعة، ولن يمر وقت طويل قبل أن يفعل بأوراق
صندوق الطوارئ الشيء نفسه. في اليوم التالي،
وبينما هو في السوبر ماركت الاقتصادي حاملاً
خطة وجبته، أخرجت أنموذج البنك وجلست إلى
طاولة الطعام، وتدرّبت على توقيعها على قطعة من
الورق، ثم كررت ذلك فكان مطابقاً لتوقيع توم.

وقعت على الأنموذج وأخذته إلى البنك، فأغلقوا
حساب توم فوراً، وارتكبت عملية احتيال.



قبل نهاية مايو بخمسة أسابيع

كان موعد استحقاق الرسوم الدراسية قد حل.

طبع توم الفواتير وطلب مني دفعها من صندوق الطوارئ، بينما كان هو على موعد مع وكيل التوظيف.

ركنت سيارتي بالقرب من ويمبلدون، وشعرت أنني في حاجة إلى فرصة للتفكير. كانت رسوم المدرسة بالنسبة إلي مفاهيم مجردة وغامضة، فلم أكن أعرف بالضبط كم كنا ندفع فيما مضى، بل اقتصر دوري على تحليل تصنيفات المدارس، وحضور الأيام المفتوحة وأمسيات أولياء الأمور وتجهيز الزي المدرسي في بيتر جونز. لقد صدمت عندما رأيت المبلغ بالأبيض والأسود. كان مبلغاً يستحيل سداذه.

تذكرت رسالة تقول إن الرسوم إذا ما لم تُسدد فعلى الطلاب المكوث في بيوتهم ريثما تُسوى الحسابات، وهنا تخيلت أن تُطرد صوفيا أو أحمد من الصف ويُعادا إلى المنزل.

عندما فقد توم وظيفته، فكرت بشكلٍ عابر في نقل صوفيا وأحمد إلى مدارس أخرى، أما أليكس فكان في مدرسة ابتدائية عامة محلية، ولذا لم يكن يمثل

أية مشكلة، ولكن هذا الخيار بدا لي قاسياً وقصير النظر، فصوفيا قد بلغت منتصف المستوى (A)؛ وسهرت على مقالاتها، وتحدثت عن دروس التاريخ بالحماس ذاته الذي ينتابها عادةً حيال موسيقى البوب. كانت قاب قوسين من أوكسبريدج، والأكثر من ذلك أنها سعيدة إذ هي في هذه المدرسة مذ كانت في السابعة من عمرها، لقد غدت عالمها.

كان تعافي أحمد لا يزال هشاً. أخيراً بدأ يكون الصداقات في كليسينغتون، وكف عن البكاء كل صباح متوسلاً إلي أن يبقى في المنزل، كما كان يفعل في مدرسته الإعدادية السابقة. حينها كُث أجده مختبئاً في الحمام شاحباً مرتجفاً باكياً في الغالب، وقد جلس ورجلاه فوق غطاء المرحاض. أما في طريق العودة إلى المنزل فيكون مريضاً جداً بحيث أضطر أن يحتفظ بلفافة من المناديل الورقية والأكياس البلاستيكية الإضافية في السيارة.

لقد بدأ يسألني عن سبب حمله اسماً عربياً بخلاف صوفيا وأليكس، ففوجئت بكلامه، لكنني أخبرته أنني أحب اسمه هذا، أما ما لم يخبرني به في ذلك الوقت، فهو أن مجموعة من الأولاد البيض كانوا يسخرون منه قائلين إن كنيته لا يمكن أن تكون «سوندرز» إذا كان اسمه «أحمد»، وأنهم راحوا يلاحقونه ويتنمرون عليه وينادونه «بأحمد المؤخرة».

«لا تتصرف وكأنك مثلنا.»

في الوقت نفسه، كان الصبيان الآسيويان في فصله يقولان له إنه من «الغريب» أن نطلق عليه اسم «أحمد» بينما لقبه إنكليزي وعينه زرقاوان. لم

يكتفوا بالتنمر عليه، بل لم يقبلوا به في مجموعتهم أيضاً. كان الأمر بالنسبة إلى أحمد بالسوء ذاته.

قررث في نهاية المطاف نقله إلى مدرسة إعدادية صغيرة في كليسينغتون قبل ستة أشهر، وهي مدرسة تقع إلى جوار مدرسة صوفيا، وها قد بات ابني الآن سعيداً ومستقراً، وسأفعل أي شيء لإبقائه على هذه الحال.

فكرث بالمجوهرات الموجودة في البنك.

لسوء الحظ، سرقت في عملية سطو مضت عليها بضع سنوات معظم أشيائي التي كان من بينها أطقم زفافي الباكستانية التقليدية وأساوري الذهبية، ومع ذلك فلدي بعض القطع المتبقية التي اشتراها لي توم على مر السنين، فإذا ما بعثها جمعث ما يكفي لدفع التكاليف.

في البنك، أوغلت يدي في الخزنة المعدنية، فشعرث بالحقائب التي تعشش هناك كأنها مخلوقات مخملية صغيرة تنعم في سباتها، ثم أخرجث كل ما فيها من أقراط وقلائد وخواتم، ووضعتها في حقيبتني.

كانت هنالك في الخزنة حقيبتان أخريان من المخمل الأسود، وقد لُفث كلُ منهما بغلاف أصفر، فكان اسم صوفيا الذي كتبته ديانا، جدة توم الراحلة، مكتوباً على إحداهما، واسم أحمد على الأخرى. إنها موروثة عائلياً منحها لها زوجها أول عهدا بالزواج في أربعينيات القرن. كان لصوفيا فيها دبوش ذهبي، ولأحمد خاتم خطوبتها الماسي الذي ظلت ترتديه ٦٢ عاماً.

لم أقيم تلك القطع مطلقاً لأنني لم أعتبر قط أن قيمتها تُقدر بالمال، أما في ظل الوضع الراهن فمن الجيد أن أعرف ما قد تساوي. لا بد أنه كان خيارني النووي الذي أدركت حاجتي إليه. وضعتها في حقيبتني كذلك.

في محل المجوهرات في القرية، لم يخف الجواهري دهشته عندما قلت له إنني لن أشتري، بل سأبيع فسألته إن كان بإمكانني الحصول على المال نقداً مقابل بضاعتي، في ذلك اليوم.

فأجاب:

- إن ناسبتنا القطع. هل هي كذلك؟

جلست على طاولة صغيرة خضراء مغطاة باللباد، بينما جلس هو على كرسي أعلى قليلاً، وعمت السلطة الغرفة، وغدا الجو أكثر حربيةً لكلينا.

قمت بنشر كنوزي على الطاولة وبدأ بفحصها. كان لعينه التي تقيم الحجارة جهازاً يساعدها على النظر داخل الحجارة، أما عينه الحرة الأخرى فبدت بارعةً كذلك في رؤية ما في داخلي. شعرت بالضييق عندما وقع نظره على حقيبة يدي الزرقاء البحرية لأنني كدت أسمع عقله يتسابق وهو يحاول التوفيق بين شعري الطويل المظلل ومعطفي الكشميري الرمادي الباهت وبين حاجتي إلى المال نقداً.

وضع الأقراط المرصعة بالماس التي اشتراها لي توم، وجلس ونظر إلي للمرة الأولى، وقال:

- سأعطيك ثلاثة آلاف.

- للأقراط؟

- للكل.

وبدأت بحك الأكزيما على يدي، فكان صرير أظفاري في جلدي الصوت الوحيد المسموع في الغرفة، وعلى الرغم من نظراته إليّ، إلا أنني لم أستطع التوقف حتى سالت منهما قطرة دمٍ أحرقت بشرتي.

قمتُ بإحصاءٍ سريعٍ لما دفعه توم مقابل هذه الأشياء: الأقراط، وهي هدية عيد رأس السنة؛ وقلادة اللؤلؤ التي كان قد طوق بها عنقي في عيد ميلادي الأربعين قبل أربع سنوات، وذلك خلال رحلة جوية ليلية عدنا فيها من كازاخستان، وقصد بذا أن يكون معي عندما أستيظظ؛ وخاتم الكوكيتيل الذي وضعه داخل حقيبة برغر كنج، وهو كل ما كنتُ أتوق إليه قبل أسبوعٍ من ولادة أحمد، وأقراط الزبرجد التي وضعها على وسادتي عندما بلغ أليكس أسبوعه الأول حيث كنتُ أفرك حلمتي المتشقة بالكريم والدموع تنهمر على وجهي. كانت كل حلية لبنةً في زواجنا، وذكرى مرحلةٍ سعيدةٍ فيه. كانت هنالك قطع أخرى أيضاً. لا بد أن توم أنفق لقاءها أكثر من اثني عشر ألف جنيه.

- لكنها تستحق أكثر من ذلك بكثير.

- لا بد من أن تعي أنك لن تبيعيها بمثل ما اشتريتها. لو أحضرت لي ذهباً أو عملةً قديمةً لدفعث لك أكثر من ذلك.

كانت ذا علامةً.

فتحت حقيبتني متخيلة رد فعل ديانا لو رأتني أبيع أشياءها المفضلة، لكنني شعرت في الوقت نفسه بالارتياح عندما علمت أنه لا يزال لدي مخرج. سلمت القطع معاً كما لو كانت مهربة، فقال:

-الآن يبدو ذا واعدًا أكثر بكثير.

لحق شفتيه إذ كاد لعابه أن يسيل. لقد حنث بوعدني لديانا، وخسرث الرابط الوحيد الذي يربط الأولاد بها. أحرصت شكوكي بينما أراقبه يتلمس القطع. إنها أشياء لن تفتقدها صوفيا وأحمد، فهما لن يمتلكاها أبداً إذ هما في حاجة إلى المال أكثر منها.

أخرج عدسة نحاسية أكبر، وبدأ يفحص الدبوس ممسكاً به أمام العدسة مباشرة، وهو يقلبه بين يديه لرؤية وجهه الآخر أيضاً. كانت على إحدى أصابعه جبيرة قد بليت حوافها المتسخة. أصبحت الغرفة حارة فخلعت معطفي.

أخذ نفساً عميقاً. قد يحل هذا جميع مشكلاتنا دفعة واحدة.

- مزورة! بصق الكلمة ودفع القطع نحوي كما لو أنه لم يعد يطيق لمسها بعد الآن.

- ماذا؟ قلت متجهمة، مستحيل! إنها تعود إلى جدة زوجي.

كان صوتي حاداً جداً، وكان هذا الرجل محتالاً، فقال:

-أخشى أن هذا صحيح. يمكنك عرضها على صاغة آخرين، لكنهم سيقولون لك الكلام ذاته.

خَفَّ صَوْتُهُ عِنْدَمَا رَأَيْتِي أَنْهَارَ، وَقَدْ هَمَّتْ دَمْعَةٌ أَنْ
تَنْزِلَ مِنْ عَيْنِي فَسَارَعْتُ إِلَى مَسْحِهَا قَبْلَ أَنْ تَنْهَمِرَ
عَلَى وَجْهِ.

- إِنْهَا قَطَعَ جَمِيلَةً قَدْ أَدْفَعُ لِقَاءَهَا بَضْعَ مَنَاتٍ، لَكِنِّي
أَنْصَحُكَ بِالِاحْتِفَازِ بِهَا دَاخِلَ أُسْرَتِكَ لِمَا لَهَا مِنْ
قِيَمَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ.

لِمَاذَا كَذَبْتَ عَلَيَّ دِيَانَا؟ وَمَضَى التَّظَاهَرُ فِي سَبِيلِهِ،
وَانْحَنَيْتُ إِلَى الْأَمَامِ، وَقُلْتُ:

- أَلَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَعْطِيَنِي سَعْرًا أَفْضَلَ لِلْقَطْعِ
الْأُخْرَى؟ رُبَّمَا أَرْبَعَةَ آلَافٍ؟ وَجَفَّ حَلْقِي. مِنْ فَضْلِكَ؟

وَقَبْلَ أَنْ يَتِمَّكَنَ مِنَ الْإِجَابَةِ دَخَلَتْ امْرَأَةٌ فِي مِثْلِ
سَنِي وَجَلَسَتْ، وَدَسَتْ سَاقِيهَا الْمَسْمَرَتَيْنِ تَحْتَ
الطَّاوِلَةِ؛ فَسَمِعْتُ لِلْأَسَاوِرِ الْفُضِيَّةِ فِي مَعْصَمِهَا
صَلْصَلَةً حِينَ رَاحَتْ تَسْرَحُ شَعْرَهَا الْأَشْقَرَ لِلْخَلْفِ
وَتَبْتَسِمُ.

تَوَسَّلْتُه بِعَيْنِي لَكِنَّهُ هَزَّ رَأْسَهُ.

دَسَسْتُ الْمَجَوْهَرَاتِ فِي حَقِيبَتِي، وَعَلَّقْتُ مَعْطَفِي
بِأَرْجْلِ الْكَرْسِيِّ حِينَ نَهَضْتُ وَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ.

- عَذْرَاءُ!

وَعِنْدَمَا انْحَنَيْتُ لِالْتِقَاطِ مَعْطَفِي، انْزَلَقَتْ حَقِيبَتِي
مِنْ يَدِي، وَتَنَاقَرَتْ عَلَى الْأَرْضِ مَفَاتِيحِي وَصَرَّتِي
وَمَجَوْهَرَاتِي فَتَدَحَّرَجَتْ عَشْرَةَ بَنَسَاتٍ نَحْوَ زَاوِيَةِ
الْغُرْفَةِ، ثُمَّ دَارَتْ مَدْوِيَّةً فَوْقَ الْوَاحِ الْأَرْضِيَّةِ. مَلَأَتْ
الدَّمُوعُ عَيْنِي، فَقُمْتُ بِتَعْدِيلِ الْكَرْسِيِّ مَدْرَكَةً أَنَّهُمَا
كَانَا يَنْظُرَانِ إِلَيَّ، فَأَبْقَيْتُ رَأْسِي مُنْخَفِضًا، وَأَعَدْتُ

كل شيء إلى حقيبتني، وهربث قابضةً معطفي إلى صدري.

لا بد أن من رآني خالني كنت أشتري، لكنهم لو نظروا عن كثب لראوا تهدل كتفي، وإطراق رأسي كمن يبحث في أحجار الرصيف الرمادية المتسخة عن إجابات.

مررت بالبنك، فلفت نظري ملصق ملون بأحرف كبيرة تقول: «قروض شخصية» تحثني على الدخول «ومعرفة ما إذا كان في مقدورنا مساعدتك فامتثلت للنصيحة.



قادني المديز إلى مكتبه؛ واسمه الأول روبرتو، وهو رجل بنظارات ولكنة عصرية اسكتلندية، فقلث:

- أود الحصول على قرض صغير من فضلك.

- بالتأكيد، سيدة سوندرز! قال كما لو أنني طلبت كوب كابتشينو.

- نادني فائزة من فضلك.

فتبسم وقال:

- فلنبداً بالنظر إلى سلسلة معاملاتك. وبدأ التمرير على شاشة حاسبه.

تململت في مقعدي غير قادرة على الجلوس هادئة، ولا على فعل شيء سوى النظر برعب. كانت سلسلة معاملاتتي مسيرة مشينة، وراحت حياتي تُعزى بقصد التفتيش، ففحص كل ما أخفيته عن توم ووالدي وحتى أصدقائي من تفاصيل على يد غريب يجلس أمامي مباشرة. لم أتمكن البتة من النظر إلى تلك التفاصيل اللعينة؛ فلطالما رميث الإيصالات من دون أن أتحقق من البيانات أو أقوم بتحميل تطبيقات الصيرفة.

لا بد أنه رأى سقوط مدخراتنا الحز، وكيف

استنزفت منها الاف الجنيهات حتى جففت بذا
منايع عائلتي. كان كل شيء في المعاملات تلك
يتعرض لفحصه الدقيق.

ظننت أن استخدام صندوق الطوارئ كان الحل
الأمثل، و ليس على توم أن يقلق بشأن المال، وأن
لي أن أتحقق من عدم شعور أبنائنا بتخلينا عنهم،
والاختلاف عن أصدقائهم، كما مر بي في طفولتي،
كما أن هذا يعني أنني وتوم لن نتشاجر بشأن المال
كما تشاجر والداي.

كنت أخطط دائماً لإعادة الأموال.

انتظرت أن يشعر المديز بالاشمزاز مما رآه، ولكنه
لم يتحدث إلا خمساً، فقال:

- مممم... كم المبلغ الذي تودين اقتراضه، يا
فايزة؟

- شعرت بالارتياح قليلاً، ثم ابتسمت وجلست،
قائلة:

- نعاني من أزمة سيولة طارئة مؤقتة؛ فزوجي
سيغير عمله، وأنا كذلك أجري مقابلات عمل، ولذا
أحتاج إلى اقتراض ما أسد به الرسوم الدراسية من
فضلك.

لم الحظ تغير تعابيره لآلاف الجنيهات التي
طلبها. أدخل البيانات في حاسبه، وقال:

- إذن، فرسوم العام الدراسي هي سبب الاقتراض.

- لا، بل سنغطي به الرسوم الدراسية لفصل دراسي
واحد فقط. قلت.

رفع حاجبيه حينها، ففركت رقبتى، وقال:

- أعلم هذا؛ الأمر مكلف جداً. أليس كذلك؟

- إنه مكلف فعلاً، لكننا لسنا الوحيدين الذين يدفعون، ثم إن لي أسبابي الخاصة لإبقاء أطفالي داخل الفقاعات المختومة من بروكوود هاي وكليسينغتون، وذلك أنني لم أنس قط ما مررت به قبل أن يأخذني والداي إلى بروكوود. كان طلاب مدرستي القديمة يبصقون علي عندما أعود إلى المنزل، كما كان زملائي جميعاً يسخرون من سراويل والدتي وقمصانها عند حينما كانت ترافقني إلى المدرسة، ناهيك عن الفتيات اللاتي كن يعزفن عن الجلوس إلى جوارى لأن لي «رائحة باكستانية قذرة».

لكن كل شيء تغير أن حصولي على منحة دراسية إلى بروكوود التي لم أسمع فيها تعليقاً عنصرياً واحداً طيلة السنوات السبع التي قضيتها فيها، ولذا حين أن أوان اختيار مدرسة لصوفيا اتخذت قراراً عاطفياً وقع على بروكوود التي كنا حينها قادرين على تحمل تكاليفها.

- المشكلة يا فاييزة هي أنه يجب أن تكون لدى أحدكما وظيفة حتى يتم منح القرض.

حاولت إبطاء تنفسي، وألا أبدو كمن يشرح شيئاً ما لطفل يبلغ ثلاث سنوات.

- الأمر صعب بعض الشيء، روبرتو؛ فأنت ترى أن سبب حاجتنا إلى القرض هو أن كلينا بلا وظيفة.

وابتسمت وهزئت براسي كما لو كنت مستمتعة
بمحنة الحياة التي تمارسها علينا.

- أخشى أننا لن نستطيع أن نمنحك قرضاً، ما لم
تكن هنالك آلية لسداده.

وفجأة تحول روبرتو البسيط إلى روبرتو الموظف
الصارم صعب المراس.

انحنيت إلى الأمام مستندة إلى حافة مكتبه.

- روبرتو، أنا من عملائكم منذ أكثر من عشرين
عاماً، لقد فتحت حسابي هذا منذ كنت في الكلية،
فلو نظرت إلى نفقاتنا لعلمت أننا نكسب الكثير من
المال. ألا يمكنك مساعدتي؟ أرجوك!

جاءت الكلمة الأخيرة بصوت خافت.

- كبادرة حسن نية إزاء تعاونك الطويل مع البنك،
يمكنني أن أقرضك خمسة آلاف جنيه، لكن سعر
الفائدة سيكون أعلى.

كانما كان كل ما سمعته هو أنه سيعطيني خمسة
آلاف جنيه، فوقعت على كل ما قدمه لي من أوراق
من دون أن أسأله عن سعر الفائدة الأعلى.

- إن حصلت على وظيفة يمكننا مناقشة خيارات
أخرى، كبطاقات الائتمان أو القروض الأخرى.

شعرت كأنما روبرتو سحب سكيناً من صدري فبات
في مقدوري التنفس من جديد.

ولما غادر البنك كان المطر يتساقط، فانحنيت
إلى الأمام أصارع الريح التي تدفعني إلى الوراء،

وقد أعمتني قطرات الماء البارد. مع الالاف الثلاثة التي حصلت عليها من الصانع، صار بحوزتي ثمانية آلاف جنيه للمدارس، أما ما تبقى فقلت لهم إنني سأدفعه في غضون شهر لا بد لتوم خلاله من تدبير وظيفة ما.

لم تكن لدي مظلة، ولذا بدأت بالركض نحو الصانع حتى فتح المالك الباب لي، فقلت:

- سأخذ المال من فضلك.

- مهلاً! أنت! انتظري دورك!

ضايقني صوت غناء، واستدرت، فابتسمت لي جوليا وقد رفعت خصل شعرها الأشقر بيد واحدة، ووضعت صفاً من الألماس حول عنقها الناعم. وهنا ابتلعت ريقى متسائلة ما إن كان قد سمعت ما قلته.

لمحت وجهي في مرآة خلف العدادات، فرأيت بقعاً من الكحل على خدي، فحاولت مسحها.

- أعرف رالف منذ زمن طويل، وها هو لا يمنحني خصماً. قالت مبتسمة للمالك.

- لست في حاجة إلى الخصم!

وتشاجرا كأصدقاء قدامى.

- ماذا ستشترين يا فايضة؟ قالت جوليا.

أردت أن أقول إنني «رأيت بعض الأقران فأحببتهما»، ولكن الصانع كان يستمع إلينا، فاخترت المضي نحو قول الحقيقة.

- أعيد تدوير القطع القديمة التي لم أعد أرتديها.

- ولذا سمعتك تطلبين المال. قالت.

التفت إلى رالف، وقلت:

- تبدو مشغولاً. لذا قد أعود لاحقاً.

ولما وضعت يدي على مقبض الباب أضافت:

- كيف حال توم؟ رأيته يُقلُ صوفيا، فكيف سمحوا
له بالخروج طوال اليوم؟

فتصرفت كأنني لم أسمع ما قالت ولذت بالفرار،
تسربت المياه عبر ياقة معطفي، وتدفقت التيارات
الباردة نحو ظهري، لكنني لم أهتم إذ في حوزتي مال
الرسوم، أو معظمها تقريبا.

لقد نجوت من جوليا بصعوبة، فلو أتت قبل ذلك
لرأيتني إذ أتوسل رالف لقاء بضعة آلاف جنيهات
إضافية، إذن لقالت إن موروثة أسرتي مزيفة.
توقفت عن المشي برهة. إنها ورالف صديقان، وأنا
أعلم أن الصاغة لا يؤدون يمين السرية، ولذا، من
الممكن أن يكون قد أخبرها الآن بكل شيء ...



كنت قد زورت توقيع توم، وحصلت على قرض بنكي، وبعث كل مجوهراتي ومجوهرات ديانا، فكان شعوري بالذنب ثقيلاً أورثني في حلقي اختناقاً، وفي صدري حرقاً كلما ابتسم لي توم أو عانقني ونحن مستلقيان على السرير.

لم أكن أتوقع أن تنتهي بنا الحال هكذا وجداز من الأكاذيب بيننا. لطالما كان التظاهر جزءاً من حياتي بطريقة ما، أما مع توم فلم أكن قط إلا حقيقية.

لهذا السبب وقعت في حب توم؛ فمعها لم أكن مضطرة أن أكون ابنة صانع السلام التي عليها أن تفكر قبل أن تقول أي شيء، كما لم يكن من الضروري أن أكون إنكليزية أو باكستانية أكثر مما أنا عليه اعتماداً على الجمهور الذي أخاطبه أو أن أطمس - كما في العمل - أية حواف عرقية في مظهري أو محادثتي كي أندمج مع الجماهير. لقد كان توم يرى فيّ فائزة وحسب.

كانت عضلات بطن توم الستة أول ما رأيته فيه، فأغرمت بحبه. حينها دخلت شقة صديقتي إيليا لتناول العشاء فرأيت وسط غرفة المعيشة رجلاً طويل القامة يمد يده ليغير مصباح السقف الكهربائي.

ارتفع قميصه فكشف لي عن عضلات بطنه المغطاة بشعر بني فاتح أجعد؛ فعجزت عن أن أصرف نظري عنه رغم علمي أن علي ذلك.

كانت إيلا تعمل معي، وكان توم زميل صديقها في الكلية. عملنا معاً في المدينة، وكان توم يحضر حفلات ما بعد العمل، ووجبات الإفطار والغداء وعشاء نهاية الأسبوع مع الثلة من الأصدقاء ذاتها التي كنتُ فرداً فيها، وكنتُ أزداد حباً له، كلما رأيته أكثر، وتلك مشكلة بالتأكيد، فقد قيل لي وفق ما أتذكر إن علي ألا أتزوج إلا من كان في ذلك الوقت باكستانياً ولائقاً تمهد له شبكات العلاقات المعتمدة. لم تكن المواعدة خياراً، وكان الإعجاب بمن لا يستوفي تلك المعايير أمراً محرّجاً جداً. ولما لم تُخب جذوة هوسي بتوم كما توقعت، فقد قررتُ أن أحاول تحييد الأمر، فرحتُ أتحدث معه أكثر بدلاً من الاكتفاء بالإعجاب به عن بعد، وذلك أملاً في أن أرى في قربه ما لا يروقني، وهو تكتيك كنت قد استخدمته من قبل لأنقذ نفسي من الإعجاب بأحدهم.

لكني بعد أن قضيت مزيداً من الوقت إلى جواره، رأيتُ منه مرحاً ولطفاً لا عيوباً. كان مختلفاً عن رجال الثلة الآخرين وصخبهم. كانوا يبدوون مثل الصبيان، بينما كان توم رجلاً. صحيح أنه لم يكن يطيل الحديث، غير أنه إذا ما تحدث أصغى إليه الجميع. كنتُ أرى في تعابيرهِ الجادة فكاهةً، فإذا ما ابتسم أضاء وجهه. بهرتني عيناه اللتان كانت درجاث اللون الأزرق لا تتغير فيهما وفق الضوء وحسب، بل وحين يركز في فيلم أو يضحك أو يتعب. أحببتُ يديه وجهته وطريقته في تجنب

سألني توم أسئلةً عني وعما أريد أن فعله في الحياة، فاستمع إلي حين أجبته، ولما أشار أحدهم، كما يفعلون عادةً، إلى أن إحجامي عن المشروبات الكحولية ممل، لم يقل توم كغيره من الناس أن «تعالى نحتس بعضه!»؛ بل سألني ما إن كان يمكنه شراء الكولا أو عصير الفاكهة لي بدلاً من ذلك.

لم يبد توم كمن يروم أكثر من الصداقة السهلة التي أنشأناها، فشعرث بالارتياح، لكنَّ رغبتني التي كانت من طرف واحد لم تجد لنفسها سبيلاً، فكان عليها أن تموت عاجلاً أم آجلاً. كنتُ أرغب في العودة إلى حياةٍ لا أعاني فيها من رغبتني في لمسه، وشوقي إلى لحظاتٍ قد أراه فيها مرةً أخرى.

غادر كلانا الحانة ذات يوم، وكان مترو الأنفاق مزدحماً، فوجدنا مساحةً نقف فيها؛ لكن يدي لم تستطع الوصول إلى السكة في أعلاه، والتي أمسك بها توم قبل أن يبدأ مترو الأنفاق في التحرك، ورحت أتمايل فطوق بيده الأخرى ذراعي لتثبيتتي، وقال:

- لقد فهمتك!

اهتز الميترو مرةً أخرى فضممني إليه، ووصلت ذراعه إلى ظهري لتثبيتتي، فنظرث في عيني، كانت زرقتهما أكثر قتامة. مال رأسي إلى الخلف من تلقاء نفسه، فدنا وجهه مني أكثر، وهنا نظرث للأسفل مرةً أخرى فشد ذراعيه حولي. أغمضت عيني واتكأث عليه وقلبي ينبض.

وحين خرجنا من المترو أخذ بيدي لأول مرة؛

فقلت:

- ظننتك غير مهتم.

- أخبرتني إيلا أنه لا يسمح لك بمواعدة أحد،
كما أخبرتني بكل شيء عن والديك؛ فخشيت أن
أخيفك.

دعاني إلى النزهة في اليوم التالي.

- «للتوضيح فقط، إنه موعد سنكون فيه نحن
الاثنان وحدنا.» لم يكن توم يلهو بل كان صريحاً
في دعوته.

لم أخبر أمي وأبي بأمر توم إذ لم أعتقد في البداية
أن الأمر يستحق الذكر لأن توم قد يتركني بعد
بضعة أشهر. كان الأمر معقداً للغاية. عندما طلبني
للزواج قررت أن أكون صادقة تماماً مع أمي وأبي،
فلم أستطع الاختباء خلف كذبة أهدئ بها الأمور كما
هي عادتي، وخاصةً أنني أردت أن أكون مع توم.

أصبحت فجأة سبب الاضطرابات في منزلنا
والعلاقات فيه إذ لاماني ولاما بعضهما لتدمير
حياتي وحياتهما، وإلحاق العار بالأسرة. كان الإغراء
عظيماً للاستسلام وقبول قرارهما واستئناف دوري
في الحياة لإرضاء الأمور وتهديتها.

لكني لم أستطع التخلي عن توم، وللمرة الأولى
والوحيدة خاطرت بكل شيء من خلال إظهار
شخصيتي وأهدافي الحقيقية أمام والدي.

تنهدت وأنا أنظر إلى توم النائم إلى جوارتي. كان
عليّ أن أخبره بالحقيقة حين اكتشفت أن أموال

الطوارئ قد تبددت، أما الآن فهناك الكثير من الأكاذيب وقد فات أوان المكاشفة. كلما بكَرث في إيجاد وظيفة عَجَلت في رد الأموال بحيث يمكن لنا أن نعود كما كنا، لكنني لم أتلق رداً على طلباتي حتى الآن.

و ذات صباح؛ وبينما كان أبناؤنا في المدرسة، جلست على الأريكة، وضممت وسادةً إلى صدري، ورحت أحدث بريدي الإلكتروني. وقف توم أمامي وقد بدا أكثر سعادةً بعد أول مقابلة ناجحة مع بنك أمريكي قبل أيام قليلة.

- ما الخطب؟

- لم لا يتصل أحد بي؟ لقد تقدمت إلى العديد من الوظائف! قلت بحزن.

- تحتاج مثل هذه الأشياء إلى الوقت، ولاكون صادقاً معك فإن في سيرتك الذاتية فجوة كبيرة قد تجعلهم لا يفكرون في طلبك أصلاً. دعينا نسأل وكيل توظيفي إن كان بإمكانه مساعدتنا. تعالي.

- سأرسل بريداً إلكترونياً إلى ريتشارد الآن.

لا أصدق أنك تبحثين عن وظيفة من أجل مساعدتي. أنت مميزة أيتها الفتاة.

تحاملت على الابتسام، وقلت:

- أنا لا أساعدك، بل أساعدنا. نحن في القارب معاً أيها الفتى!

فضحك.

- صحيح أنك قلقه من عدم إجراء مقابلة، لكنك على الأقل لست في معترك السوق منذ سنوات. فكري فيما يشعر به أمثالي. لم أخضع إلا لمقابلة واحدة حتى الآن. وابتسم، وتابع: وعلى هذا النحو قد أخضع لأخرى بعد أن أموت.

- مهلاً! لن تتركنا بهذه السهولة. من الأفضل أن تبقى لتشاركني كل المتعة!

-أنت متأكدة؟ تأمين حياتي ١٥٠ ألف جنيه إسترليني.

-إنه فتاة! أخشى أن تضطر إلى العثور على وظيفة رغم كل شيء.

ضحكنا، وراح يمسد شعري وأنا أقاوم دموعي.

-هل يمكنك إرسال بريد إلكتروني إلى وكيل التوظيف الآن؟ أريد أن أجد وظيفة.

ابتسمت وسلمته جهاز الأي باد خاصته.

كان علي أن أصلح الأمر، فتوم لا يعرف ما فعلته، وما فعلته قد يدمره ويدمرنا.



قبل نهاية مايو بأربعة أسابيع ونصف

حضر الجميع حفلة عيد والدي السنوي؛ أفراد من العائلة والأصدقاء القدامى الذين طالما أحضروا أفراداً من عائلاتهم وأطفالهم وأحفادهم أيضاً. أما نائلة التي تصفها أمي «بابتها الثالثة» فستحضر برفقة زوجها طارق الذي كان صديق توم المقرب، وابنيهما المراهقين.

كنت أعلق ملابس عيدنا الجديدة باكستانية الطراز، والتي كانت تخصنا جميعاً بما في ذلك توم، وكنت أنوي مساعدة والدي في وضع كل شيء في مكانه قبل العودة إلى تغيير الملابس.

حدد موعد مقابلة توم الأخيرة في البنك الأمريكي في غضون عشرة أيام، فراوحنا بين الحماسة وتذكير أنفسنا بعدم وجود أية ضمانات، لكنني منحت نفسي بضع ثوانٍ من بصيص أمل كما لو كنت أتنفس الهواء النقي بعمق متخيلة كيف للحياة أن تكون إذا ما نال الوظيفة، ثم ما لبثت أن غصت تحت الماء إلى كابة واقعنا الراهن.

عندما وصلت إلى شقة والدي، كانت هناك زوبعة من النشاط.

بدا أبي نقياً بقميصه الأزرق الباهت وربطة عنقه

التي ذكرتني بطفولتي، وكان جالساً إلى مائدة الطعام يحضر شطائر البيض التي قطعها إلى مثلثات دقيقة حسب تعليمات أمي. رتبت على المائدة أطباق التقديم لوجبة عيدهم المعتادة: من الكباب إلى الخبز الهندي، والضاحي الباكستاني، وفتة الحفص، والحساء الشعبي، وخبز النان، والعجة، والسنبوسة، وسلطة الفواكه والحلويات، ثم أخرجت كؤوس الكريستال لتقديم المانجو وعصير البرتقال، كما أخرجت كعكة الشوكولا التي أعدتها بنفسي، والتي زينتها صوفيا بعبارة «عيد مبارك» بالكريما البيضاء المثلجة، بعد ذلك عكفت على تنظيف حمام الضيوف، وهياث بعض المناشف وورق التواليت، وقمت بتنظيف غرفة المعيشة بالمكنسة الكهربائية وإزالة الغبار قبل ترتيب كراسي غرفة الطعام على شكل نصف دائرة بحيث يكون هنالك ما يكفي من المقاعد، ثم وضعت الزنبق الوردي في إناء؛ وكنت في الليلة السابقة قد أعدت بعض تلك الأطباق في منزلي، وأنا الآن أساعد أمي في تجهيز الأطباق الأخرى، لأن أمي لم تكن تثق بمقدرتي على الطهو الصحيح.

كانت تقطع الفستق إلى شرائح رقيقة بينما أنا أنظر إلى السكين الحاد يدنو من أصابعها. أعطتني وعاء صغيراً من السيفيان المحلى المخصص للعيد، فشممت الزعفران وأكلته بسرعة رغبةً بالسكر فيه.

- اشتاق أختك جداً، وخاصة في العيد.

- سنراها في اتصالٍ هاتفيٍّ لاحقاً. اتفقنا؟

وطوقت أمي بذراعي.

أقلت فرح باللوم على والدينا لفسخ خطوبتها إذ أخبرتني أن سبب خوفها الشديد من ارتكاب إثم الزواج هو ما شاهدته من اضطرابات في علاقة والدينا، وما أزعجني أكثر هو أنها ما زالت تتذرع بهما رغم أنها قد بلغت الثامنة والثلاثين من عمرها، لكنني تساءلت مؤخراً ما إذا كانت وجهة نظري تستحق النظر. أوكنت سأجنب كل المحادثات المحرجة حول المال مع توم، لو لم أكن خائفةً من أن ينتهي بي الأمر مثل أمي وأبي؟

بينما قصدت الحفلة مع توم والأطفال في وقت لاحق، كانت السيارة صامتةً وأنا أوبخ صوفيا.

- لماذا لم ترتدي ملابس العيد؟ لقد اشتريتها خصيصاً لهذه المناسبة.

- لا أريد ارتدائها. اتفقنا؟ بل لم أكن أريد حضور تلك الحفلة الغبية أصلاً، لكنني أتيت. أليس ذلك كافياً؟

قال توم:

- لست مضطرة أن تتحدثي إلى أمك بهذه الطريقة.

- ثم قام توم بتشغيل الراديو وبدأ في الغناء مع أغنية من أغاني الثمانينيات، وما لبث الأطفال أن انضموا إليه، بينما رحب أحدهم من النافذة متسائلةً عن ما سيحدث لعائلتنا إن لم يحصل توم على هذه الوظيفة.

كان علي أن أكف عن القلق، فقد عرض البنك على توم الوظيفة، ولم يكن ليصل إلى المرحلة

النهائية لمثل هذا المنصب الرفيع لو لم يتخذ القرار. بات توم يبتسم في هذه الأيام أكثر من ذي قبل، ويتحدث عن التقى بهم في المقابلة الأخيرة، ومدى توافقهم وارتياحهم بالحصول مجدداً على راتب سيوفر علينا الاضطرار إلى استنزاف مدخراتنا.

دارت السيارة وكث أسقط صفيحة «السنبوسة» التي كنت أحملها. حاولت حماية القميص الحريري الأزرق من أي أثر للزيت. كان وشاحي المصنوع من الشيفون المزين بخرز صغير مطوياً داخل حقيبتني، وكنت قد تحليت بأساور زجاجية زرقاء وفضية في كل معصم، وتزينت بأحمر الشفاه.

كانت حقيبتني تحتوي على رزم أوراق نقدية متفضضة من فئة العشرة أو العشرين جنيهاً استرلينياً لتوزيعها كعيدية على جميع الأطفال في الحفلة، أما في هذا العام فساؤطر إلى التظاهر بنسيان إحضار المال لأنني لن أستطيع تقديمه ولا شرح السبب أيضاً.

حالما وصلنا، انهال علي عناق لا حصر له، فرحت انتقل من شخص إلى آخر متمنية عيداً مباركاً لجميع الأصدقاء المحتشدين في شقة والدي، وقد راقني كيف ألف العيد الجميع فيما يشبه الشعور بالعائلة ودفء الأجيال رغم عدم وجود صلة القرى. راحت العمات والأعمام الذين كانوا يسألونني عن اختياراتاتي الجامعية الآن يسألون صوفيا عن خياراتها، ثم تراهم يسدونك النصح، ويحدثونك، ويعانقونك، ويقبلونك، ويطعمونك.

عندما كنت أصغر سناً، كنت أتمنى أن أحذف

الكثيرين من أصدقاء والدي والجانب الباكستاني من ثقافتني عموماً، فلا يضطر أصدقائي الإنكليز أبداً إلى تحمل مثل هذه التحقيقات والتدخل، ولكنني أدركت بمرور السنين أن هؤلاء الكبار إذا ما شعروا أن من حقهم سؤال الجميع وإرشادهم، فذلك لأنهم يهتمون بالآخرين حقاً، وأن هذه القدرة على رعاية الكثير من الناس كانت شيئاً خارقاً، فهم حاضرون في كل مرحلة من مراحل حياتنا الطيبة والسيئة على حدٍ سواء.

صافح توم اثنين من أعمامه.

- كيف العمل يا توم؟

جمدت. لقد نسيت أن أحذر توم من التحدث في الأمر في الوقت الحالي إذ لم تكن لدى والدي أية فكرة عن عمل توم، ولذا لا ينبغي أن يكون الخبر قبلة تسقط وسط عطلة العيد فتنتشر سريعاً لتصل إلى أمي وأبي في ثوانٍ، وهنا صرخت أنادي توم قبل أن يتمكن من الإجابة.

- توم، لدي حالة طارئة بخصوص «السمبوسة»،
عذراً، يا عمي!

وأخذت توم إلى غرفة الضيوف.

- عزيزي، سيسألك اليوم خمسون شخصاً عن عملك، فلا تقل شيئاً من فضلك.

- لكنني لا أرى في قول ذلك سوءاً الآن، فقد مر وقت طویل.

- لا! لا يمكنني السماح لأن يعرف والدي ذلك؛

وخاصةً بهذه الطريقة، فلا يخفى عليك أنهما سيصابان بالذعر، ولا شك في أن التوتر سيكون خطراً على أبي. ثم إنك في كلتا الحالتين ستحصل على وظيفة جديدة قريباً، فما الداعي لإخبار أي كان؟

- ماذا يجب أن أقول لمن يسألني عن عملي؟

- فقط قل: «أوه! كما تعلم...»؛ وابدأ في سؤاله عن عمله أو أبنائه. أرجوك.

لقد اضطررت إلى تزويده بقلب من الكذب لأنني أعرف أنه لا يجيد ذلك.

ظل حائراً، ولكنه حين رأى وجهي قال: «حسناً»

حالما انتهينا من التهام مأكولات العيد، تلقى جميع الأطفال عيدياتهم، وجلسوا يعدون غنائمهم. ساعدنا طارق ونائلة في التنظيف فاحتشدنا جميعاً في مطبخ والدي الصغير.

ذهب توم وطارق لإحضار المزيد من الأطباق.

- لم لا ترتدي صوفيا ملابس العيد؟ سألت نائلة.

- لأنها شقية!

- لا يجب أن تدعيها تمعن في ذلك. إنه عدم احترام.

كانت نائلة تتحدث دائماً عن أهمية التقاليد، ولما كان أطفالها يتلقون دروساً في اللغة الأردية راحت تلومني على عدم تسجيل أطفالتي، والسماح لهن بتعلم العامية منها عبر أمي. جاءت ابنتها سيما

البالغة من العمر ستة عشر عاماً مرتديةً سروال وقميص السلوار. إنها ابنة نائلة الصغرى.

كانت مخطئةً عندما قالت إن صوفيا غير محترمة، فعلى الرغم من أنها لم تكن ترتدي ملابس العيد، إلا أنها قدمت الشاي لجميع الضيوف، وراحت تحمل الصينية الضخمة من شخص لآخر بشكل نال إعجاب أمي، وكانت تقول عبارة: «عيد مبارك»، وتتجاذب أطراف الحديث مع أصدقاء جديها بلغة الأردو، ولم يكن ذلك بسبب أنهم لن يفهموا اللغة الإنكليزية، بل لأن ذلك يسعدهم.

ربما كنت قاسيةً جداً. كانت اثنتان من الخالات ترتديان السروال أيضاً، ثم إن أمي وأبي لم يشتكيا من ملابس صوفيا. لقد لان والداي وأصداؤهما وتكيفوا مع العمر والوقت، فراحوا في تلك الأيام يتحمسون لمن رغب من الشباب في أن يصبح موسيقياً أو مصمم أزياء كحماسهم تماماً لمن سلك سبيل المهن التقليدية كالطب أو القانون، كما أصبحت المواعيد الآن أمراً مقبولاً، ورغم أنهما يفضلان زواج أحفادهما من أصولهما ذاتها، فإنهما لم يألوا ارتداء الملابس والرقص في حفلات الزفاف التي تختلط فيها الثقافات والأعراق.

بسبب العيد لم أشعر بالرغبة في الجدل مع صوفيا.

سلمت نائلة منشفة الصحون، وقلت لها:

- ما رأيك في أن أحدثها؟

- فكرة جيدة. أوضحي لها أهمية الاحترام في مثل هذه المناسبات.؛ قالت نائلة.

كانت صوفيا جالسةً على أريكة غرفة المعيشة بين أمي والخالة زينا، وكانت كل منهما تمسك بيد من يدي صوفيا وتتحدثان. لوحث لها فهربت معي إلى غرفة الضيوف ممتنةً، فقلت لها:

- ربما أكون قد بالغت في رد فعلي حيال ملابس العيد.

- لطالما كنت كذلك أمي.

- أردت أن يكون كل شيء مثالياً. هل فهمت؟

- لا أستطيع أن أكون مثلك يا أمي. لديك ملابس للعيد، وفساتين لعيد الميلاد وعيد الفصح لجدتي وجدي. أنت ترتدين مع أصدقائك الباكستانيين ملابس مختلفة تماماً عن ملابسك مع أصدقائك الإنكليز! أما أنا فلا أريد إلا أن أكون على طبيعتي. طوقتها بذراعي.

- كيف كان لي أن ألد روحاً حكيمةً مثلك؟ ابتسمت، وتابعت: أحب رغبتك في أن تكوني على طبيعتك، فهذا بالضبط ما أريده لك ولنفسي يا صوفيا الحلوة.

نظرت إلي كما لو كانت ترى ما في رأسي.

- هيا أمي. أنا أتحدثك! ارتدي في عيد رأس السنة ملابسك الباكستانية التي ترتدينها في عيد الجدة والجد أمام العم بيتر والعمة لوسي وجميع الجيران الإنكليز، وفي العيد المقبل، ارتدي إحدى فساتينك الصغيرة ذات الكشكشة وحذاء الفراشة الخاص بك!

- حسناً. أشعر الآن بالسوء!

حاولت أن أتخيل كيف سيكون الأمر عندما أكون «على طبيعتي»، فأقلقنتني الفكرة إذ لم أكن أعرف كيف ستبدو «طبيعتي» تلك، أو لعلني كنت حريصة على تخيل رد فعل الآخرين إذا تصرفت «على سجيتي».

نشرت صوفيا على إنستغرام صوراً ليديها المزينتين بالحناء قبل أن تهم بالنهوض، ثم توقفت عند الباب واستدارت، فقالت:

- انظري، وعديني ألا تخبري العمّة نائلة. لقد رأيت سيما في الحافلة مع صديقاتها، ولم تكن في وعيها، بل كانت في حالة سكر حتى إنها لم تلاحظني أصلاً.

- آه لا! هل أنت متأكدة من أنها هي؟

لا بد أن ذا سيدمر نائلة.

- إنها هي. أعلم أن الجميع يعتقد أنها رائعة، وأن العمّة نائلة تخبر ناني أن سيما تستمع إلى تطبيق نماز الخاص بها كل ليلة، لكنها ليست مثالية كما هو واضح. على أية حال، لا أريد الوشاية بها، لكنني على الأقل لا أفعل ذلك حتى وأنا لا أرتدي ملابس العيد!

مسكينة نائلة. تساءلت ما إذا كانت تعلم بالأمر. لم أكن أعرف تماماً ماذا أفعل؛ فإن أخبرت نائلة أن صوفيا أخبرتني بذلك فقد لا تصدق ذلك، كما أن صوفيا طلبت مني كتم الأمر.

ذهبت للبحث عن نائلة.

- لقد أعلننا وقفاً لإطلاق النار! قلت مبتسمة: إن

خليط الثقافات هذا لأمر محير جداً، وخاصةً بالنسبة إلى أطفالنا، ولا أريد أن أكون صارمة جداً حتى أتأكد من دوام تواصل صوفيا معي.

- فعلاً.

- هل تحدثك سيما عن الحفلات وما شاكلها؟ إنه سنٌ يبدأ فيه بتجربة كل شيء. أليس كذلك؟ كالكحول والصبيان. إنه لأمر مرعب!

وضحكت وأنا أشاهد وجه نائلة باحثاً عن أدلة، وقالت:

- تعرف سيما التمييز بين ما يجوز لها فعله وما لا يجوز. أسفةً لأنك تواجهين مشكلةً مع صوفيا، لكنك تحتاجين حقاً إلى رسم الحدود بشكلٍ أكثر وضوحاً. لحسن الحظ، سيما ليست من النوع المتمرد.

طوقت نائلة بذراعي وجذبته نحوِي.

- أه! صعبٌ أن تكوني أماً لمراهق. أليس كذلك؟

كان عليّ أن أواصل تذكير نائلة بمراقبة أمر سيما، فأنا على ثقةٍ من أن صوفيا لم تخبرني بكل ما تعرفه عنها.



قبل نهاية مايو بأربعة أسابيع

وضع توم جهاز الأيبياد على السرير ، فزحّث
أُتفحص البريد الإلكتروني، فعلمت أن البنك
الأمريكي قد أجل المقابلة النهائية بسبب تجميد
التوظيف ثلاثة أشهر.

شعرت بأني أرتجف فعضضت على شفتي محاولةً
السيطرة على نفسي. هذا يعني أن لن تكون هنالك
مقابلةً حتى آب (أغسطس). كان توم يقف مطأطئ
الرأس عند النافذة وظهره نحوي.

اقترب منه.

- أنا أسفةٌ حقاً يا عزيزي، لكنني متأكدةٌ من أنهم
سيعاودون الاتصال بك لإجراء المقابلة في غضون
أسابيع قليلة.

- أنت متأكدة. أليس كذلك؟ ماذا لو مددوا تجميد
التوظيف؟ كيف لك أن تعرفي ما إن كنت سأجد
وظيفة أصلاً؟

كان يصرخ لكنه توقف عندما رأى تعابير وجهي.

- قد لا يكون لي أن أنقذك من هذا.

- بل يمكنك إنقاذي! قلت.

ابتسمت وأمسكت يده، لا شيء سوى تخفيف
ألامه بطريقة ما، فضمني وضممته ممسكةً بقميصه.
بدأت حياتنا في مهب الريح كما لو أن أدنى حركة
مفاجئة ستؤدي إلى انهيار كل شيء.

داعبت ظهره برفق. لماذا لا تأتي معنا إلى
المستشفى؟ قلت.

كنت سأرافق أبي لإجراء تخطيط القلب في سانت
جورج، لكنني شعرت بعدم الارتياح لترك توم وحده
إذ أخافني الذعر الغريب في صوته.

- أنا بخير. لا تقلقي. أنا ذاهب إلى أمك وأبيك.
جازاة العشب مكسورة، ولذا سأرى ما إن كان في
استطاعتي إصلاحها.

سأكون في المنزل حين يعود.

كان صدري ضيقاً لأن هذا الوظيفة كانت أملنا،
وكان وكيل التوظيف قد أخبرنا أن المقابلة إجراء
شكلي فقط، وأن البنك الأمريكي قد قرر تعيينه
سلفاً. بقي لنفاد كل أموالنا ثمانية وعشرون يوماً، أي
أن الأسابيع الأربعة هي ما يفصل بيننا وبين إفلاسنا
وتشردنا. تعاظمت هذه الكلمات في رأسي حتى
شعرت أنها تضغط على جمجمتي.

لقد أصبح كل شيء واضحاً فجأة.

- توم، أعتقد أن علينا أن نبيع المنزل.

- هذا ليس ...

- اسمعني فقط. يمكننا الخروج من القرية،
والحصول على بيت أصغر، فسوق العمل متذبذب
جداً، ولست مضطراً لهذا التوتر.

ما لم أكن لأتخيله أبداً قبل شهرٍ قد بدا اليوم نصب
عينني جلياً. لقد أحببت منزلنا، لكن حبي لنا كان
أكبر.

أخذ بيدي وضغطها على صدره، فشعرت بقلبه
ينبض.

- فكرت في ذلك أيضاً، لكن سوق العقارات انهار يا
فايزة. سنخسر المال إن بعناه الآن، كما سيستغرق
هذا الأمر شهوراً على أية حال، وفي غضون ذلك
ستكون حال المدينة قد استقرت.

- لا ضرر في اختبار ذلك فقد يمنحنا الكثير من
الخيارات. ربما يمكنك بدء مشروع الطاقة الشمسية
الذي لطالما تحدثت عنه. ثم إننا لا نريد أن نستهلك
كل مدخراتنا. أليس كذلك؟

شعرت بعضلاته تسترخي قليلاً. ربما تمكنت من
إقناعه.

- حسناً، لكن هلاً راجعنا الفكرة بعد انقضاء الأشهر
الثلاثة؟

لم أجادله في ذلك إذ كنت أعرف ما ينبغي القيام
به من تقويم للمنزل، والحصول على عرض سريع.
كنت متأكدة من أنه سيشعر بالارتياح لا الغضب
حالما يصبح ذلك احتمالاً حقيقياً، وقد يوافق على
بيع المنزل حينما أقدمه له كحلٍ جاهزٍ لمشكلاتنا.

ما إن غادر حتى اتصلت بنائلة التي كان شقيقها شان وكيل عقارات، لكنها لم توافقني الرأي حين أخبرتها أنني أرى الحكمة في شراء بيت أصغر وتوفير بعض النقود في ظل الظروف الحالية من الأزمة الاقتصادية وتراجع سوق العمل.

-أعتقد أنها فكرة سيئة للغاية، فحينما تغادرون القرية لن يكون في مقدوركم الشراء فيها مجدداً أبداً، فأنتم تعيشون إلى جوار ملعب ويمبلدون للتنس، وهذا يعني أن قيمته ستزداد في المستقبل، كما أن لديكم ثلاثة أطفال، فلا ينبغي لكم شراء بيت أصغر منه بكثير. أليس كذلك؟ وماذا عن مدارسهم وأصدقائهم؟ ومن ذا الذي سيقود سيارته لزيارتكم في منتصف المجهول؟ وماذا سيقول الناس؟ وماذا عن والديك؟ لقد اشتريا شقتيها لهدف واحد هو أن يكونا إلى جوارك.

كنت أتعذب من أجل الأشياء نفسها، لكن أياً منها لم يعد مهماً. إن تخلفنا عن سداد الرهن العقاري، فسنخسر المنزل على أية حال.

كان توم لا يزال مكتئباً حين عاد إلى المنزل. عندما كنت أقل أبي إلى المستشفى في وقت سابق، كان الراديو يبث مكالمة هاتفية ركز النقاش فيها على الموجة الأخيرة من حالات الانتحار في المدينة، إذ رمى رجال في منتصف العمر بأنفسهم من فوق سطوح المباني، وكانوا ذوي عائلات إلا أنهم عاطلون عن العمل، فانفطر قلبي لما سمعت بخبرهم، كما دُعرت حين خطر في بالي توم، فقد قالوا إن التوتر يقتل صاحبه، فعلمت أن بيع المنزل قرار صائب.



استلقيت على سريري أصغي إلى أصوات بيتنا
النائم والبندول الميكانيكي للساعة الرقمية،
وفقاكات الهواء التي تتدفق عبر أنابيب المبرد.
تحاملت على البقاء هادئة حتى لا أزعج توم فكثف
السكون أفكاري التي راحت تتهافت في رأسي في
هيئة أسئلة بلا إجابات. كيف لنا أن ندفع الفواتير؟
كيف لي أن أصلح ما فسد؟ ماذا سيحدث لو اكتشف
فعلتي؟ مر أسبوع على تلك الحال.

كانت الصور تومض في ذهني فجأة كركلات
خبیثة تنتابني على حين غرة حين أتناول الغداء
مع توم، أو أستحم، أو أشاهد أليكس خلال تدريب
كرة القدم، أو أتجاذب أطراف الحديث مع مجموعة
تغادر المدرسة. تخيلت الخوف في وجه توم وهو
يتحول إلى اشمزاز عندما يدرك أن مالنا ولى، وأن
توم لم يعد يحبني وسيتركني، كما تخيلت مظهر
أبنائي حين أخبرهم أنهم سيضطرون إلى ترك
أصدقائهم ومدرستهم ومنزلنا، وتخيلت كذلك عيون
والذي تمتلئ كرباً ولوماً. لا شك في أن صدمة أبي
ستكون كبيرة جداً.

نزلت على خدي دمعاً تجمعت في أذني، ولحقت
بركبها دموع أخرى، فكافحت لخنق شهقتي، ثم
انسلت من السرير ونزلت السلالم، وجلست واضعة
قدمي فوق الأريكة، ورحت أضغط بأطراف أصابعي

على جفني المتورمين.

كان من المقرر أن يأتي شان؛ وكيل العقارات؛ في صباح اليوم التالي، لكن عثوري على وظيفة ما كان أمراً ملحاً.

قمت بتشغيل حاسبي فقد أوصتني سام بالاستمرار في التقديم، وأخبرتني أن المسألة مسألة أرقام لا أكثر. لم يكن وكيل توظيف توم متفائلاً بشأنني، لكنه وعدنا أن يخبرنا بالمستجدات حال حدوثها. سيكون إخبار توم بالحقيقة أسهل علي إذا ما نلت وظيفة، إذ بدا يمكنني أن أهديه شيئاً آخر غير خيانتني: كوظيفة مثلاً أو مشروع أو أي شيء يدل على أنني أحاول تصويب الأمور.

بحثت في مواقع الوظائف لكنني لم أجد شيئاً، فأرسلت إلى سام رسالة نصية في وقت متأخر عساها تراها عندما تستيقظ في صباح اليوم التالي.

- هل من أفكار أخرى للبحث عن عمل؟

فأجابتنني على الفور.

- دعيني أفكر. لم أنت مستيقظة؟

- لم أنت مستيقظة!

كانت سام تنام في الساعة العاشرة، بينما كنت أحب البقاء مستيقظة بعد نوم الجميع لأختلي بنفسي لنصف ساعة، أو أشاهد نتفليكس، أو أتصفح أنستغرام، أو أشتري الفساتين عبر الإنترنت فأخبئها قبل أن يعود توم من العمل.

قررنا الاتصال بدلاً من تبادل الرسائل النصية.

- هل تتذكرين صديقتي دانييلا؟ إنها من كبار الباحثين عن الكفاءات في المدينة. هي بعيدة الآن، لكنني سأتصل بها عندما تعود فأسألها ما إن كان بإمكانها مساعدتك.

بدأت أشعر بالهدوء، وقلت:

- لم أنت مستيقظة إذن؟

- أدير الموقع. خمني ماذا أفعل أيضاً بعيد منتصف ليل الأربعاء.

فقلت ضاحكة:

- تتناولين الشوكولا، أم تشاهدين الأفلام الإباحية، أم تشتريين الأحذية عبر النت؟

- ليتني كذلك! كان روبرت في أكتوبر يحتفي بالأصهار في عيد الميلاد الخمسين، وكان كل شيء محسوماً، لكن جيمس - بصفته الأخ الأكبر - قال إنه أولى باستضافة الحفلة من روبرت. كان روبرت قد رسم للشيف المشهور تاتلر كل ما ينبغي فعله.

وتوقفت لتأخذ نفساً غاضباً.

- نعم ...

- أراد جيمس التأكد من أننا نتجاوز ما خطط له روبرت، وظلت أمه تراسلني بشأن خطط روبرت متوقعة منا أن نلتزم بها، وها أنا أتلقى منها للتو رسالة نصية جاء فيها: «كما رتب روبرت لقدم مغني الجاز جيمي كولوم. وهذا كل شيء». إنها الرسالة النصية كلها!

-أوه، لا. إنه كابوش رغم أن نصها مضحك بطريقة منفرة.

-يؤمن جيمس أن والديه لن يحباه إن لم يقوم بعمل جيد، وقد يكون على حق.

كان ذا في نظري هراء نصف مختل تقريباً، فقلت لسام:

-انظري! أنت تتلاعبين بأشياء كثيرة. اتصلي بمنظم حفل فأنت قادرة على تحفل تكاليفه؛ أو اطلبي من حماك إرسال رسالة مباشرة إلى منظم الحفلات، وقولي لها: إنه رقمك الجديد الحصري المخصص للحفلة. في الواقع، على كل منا أن يكون لديها هاتف مخصص لحمااتها!

ضحكت سام ثم تنهدت.

- هذه الحفلة تعني لجيمس الكثير، ولذا علي أن أتأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام.

قررت التحقق من رسائل بريدي الإلكتروني قبل الذهاب إلى الفراش، كانت الرسالة الأولى من معالج أحمد: «الفواتير غير مسددة.»

كان أحمد لا يزال يخضع لجلسات نصف شهرية بسبب قلقه، ولا يمكننا المخاطرة بإيقافها، وكنت قد طلبت من طبيبته العامة إحالته إلى خدمات الصحة الوطنية، فقالت:

- طبعاً. هناك قائمة انتظار لستة عشر أسبوع تقريباً؛ فتخيلي ذلك. إذا تدهورت الأمور في هذه الأثناء للحد الذي قد يتحدث فيه عن إيذاء نفسه،

أو ...»؛ وتوقفت قليلاً ثم أضافت: «... أو يتحدث
عن الانتحار، فيمكننا رؤيته كحالة طارئة.»

أومات براسي بصمت، جعلني تصور فكرة إيذاء
أحمد لنفسه أشعر بالمرض. لم يتحدث أحمد ولا
معالجه عن شيء كهذا من قبل، ولذا استقرت تلك
الفكرة في ذهني كالرصاصة، فلم أستطع ترك هذه
الفكرة تتسرب إلى أي مكان حتى لو كان ذهن
الطبيبة العامة.

-أظنك أسأت فهمي. يحتاج ابني إلى مواصلة
علاجه لأنه كان ضحية تنمر أدى إلى قلقه، لكنه لم
يوج قط أنه ... أعني، لم يذكر معالجه قط أنه قد ...

لم أستطع أن أجبر نفسي على قول ذلك، فقد
شعرث بحرقة الدموع في عيني، فطأطأت رأسي
في حرج.

-أنا جڈ أسفة. طبعاً، لا أعرف حالة ابنك، ولم
أقصد الإيحاء بأنه قد يؤذي نفسه. إنه كلام فقط
علينا أن نقوله لكل فرد على قائمة الانتظار إن
تدهورث حالهم. كان علي أن أوضح ذلك.

لم تحل زيارة الطبيبة العامة المشكلة الراهنة؛
فكان علي تأمين المال للجلسات الخاصة ريثما
أحصل على الإحالة إلى خدمات الصحة الوطنية.

حتى لو تمكنت دانييلا من مساعدتي في العثور
على وظيفة في المدينة، فقد يستغرق هذا الأمر
أسابيع عدة، ولذا قررت البحث عن شيء يمكنني
البدء به فوراً في أثناء انتظاري. تجمدت عندما
رايت «متجر الفراشة، قرية ويمبلدون. بداية فورية
كمساعد المبيعات». يمكن للمالكة بيبي أن تتجاهل

افتقاري إلى الخبرة لأنني وأصدقائي كنا عملاء
جيدين لديها، ولي خبرة في بضاعتها.

كان العمل مثالياً باستثناء شيء واحد يتمثل
في أن أكون خلف المنضدة لا أمامها، وذلك لعلمي
أن الأمر سيفقدو حديث الناس. كان قريباً جداً من
منزلي، والعمل بعيداً عن القرية خيار أفضل، ولذا
تقدمت إلى ثلاث وظائف مماثلة في كوفنت جاردن.

ولا يعني ذلك أن راتب أي من تلك الوظائف كافٍ
لإنقاذ منزلنا.



قبل نهاية مايو بستة وعشرين يوماً

جاء الوكيل العقاري شان لإجراء التقويم بينما كان توم قد اصطحب صوفيا وأصدقاءها إلى تدريبهم في ضواحي جيلفورد، واقترح أن يزور والديه ويمكث هناك ريثما تنتهي صوفيا، وبذا سيكون في الخارج طيلة فترة الصباح.

عندما اتصلت بشان نصحتني في البداية بعدم البيع والسوق على هذه الحال، ولكنني كنت مصممة، وكان يعرف أشخاصاً بعضهم في الخارج يبحثون عن صفقات رابحة في الوقت الحالي، ولذا أخبرني أنه قد يجد لنا من يشتريه في غضون أيام قلائل.

- ربما نستطيع إقناع لاعب تنيس مشهور بشرائه سريعاً.

قدت شان من غرفة إلى أخرى، وراح يقيس الأبعاد بشريط الليزر الخاص به، بينما لم تبرحني فكرة احتمال عودة توم الطائرة إلى المنزل وإمساكه بي بالجرم المشهود، والفكرة الأكثر عقلانية في أنني شخص فظيع أتى بمن يقيس منزلنا، من دون علم توم. لم يعد الأمر يتعلق بالكذب البسيط حول سعر الفستان، ولا بإنفاق مبلغ طائل في حفلة عيد ميلاد كانت قريبة من قلب أحمد؛ بل بأني أرفع من حولي

عمداً أسواراً من أكاذيب ثبقي توم خارجها. كنت أعلم أن ما أفعله خطأ، لكنني كنت أفعل ذلك لحمايته وحمايتنا، غير أنه لم يشعرني بالتحسن، بل راحت معدتي تتخبط خجلاً وندماً.

التقط شان الصور بهاتفه مُعجباً بالرخام الأبيض البسيط في المطبخ، والأرضيات الخشبية المتلألئة، والجدران الرمادية اللامعة، وثرثرا مورانو، ومصاريع النوافذ المثالية، وبينما هو يصور كل غرفة من زوايا مختلفة، كنت أرى ما لا يراه. كنت أرى مراحل النمو المختلفة لكل ابن من أبنائنا في كل غرفة، وكراسي المطبخ العالية النادرة، ومضمار البولينغ الذي صنعه أحمد في الردهة بينما أكون أنا وصوفيا على أريكة غرفة التلفاز «في الحديقة الليلية»، وغرفة الطعام ذات النوافذ الفرنسية المطلّة على الحديقة، والمائدة الطويلة التي أقيمت حولها جميع أعياد ميلاد الأسرة: عيد توم وعيدي وعيد الأطفال وعيد أمي وأبي وعيد فرح وعيد والذي توم وشقيقه بيتر، والكثير من الكعك، والكثير من السعادة على مدى سنوات عديدة. لقد انتقلنا إلى هنا عندما كانت صوفيا في ربيعها الثاني.

قال شان:

- سأضع هذه الصور في كتيب إلكتروني أرسله إلى المشتريين المحتملين بعد ظهر هذا اليوم. إنه منزل رائع.

بدا كل شيء إيجابياً. لم أفكر بخسارة منزلنا أو فيما سأقوله للناس، بل رحت أركز على إنقاذ عائلتي وحسب، فإذا ما وجد شان زبونا، تحدثت إلى توم وأقنعته أن المنطق يفرض علينا بيع المنزل فيشعر

بالارتياح في سره نظراً إلى الظروف.

في ملحق غرفة الغسيل، توقف شان لينظر خلف مجفف الملابس مستخدماً مصباح هاتفه، ثم دفع المجفف جانباً ليلقي نظرة فاحصة، ثم خرج إلى الحديقة قائلاً إن عليه تفحص شيء ما. قرأت رسائلني للتأكد من أن توم لم يرسل لي رسالة نصية تفيد بأنه سيعود إلى المنزل مبكراً. كنت أتطلع إلى مغادرة شان في أقرب وقت ممكن.

ولما عاد بعد بضع دقائق، كان شان عابساً وعلى وجهه التعابير ذاتها التي ميزته حين كان في الحادية عشرة من عمره، وكنت أنا ونائلة نصرخ عليه للخروج من الغرفة.

- ما الخطب؟ سألته.

- كم مضى على هذا الصدع في الجدار؟

- لا أعرف. لماذا؟ يمكننا إصلاحه. لا تقلق.

- أخشى أن الأمر ليس بهذه البساطة.

شعرت بتشنج أعصاب رقبتني فعجزت عن سؤاله عن السبب.

- أنا أسف، يا فايضة باجي، لكنه خسف لا أعرف مداه دون إجراء دراسة حوله. ربما لا يكون الأمر سيئاً، لكن من المستحيل أن تبيعوا المنزل بسرعة في هذه الحالة، فقد يستغرق حل المشكلة شهوراً.

مش شان ذراعي، فحاولت أن أقول شيئاً، لكنني لم أستطع.

لقد تبدد كل ما لدينا من شبكات الأمان.



قبل نهاية مايو بخمسة وعشرين يوماً

عندما استيقظتُ كان قلبي يخفق بسرعة، بينما رأسي لا يزال على الوسادة، فكان نشاطي الوحيد هو فتح عيني. شعرتُ كأنما حصانٌ هاربٌ يطأ جوارحي.

أمسكتُ بهاتفِي، وفتحتُ التقويم كعادتي في كل صباح. بقيتُ خمسةً وعشرون يوماً، أي أقل من شهرٍ.

تسارع تنفسي فما عدتُ قادرةً على ضبطه. نزلتُ إلى غرفة المعيشة، لكنني لم أجد فيها ملاذاً، فجلستُ في منزلي الصامت، قابضةً يديَّ حتى تأذتا، ثم نظرتُ إلى صور العائلة ورسومات أليكس التي قمتُ بتثبيتها على الرفوف فشعرتُ أنني أقوم بجرد حياةٍ كانت على وشك الإزهاق.

لقد تم رفضي لوظائف مساعد المبيعات في المدينة، كما لا يمكن بيع المنزل، ولا مزيد من المقابلات لتوم، أما إعلان الفراشة فلا يزال على الإنترنت.

كنتُ في طريقي إلى بيت ليزي لحضور الاجتماع الثاني للجنة المزاد عندما اتخذتُ منعطفاً حاداً نحو الطريق السريع إذ ما زال أمامي بعض الوقت للذهاب إلى الفراشة أولاً. كانت عجلة القيادة زلقة،

فتشبث بها بقوة، وعادوث التفكير في ثقتي المطلقة بأني «يوماً ما» أستطيع إعادة المال عندما بدأت في إنفاقه. لم تكن لدي في ذلك الوقت أية خطط. كان كل ذلك أضغاثاً من الأمنيات الغامضة.

أدركت أن ما كنت أرتديه، كان من متجر الفراشة من رأسي حتى أخمصي قدمي. إنها علامة. كنت أرتدي سروالاً من الجينز الضيق، وحذاءً جليدياً ناعماً من علامة تجارية إيطالية عصرية، وكنزة بوسادات للكتف من الكشمير الأزرق الباهت؛ وكنت قد أكملت طلبيتي بحقيبة برادا وسوار فضي كبير. كنت أعرف تماماً ما يحتاج إليه عملاء الفراشة لارتدائه كي يكونوا في قمة أي حدث. لقد درست هذا مفصلاً منذ سنوات.

فركت صدري. إن عملت هناك تسنت للجميع رؤيتي من خلال النافذة الكبيرة لمكتب النقد: من أصدقاء أبنائي، والأمهات في المدرسة، وأصدقائنا ومن يعرفون أمي وأبي؛ فضلاً عن أن في القرية زوجين كانا زميلين سابقين لتوم. على المقعد المجاور لي كانت زوجة جافيسكون التي اشتريتها لأمي من الصيدلية، فأخذت منها رشفة ممتنة للسائل الوردي الذي تدفق في جوفي ليطفئ نار صدري.

توقفت أمام الباب الزجاجي المزين بباقات من الزهور الورقية البيضاء، فكان لي أن أرى في الداخل السرخس الشهير الذي يبلغ السقف ارتفاعاً، ومرايا ١٨٠ درجة، فضلاً عن «الممشى» ذي المرايا وسط المتجر. دخلت.

بدأت أذني بالطنين. عندما أخبرت المالكة بيبي

برغبتي بهذه الوظيفة، كانت متشككةً ويانسةً معاً لأنها لم تلق المرشحين المناسبين. رأيت ترددها.

- اسمعي، أنا أعرف عملاءك، فأنا منهم! كما أفهم احتياجاتهم، وأريد أن أبدأ نشاطاً تجارياً للأزياء عبر الإنترنت يوماً ما، ولو أُتيحت لي فرصة العمل هنا لكان ذا أفضل مكانٍ أتعلم فيه. أنا جادةٌ فيما أقول.

وهكذا سأخبز الجميع أن عملي في الفراشة وسيلةٌ لتحقيق غايةٍ أسمى.

وافقت بيّفي على عملي مدة أسبوعٍ تجريبيٍّ. كان أمام أليس عمل بضعة أيامٍ أخرى، ولذا يمكنها تسليمي مكانها إن بدأت العمل فوراً.

وبينما أنا في طريقي إلى منزل ليزي باغتني الحماس فصرخت بأعلى صوتي: «نعم. لدي عمل الآن!».

قادتني ليزي إلى غرفة معيشتها التي كانت ملاذاً صديقاً للبيئة، إذ كان الجدار بأكمله مبطناً بالنباتات الخضراء المورقة من الأرض إلى السقف. جلسنا على أريكةٍ زرقاءٍ شاحبةٍ مغطاةٍ بأقمشةٍ عضويةٍ مصبوغةٍ بأصباغٍ خاليةٍ من المواد الكيميائية ومرتبعةٍ ترتيباً هندسياً يؤمن تدفقاً مثالياً للطاقة. كانت البلورات الشفافة على السقف تتلألأ كقطرات الندى المتجمدة، وكانت الرائحة الحلوة للزيوت العطرية تنتشر في الهواء، فشعرنا بتحسّن واضح حال دخولي منزلها.

كنث وجوليا وسام وأعضاء اللجنة الأخريات هناك فعلاً، وبعد مراجعة تحديثات المزاد سمح لنا بتناول الغداء.

تم وضع المائدة إلى جوار بركة طبيعية تصطف النباتات الخضراء الكبيرة حول مياهها الصافية، فجلسنا تحت مظلات رمادية شاحبة حول مائدة طويلة مغطاة بقماش من الشاش الأبيض. كان الإناء الكبير مملوءاً بالبازلاء الحلوة كنافورة أزهارٍ محاطاً بأطباق كبيرة من السلطات والسلمون المسلوق والخبز، مع لوحات صغيرة تقول إن الطبق نباتي أو خال من الغلوتين، ثم دعنا ليزي بفستانها الأزرق البزاق إلى البدء.

جلست سام إلى جوارِي، وكانت الوحيدة التي لم تستسلم لزي الأم الرسمي، بل ترتدي سروال الجينز وحذاء رياضياً عادياً، ولم تكن قد تبرجت.

- عذراً سيداتي؛ لكنه يوم إجازتي، وأنا بحاجة للوحل. قالت بابتسامة.

لم تبد محرجة من اختلافها.

- أنا أغبطك جداً، ليتني أرتدي حذاء رياضياً.

- يمكنك ذلك! لم لا؟

- لست رائعة مثلك؟ وضحكت.

لم أقل إنها بيضاء غنية وواحدة منهن، وستظل كذلك مهما فعلت. كرهت نفسي بسبب شعوري هذا، لكنني علمت أنني لم أجاف الحقيقة كثيراً.

قررت أن أخبر الجميع بنفسي عن متجر الفراشة، فالأفضل أن يسمعوا نسختي من الحكاية.

انتظرت الحلوى، وكنت أرغب في إخبار سام

قبل غيرها، لكنني استغرقت وقتاً طويلاً في حشد شجاعتي وإعداد خطابي، وكان عليّ أن أفعل ذلك قبل أن يبدأ الناس في المغادرة.

- «سأعلن للجميع خبراً، وأعتذر إذ لم يتسنى لي إخبارك قبل هذا. همست لسام.

ولوحث لليزي، وقلت:

- أود أن أنقل إلى الجميع بعض الأخبار يا ليزي!

فنقرث ليزي على كأسها بالملعقة نقرأ رقيقاً، فتوقفت المحادثات من حولنا، وقالت:

- لدى فائزة ما تخبركم به.

- سأعود إلى العمل سيداتي، سأعمل في الفراشة.

فقالت ليزي:

- رائع! هل ستكونين شريكة بيبي الجديدة؟ علمت أنها كانت بحثت طويلاً عن مستثمر.

ابتلعت لعابي محاولة الحفاظ على ابتسامتي.

- لا. بل سأعمل هناك، ف «أليس» ستترك العمل هناك، ولذلك كانت بيبي في مأزق.

- هل ستصبحين مندوبة مبيعات؟ قالت أنا.

ولوث فمها باشمزاز.

كان جسدي يحترق بالكامل، ولولا أنهم ينظرون إلي جميعاً، لقمث بتهوية وجهي، وربط شعري.

- أريد أن أبدأ نشاطاً تجارياً للأزياء عبر الإنترنت عندما يكبر «أليكس»، ولذا خطر لي أن أتعرف إلى هذا المجال من خلال العمل في الفراشة؟ سأكون مصممة أيضاً. قالت سام

- ستبرعين في هذا المنصب، فلطالما شعرت بالغيرة من ملابسك.

وتدخلت ليزي قائلة:

- إنها فكرة جيدة حقاً.

- نعم! قالت جوليا، فابتسمت متعجبة من دعمها لي. لكنها تابعت القول: وخاصة في ظل هذه الظروف، فقد سمعت أن توم قد فقد وظيفته.

ولف الطاولة الصمث، وتوقف الجميع عن الأكل إذ لم أخبر إلا سام ونائلة بأمر توم. بدت جوليا سعيدة بتفجير تلك القنبلة، أما أنا فشعرت أن الجميع ينظرون إلي.

- ليس تماماً يا جوليا. لم يفقد توم وظيفته، بل ترك أليكس بنفسه ليبدأ عمله الخاص مع بعض أصدقائه.

خرجت من فمي الكلمات قبل أن أدرك أن جوليا تستطيع التحقق من عدم صحتها بسهولة.

- لكنك لم تقولي ذلك! صاحت ليزي متعجبة.

- حدث هذا مؤخراً جداً، وما زلت أحاول الاعتياد على مكوثه في المنزل.

- لكن أحكما على الأقل لا يزال يكسب رزقه الآن.

قالت جوليا.

- أنا متأكدة من أنهم لا يحتاجون إلى راتب أليس.
قالت ليزي.

ضحكت سام وليزي مع عدد قليل من الآخرين،
بينما استهجنث جوليا رد فعلهم.

- صدقت يا جوليا. عدت إلى العمل لأن توم في
المنزل، فالآن أعلم أنه في البيت إن احتاج إليه
الأطفال في شيء.

فردت جوليا:

- يا إلهي! لن يكون لي أبداً أن أجعل هاري مديراً
منزلي. هذا مثير للذهول، ألا تعتقد ذلك؟ كما أنني
ظننت أن دور المرأة في ثقافتك تقليدي أكثر.

عدمث الجواب للحظة. عن أية ثقافة نتحدث؟
فأربع عشرة امرأة من أصل خمس عشرة امرأة
جالسات حول الطاولة يلعبن «دورهن التقليدي»
كربات لمنازل، أو أمهات مأكثات في البيوت وفق
تعريفهن بأنفسهن، فلماذا نتحدث عن ثقافتني؟

قررت تجاهلها والنظر في أرجاء المائدة.

- عليكن جميعاً الحضور إلى الفراشة لرؤيتي.

رفعت ليزي كأسها، وقالت:

- نخب إمبراطورية فايضة للأزياء! بيبي محظوظة
بوجودك معها. بصحتك!

وعاد صخب أدوات المائدة على الخزف،

واستأنفت الحاضرات تناول الحلوى، أما أنا فلم أعد أنظر إلى جوليا بعدها.

- لا أعلم ما الذي جرى لجوليا. إنها مشاكسة حقاً. همست سام.

- في الواقع، كانت ذي «جوليا» الحقيقية. قلت لك إنها ليست شخصاً طيباً. ما قصة تلك الثقافة اللعينة؟

هزت سام كتفها ورأسها.

- كيف عرفت بأمرتوم؟

- لا أدري. يعمل زوجها في المدينة. ربما سمع بقصة أبيكس؟

لم أعد أرغب في التفكير بجوليا بعد الآن.

- بالحديث عن الأزواج، رأيت زوجك في سانت جورج يوم الأربعاء، فتفضلني بإبلاغه اعتذاري عن عدم إلقاء التحية عليه، إذ كنتُ أساعد والدتي في مسيرها.

أخذت سام رشفةً من النبيذ ثم تجهمت.

- الأربعاء؟ هذا مستحيل، فقد كان في باريس اليوم كله، ولم يعد حتى وقت متأخر. لا بد أنك خلطت بينه وبين شخص يشبهه!

لم أكن أشك في أنني رأيت جيمس بشحمه ولحمه، فما كان لشبيهه أن يرتدي زي جيمس ويحمل حقيبته البالية ذاتها التي تُعدُّ علامته التجارية. حاولت لفت انتباهه في المستشفى، وتساءلت ما

إذا كان قد رأني أيضاً، لكنه ذهب بعيداً يتحدث عبر الهاتف.

بدأت أفكر في الاحتمالات كلها. هل يعاني جيمس من مرض عضال لا يريد لسام أن تعرف به؟ أم أنه زرق طفلاً من علاقة حب فذهب لزيارته في جناح الولادة؟ ربما كان الأمر أكثر تعقيداً، لكني لم أفهم سبب قوله لسام إنه في باريس.

ربما كانت سام هي من تغطي عليه. حركت قهوتي، وتناولت قطعة من كعكة الجبن، ثم نظرت إليها، كانت تتحدث إلى ليزي وتبتسم كما لو أن كل شيء على ما يرام. لا. كانت سام ستخبرني أن جيمس مريض. جيمس هو من يكذب على سام. عانقها بشدة ثم ودعتها.

في أثناء عودتي إلى المنزل، تلقيت من سام رسالة ورد فيها: «كنت على حق! فقد قصد جيمس المستشفى فعلاً من أجل موعد مع طبيب الأسنان قبل العمل، لكنه لم يخبرني لأننا لا نرى بعضنا أبداً فلا نجد وقتاً للتحدث! أما ذهابه إلى باريس فكان في اليوم السابق. لقد أخطأت. لقد جننت حقاً من الملحق والحفلة!

فكتبت إلى سام: «جيد. هذا على الأقل يعني أنني لم أصب بالجنون!»

وابتسمت. لعلي ورثت عن أمي فكر «بوليوود» الدرامي أكثر مما ظننت!

وجدت توم في مكتبه، فكان علي أن أخبره بكلام جوليا، لكنني أردت بدايةً أن أخبره بوظيفتي الجديدة.



قبل نهاية مايو بثلاثة وعشرين يوماً

الآن؛ وبعد أن أخبرث جوليا الجميع بأمر توم، كان علينا إخبار عائلاتنا أيضاً.

أخبرت والدي في غداً الشهر، وهو حدث أشار إليه أبي بدائرة حمراء رسمها في تقويم مطبخهما.

أرادت أمي وأبي الذهاب إلى مطعم كوت في القرية بدلاً من مطعمهما المفضل الآخر، وهو المطعم الباكستاني في توتينغ. على الأقل من غير المرجح أن نلتقي في كوت بأصدقائهما، فيكون لي أن أتحدث باللغة الأردنية لأبلغهما بالأخبار فلا أخشى أن يسمعي النادل أو من سيجلسون إلى المائدة المجاورة.

كان والداي الطويلان وأنا القصيرة بينهما في مزاج سعيد عندما دخلنا المطعم. كانت أمي ترتدي وشاحاً من الكشمير فوق قميص السلوار الأزرق الفاتح، وكان شعرها ملفوفاً ككعكة رمادية توافق فخامتها، وكان أبي يرتدي ملابس غير رسمية، لكنه بالنسبة إلى أمي يرتدي سروالاً أنيقاً. كان طويل القامة مثل توم، وكان شغفه الدائم بالتنس يبقيه نحيفاً رشيقاً.

أردت أن يكون وقع الخبر طبيعياً قدر الإمكان،

فسرحت شعري وتبرجت. كان في مقدورهما أن يكتشفا صدع درعي ولو كان بعرض شعرة، وكنت أعلم أنها ستكون صدمة قاسية لهما إذ سيظلان قلقين إلى أن يجد توم وظيفة أخرى.

طلبنا وجبة خاصة. كان مقدار المال الذي تم توفيره يمنحهما الكثير من المتعة مثل الطعام نفسه. كلاهما اليوم لهما «كشف الحساب المصرفي» ذاته فيما يتعلق بالمال، وقد توقفا عن الشجار قبل بضع سنوات. سألت أمي لماذا قررا تأجيل العيش في ونام إلى أن أغادر المنزل، فأجابت أنها أدركت عندما مات والداها أنها ظلت طيلة فترة زواجها تحاول أن تثبت لهما أنها لم تخسر بزواجها من أبي، فأنفقت على والديها وأخواتها اللاتي كن يحتقرن أسلوب حياتها ويحتقرنها هي بالأحرى. إضافة إلى ذلك أن أبي تراخى حيال نفقاتنا حينما كبرث وفرح وشعر أنه قد أتم واجبه في العناية بنا، فتوقفا عن الجدل حول المال.

ضممني أبي وضممته فكان قميصه الأزرق والأبيض ناعماً كدثارٍ وثيرٍ، وقد فقد بعض وزنه في الأشهر القليلة الماضية.

كان عليّ في صخب الغداء أن أكرر كلامي ثلاث مراتٍ لأمي التي كانت ثقيلة السمع، وقد انتقلت إلى التحدث باللغة الأردنية.

-تواجه شركة توم سنة عصيبة فاضطرت إلى التخلي عن بعض موظفيها.

توقف أبي عن مضغ طعامه، وقال:

-توم؟

- نعم، ولكن كل شيء على ما يرام، فهو الآن على قيود المقابلة النهائية لوظيفة أخرى.

كان هذا صحيحاً. نعم، كان صحيحاً. كل ما في الأمر أن المقابلة كانت معلقة.

ارتشفت أُمي رشفةً من الماء، وأبقت يدها على الكأس بعد وضعه كأنما هو عالقٌ فيها.

راقبت أبي بعناية إذ لم أكن أريد أن يرتفع ضغط دمه، فقد أشار طبيب القلب إلى أن الأمر قد يكون «كارثياً». أكان الأجدر عدم إخبارهما؟

-توم رجل حكيم جداً، ولا بد أنه خصص من المال ما يكفي للتعامل مع هذا النوع من الطوارئ.

-نعم بالتأكيد. لقد أنشأ صندوق طوارئ وضع فيه ٢٥٠ ألف جنيه منذ فترة طويلة.

أردته رقماً كبيراً يشعرهم بالأمان، فقلت:

-لا داعي للقلق بشأن المال على الإطلاق.

كنت أتساءل أحياناً متى أصبحت أكاذيبي معقدة جداً هكذا فباتت كالحاسة السادسة تقريباً. كنت أشعر في بعض الأحيان أنني أقول الحقيقة، وأني أرتاح لرؤية كذبي يزيل همومهما إذ تنهدا.

دعّني سام ونائلة لاحتفال القهوة قبل أن أبدأ العمل في الفراشة. على المنضدة، كانت هناك شريحة من كعكة الليمون وبطاقة تقول: «واوووا».

لقد شعرتا بسعادة غامرة من أجلي، لكن أملهما خاب؛ لأن عملي لم يكن في متجر يتيح لهما الاستفادة من حسمي الوظيفي.

أعلنت النبا للأطفال في المساء ذاته بعد العشاء، وقد راعني ذلك. كان على توم الرد على مكالمة هاتفية. فيما يشبه المعجزة النبوية، وبعد ما قلته لجوليا، كان واثنين من زملائه السابقين قد بدؤوا للتو مشروعاً استشارياً لعميل في الأرجنتين. كان مشروعاً بلا راتب، بل أتعاب نجاح يستوفيهما عند اكتمال المشروع في غضون ثلاثة أشهر إلى ستة أشهر، وهذا بالضبط ما يحتاج إليه توم. وثب من سريره في الصباح، وقضى معظم نهاره في المشروع يبذل أفضل ما يجيد. ربما لم يكن ذلك حلاً فورياً، لكن عملي في الفراشة يفي بالغرض.

وحيثما تأخر الوقت، أخبرت الأطفال بنفسني، وقلت:

- يجب أن نغدو أكثر حرصاً فيما يتعلق بالمال، كما رأيتكم في «أطفال سكة الحديد».

أوما أحمد برأسه.

هز أليكس برأسه.

- أوه لا! هل نحن فقراء؟

- أهذا لأن أبي في المنزل؟ لماذا لم تخبريني؟ قالت صوفيا، وهي ترمقني بنظرة اتهام.

- لسنا فقراء، ولكن علينا أن نكون أكثر حرصاً.

- هل سيكون في مقدوري الاحتفال بعيد ميلادي

الثامن عشر؟ قالت صوفيا وهي تنظر في هاتفها وتعض إبهامها. «لا بأس إن لم أستطع ذلك.»

وهزت كتفها قليلاً.

كانت صوفيا وصديقتها ميغ ستقيمان حفلة مشتركة، وقد دفعت سلفة كبيرة لن نستردها على أية حال، ثم إنه عيد ميلادها الثامن عشر. فكرت باستخدام أموال حساب في جمعية البناء أنشأته لها أمي عند مولدها، والذي كنا في كل ذكرى سنوية لمولدها نرفده بالقليل من المال، فبات فيه حوالي سبعمائة جنيه. كنت قد دفعت من هذا الحساب ميزانية الرحلة إلى برشلونة.

- لا، سيكون كل شيء على ما يرام. نملك المال لحفلك، ولكنك قد تحتاجين إلى وظيفة تزاولينها أيام السبت من أجل ملابسك ودفع تكاليف الرحلة. أليس كذلك؟ لقد حصلت على فرصة عمل في الفراشة. أتذكرين؟ أعلم أن ذا واجبي، لكنك إن عملت كان ذلك عوناً في تحصيل المال، وأنت تعلمين أنني كنت أعمل في شركة فينويك كل سبت عندما كنت في الصف السادس.

- لم تكن أعباء مدرستك كأعباء مدارسنا اليوم يا أمي. لا يمكنني الحصول على وظيفة في منتصف دراستي!

وخرجت من الغرفة.

لازمي التفكير في رد فعل صوفيا. ربما وهبت أطفالاً حياة جميلة فلم يشعروا قط بالإهمال أو الحاجة إلى شيء، لكنني تساءلت ما إن كنت قد تجاوزت الحد في ذلك؟ كنت أعمل كل سبت،

وطيلة عطلتي الصيفية، وافترضت أن أطفالى
سيحذون حذوى لكنى أخطأت الظن.

لما يقل أحمد شيئاً بعد، فجلست إلى جواره
حين غادرت صوفيا وأليكس، فكان يقضم أظفاره
ويحرق فى شاشة التلفاز رغم أن صوته مكتوم.

- هل سأضطر إلى أن أترك مدرستى؟

بدت كلماته التى قيلت فى هدوء، ومن دون
انفعال كلكمة فى صدرى.

- لا، طبعاً. لا داعى للقلق بشأن ذلك. انظر إلى يا
عزيزى.

وابتسمت أحاول طمأنته بأن شيئاً لن يتغير، لكنى
شعرت بالسوء؛ فحتى عملى فى الفراشة لن يمكننا
من تحمل الرسوم الدراسية إن لم يعثر توم على
وظيفة، ولذا علمت أن وعودى فارغة، وربما عرف
أحمد ذلك أيضاً لأنه ذهب إلى غرفته من دون أن
ينبس ببنت شفة.

لم أسمعه فى تلك الليلة يضحك كعادته فى أثناء
لعب البلايستيشن مع أصدقائه، وعندما دخلت
غرفته وجدته مستلقياً على سريريه، ولا يزال يرتدى
زيه الرسمى، فأنحيث لأقبله وطلبت إليه تغيير
ملابسه، لكنه لم يجبنى؛ بل كانت عيناه تركزان
فى ضوء السقف من دون أن تتحركا أو ترمشا رغم
محاولاتى لفت نظره أو إضحاه.

وقفت خارج غرفته غير قادرة على الحركة. لقد
عاودته نظرة عينيه الساكنة التى ظننت أنى خلصته
منها إلى الأبد.



قبل نهاية مايو بواحد وعشرين يوماً

ذهبنا أنا وسام إلى مدرسة صوفيا نبيع تذاكر المزاد الخيري.

لقد اكتشفت مصدر معلومات جوليا بشأن توم. إنها مديرة المدرسة التي أصبحت صديقة جوليا الحميمة. كانتا تلعبان التنس في هارلينغهام، حتى أنهما قامتا بتنظيم رحلة للفتيات إلى ميلان. عندما طلبت من المدرسة تحديد موعد نهائي لدفع المبلغ المتبقي من الرسوم الدراسية كنت قد أخبرت المديرة أن توم قد خسر وظيفته، ولذا أغضبني انتهاكها للسرية، لكنني أعلم أن جميع القواعد يمكن أن تنحني أمام التبرعات النقدية الكبيرة التي تقدمها جوليا إلى المدرسة.

فوجئت بلطف الناس غير المتوقع عندما كنت أخبرهم بخسارة توم لوظيفته، فقد عانقني مصفف شعري وقال لي أن أحضر نهار التدريب يوم الخميس ليقوم بتصفيف شعري مجاناً، كما أخبرتني جليسة أطفالها أنها مستعدة دائماً لتلقي اتصالي، وأنها ستكون سعيدة بمساعدتي كصديقة، وفي نزهة نادرة إلى مطعمنا الصيني المحلي، منحنا مديره خصماً بنسبة ٥٠% على الفاتورة.

تلاشت الثرثرة في الممرات عندما رنّ الجرس وبدأ
الدرس اليومي الأول، فجلستُ أنا وسام إلى طاولة
صغيرة خارج مكتب المدرسة بينما سلمتنا جوليا
مجموعةً من الإيصالات قائلة: «سنطلب اليوم أن
يكون الإيداع نقداً، والباقي يدفع عبر الإنترنت؛ فمن
المرجح أن يدفعوا الباقي إن دفعوا نصف المبلغ
مقدماً.»

دست يدها في حقيبتها الجلدية الرمادية
وأخرجت منها صندوقاً معدنياً ومفتاحين ودفتر
إيصالات وأربعة أقلام وآلة حاسبة.

بدأ طابور أمهات طلاب الصفين الثاني عشر
والثالث عشر بالتشكل فعلاً، ورحن يتجاذبن أطراف
الحديث في أثناء انتظار الدفع.

قامت سام بتسليم إيصالات الحفلة السوداء
والوردية البراقة مقابل رزم من خمسين وعشرين
جنيهاً استرلينياً، بينما رحت أتحقق من الأسماء
الموجودة في قوائمنا.

جلست جوليا وأنا في الردهة، وراحت جوليا تنظر
إلينا من وقتٍ إلى آخر كما لو أنها تتفقد تنفيذنا
عمليةً معقدةً.

عندما تم بيع آخر التذاكر، بدأت سام تعدّ النقود،
وقالت:

- علينا تأمين هذا المبلغ في خزانة مكتب السيدة
ويست.

ذهبت إلى الحمام، ومررت بجوليا وأنا فابتسمتا
لي، وعند خروجي سمعت جوليا تذكر اسمي

فتوقفت خلف الباب صامتةً أحاول سماع ما تقوله.

- لن تتمكن فائزة من دفع الرسوم من خلال عملها في الفراشة، لقد كانت محرجةً، فطريقها في التظاهر بأنها ستعمل هناك لأجل مشروع ما.

ضممت شفتي معاً وكتمت أنفاسي، فسمعت أنا تقول:

- إنها لطيفة للغاية، لكنها في حاجة إلى مواجهة الأمر، فهي كما تعلمين ليست الزوجة المناسبة لرئيس تنفيذي، لن يرتقي زوجها ليصل إلى منصب رئيس الشركة، وخاصةً بسبب أصولها.

قبضت يدي في محاولة مني لكتم أنفاسي، ثم فتحت باب الحمام مصدرةً ظرقاً أعلمهما به أنني خرجت، فابتسمتا لي كما تفعلان عادةً، وسرّت مسرعةً لأجلس مع سام.

تظاهرت بمراجعة رسائل بريدي الإلكتروني في هاتفي بينما مرت جوليا وأنا بي وقالتا لي مودعتين: «إلى اللقاء».

بلغ بي الغضب أنني عجزت عن الكلام لدقائق عدة. قالت سام وهي تنظر إليّ.

- ما الخطب؟

لم أكن متأكدةً من أنني بـثّ قادرةً على تمالك نفسي لأخبرها بما قالتاه إذ ما زال عقلي يترنج، فضلاً عن أنني كنت أود أن أطلب مشورتها بشأن أحمد.

- وقع خبر عمل توم على أحمد كالصاعقة، وها أنا

أرى الأعراض ذاتها تتكرر من جديد.

فضمنتني بين ذراعيها.

- اسمعي! لا بد أنه لم يكن يتلقى العلاج حين حدث هذا آخر مرة. أليس كذلك؟ قلت لي إن طبيبته جيدة جداً، وأنا متأكدة أنها ستتحدث معه في هذا الشأن، ولن يحتاج اعتيازه على الأمر إلا لبعض الوقت.

هذا منطقي فعلاً. ربما سيطر علي الذعر وحسب.

- شكراً سام. حين رأيته الليلة الفائتة عاودني كل شيء سريعاً فشعرث بالعجز التام. إنه مرضٌ غريب.

تنهدت سام، وقالت:

- وددت لو أن للعقل دواءً أو مضاداً حيوياً أو ستيرونيداً أيضاً.

- تماماً.

وهزت رأسها، فقلت لها:

- لا بد أن الأمر فظيغ بالنسبة إليك أيضاً.

أومأت برأسها، فعلمت أنها تفكر في أمها، فقلت لها:

- هل يتطلع جيمس إلى المشاركة في المزاد؟

- لا. لن تكتمل طاولتنا هذا العام أيضاً.

- أه! وهل جيمس بخير؟

- كانت الفكرة فكرته في الواقع. لا بد أنه مضطر

إلى السفر في تلك التواريخ.

- أهو دائم الانشغال في عمله؟

- منشغل بشكلٍ فظيع، وذلك أنهم أقدموا على تقليص عدد أفراد فريقه مما جعله الآن يقوم بعمل ثلاثة أشخاص رغم أنه كبير في السن على كل هذا يا فائزة، وهذا يضر بصحته.

وحين همّت بالمغادرة عانقتني وقالت: «سيكون أحمد بخير؛ فلا تقلقي.»

حاولت في سيارتي التوقف عن البكاء، فالأمر لا يتعلق بأحمد وحده. كنت أعرف حقيقة جوليا، أما أنا فكنت أظنها صديقتي لولا الطريقة التي قالت بها كلمة «أصولها». كنت أعرف ما عنته بتعبيرها ذاك.



قبل نهاية مايو بعشرين يوماً

كان ذلك الصباح صباحي الأول في الفراشة، وقد تلقيت بريداً إلكترونياً أشارت فيه الدكتورة كين التي تعالج أحمد إلى أنها لاحظت تفاقماً في أعراض القلق لديه، وتنصح بإجراء مزيد من الجلسات، فشعرت أن العالم يدور أسرع قليلاً كما لو أنه قد يخرج عن نطاق السيطرة في أية لحظة. لا ينبغي أن يعود أحمد إلى مرضه مجدداً. سأخضعه لجلسات العلاج التي يحتاج إليها مهما بلغت.

كانت أليس، مساعدة بيبي، تنظر إلي في غياب بيبي نظرة المفوض المستهجن، وقالت:

- لا تحب بيبي أن يستخدم أحدنا هاتفه المحمول في المتجر. فقصدت الحمام للرد على الدكتورة كين. كان علي أن أكبح قلقي في أثناء حضور أحمد، لكنه ربما شعر بتوترتي.

- أهلاً بك! قالت بيبي عندما عادت، ستتولى أليس تعليمك آلية الصراف، وبعد ذلك أريك المخزن بنفسني.

قضيت الصباح في الطابق السفلي أفتح أكوام الصناديق القادمة من ميلانو. أعطتني بيبي سكيناً صغيرة لقص الأشرطة، وسلمتني قائمة جرد أتتحقق

عبرها من كل ملصق، وأخضعتني إلى دورة مكثفة في استخدام مكواة البخار. كان هنالك ٦٥ قطعة علي إخراجها ووضعها على أرضية المتجر.

تناولت بيبي وأليس محفظتيهما، وقالت:

-سنخرج لاحتساء القهوة. ابقِي إلى جوار الصراف، وسنعود فوراً.

مكثت إلى جوار نافذة العرض الكبيرة كتمثال عرض الأزياء، ثم لجأت إلى حاسبي أحصي المبلغ الذي سأجنيه في أسبوعين من دون أن أنسى أنه ربما ستكون هناك عمولة محتملة. كان أكثر مما توقعث. صحيح أنه لن يغطي كل فواتيرنا، لكن عميل مشروع توم سيمنحه ثلاثة آلاف جنيه كمكافأة؛ وبذا نجني ما يكفي من المال للحسم المباشر المستحق في الثلاثين من هذا الشهر، ولسداد تكاليف جلسات العلاج الإضافية، ولكن ذلك لن يكون إلا إذا ما حصلت على عمولة أيضاً.

أحسست بحركة في الخارج فأبعدت هاتفي الخلوي تحسباً لعودة بيبي. لم تكن بيبي، وإنما مجموعة من النساء اللاتي يتفحصن الملابس في النافذة. لمحت شعراً أشقر طويلاً، وسترة حمراء بدت مألوفة بالنسبة إلي، ثم تبدى لي جانب وجه المرأة التي فتحت الباب، فإذا بها هنا؛ والدّة أغسطس، زميل أحمد في المدرسة. كنت وهنا من الأصدقاء الذين يلتقون عند بوابات المدراس، وقد اجتمعث بها منذ بضعة أشهر فقط، وذلك حين وفد أحمد إلى كليسينغتون، فدعته من فورها إلى غرفة أغسطس عندما علمت أنني كنت في ثانوية بروكوود، مما أتاح لي «وصول أحمد إلى جميع

المناطق»، كما أدت صداقته مع أغسطس إلى دعوة أصحاب أغسطس لأحمد إلى العديد من الغرف وحفلات الميلاد. عرفت كيف سيكون رد فعل هنا عند رؤيتي أعمل في متجر.

اختبأت خلف المنضدة، وجلست القرفصاء أصغي إلى حديث هنا وصديقاتها.

- مرحباً. هل من أحد هنا؟

لم أكن أعرف ماذا أفعل، وقبل أن أتمكن من اتخاذ قرار، أتى من يتخذه بدلاً عني إذ عادت بيبي وأليس واستقبلتا هنا وأمها زملاء أحمد الأخريات، فنهضت قبل أن يكتشفن أمري، ويتضح لهن أنني كنت مختبئة، فقلت:

- مرحباً! أسفة! كنت ألتقط قرطي!

ابتسمت لي هنا حين دلفت منها لأقبلها قبلتين فبدأ لي أنها حسبتني دخلت من الجانب الآخر لالتقاط قرطي فقط، لولا أن قالت بيبي:

- إذن فأنت تعرفين فائزة، بائعتي الجديدة؟

فتحت هنا فمها ولم تتحرك قيد أنملة، فانتبهت بيبي لارتباك هنا لدى سماع المعلومة، فقالت:

- هل تعملين هنا؟

- نعم! أفكر في بدء عمل تجاري متعلق بالأزياء عبر الإنترنت، فأريث أن عملي هذا سيكون أفضل سبيل لمعرفة المزيد عن صناعة الأزياء.

ابتسمت هنا كأنما ارتاحت فجأة، أو أن محاور

عالمها اعتدلت من تلقاء نفسها، ثم جلست لتجربة بعض الأحذية.

- «هل تمانعين أن تكوني فأر تجاربنا في بروتوكول بيع الأحذية؟ أريد أن أعلم فائزة العمل.» قالت بيبي وهي تقترب منا.

وقفت وفي يدي أحد الحذاءين محاولة أن أبدو كما لو أن بيبي ستعطينا معلومات حيوية.

- إذن، ينبغي أن ينصب التركيز على التجربة ككل. قالت بيبي وهي تخرج الحذاء الآخر من علبته. أحب حفيف القماش. ماذا عنك؟

تبادلنا وهنا النظرات وابتسمنا.

- أولاً، تقدمين للعميل جورباً إن أراد، وأشارت بيبي إلى كومة مجاورة منها، ثم تنحنين وتضعين الحذاء في قدم الزبون بنفسك؛ فنحن نقدم خدمة فاخرة.

لم يعد لي ولها أن نتبادل النظرات؛ أما بيبي فكانت تنتظر، فجثوث على الأرض بشكل غير أنيق راحة عند قدمي هنا الحافيتين ذات الأظفار الفرنسية المشذبة.

- أوه! لا حاجة إلى ذلك! قالت هنا وقد همّت بأخذ الحذاء مني، لكن بيبي أوقفها وقالت:

- هل تمانعين أن تتدرب فائزة بك؟

حللت سحاب الحذاء وفتحته بالكامل حتى تتمكن هنا من دس قدمها فيه، ثم أغلقت سحابه، وغادرت بيبي.

عضضت خدي من الداخل محاولة كبح جماح نفسي فاحمر وجه هنا، ثم عرجت نحو المرأة بحذاء واحد خلعتة بنفسها بعد ذلك، وعادت حافية القدمين لترتدي حذاءها الأساس، وقالت:

-لم أنتبه إلى الوقت! علي تأجيل ذلك لوقت لاحق. وداعاً أيتها السيدات!

وغادرت المتجر، أو لعلها فزّت منه.

وعكفت على إعادة الحذاء إلى علبته، وتخيلت قدوم جوليا وانتظارها أن ألبسها الجوارب والحذاء بنفسي، فشعرث أني في كابويس فظيع.

ذهبت إلى الحمام، وهناك جففت دموعي بورق التواليت قبل أن يفسد تبرجي، وتذكرت أني أفعل هذا في سبيل عائلتي، ومن أجل أحمد وتوم. كنت أفعل ذلك لإنقاذ نفسي. لم أستطع المكوث في الحمام طويلاً لأن بيبي أوصت ألا تطول استراحة الحمام أكثر من خمس دقائق كحد أقصى.

لكن اليوم تحسن بشكل أفضل، فقد ساعدت امرأتين في انتقاء ملابس لحفلة صيفية، وأحذية وحقائب منسجمة، وذا يعني عمولة مقدارها مائتا جنيه.



قبل نهاية مايو بثمانية عشر يوماً

بعد يومين من عملي في متجر الفراشة، استيقظت لأرى توم جالساً قبلي في السرير محديقاً في هاتفه. لقد اكتشف أحدهم مقالاً يتناول إعلان العميل الأرجنتيني إفلاسه؛ فكان لابد من تأجيل المشروع الاستشاري.

عاد إلى الفراش وأدار ظهره إليّ. لم تكن من عادته أن يسمح لنكسات العمل أن تؤثر فيه، وكان يقول دائماً: «ننجح حيناً، ونفشل حيناً».

- هل أنت على ما يرام عزيزي؟ قلت وانحنيت أداعب شعره.

ابتعد عني. لا شك في أنها ضربة قاسية، وخاصة أنه عمل على المشروع بجِد، ويأمل أن تعمل أتعابه على ترميم صندوق الطوارئ.

- اسمع. يمكنك أن تستريح بينما أوصل الأولاد اليوم، فلدي الوقت لذلك قبل زهابي إلى متجر الفراشة.

لازمي القلق حياله طيلة يوم عملي، فرحت أنتهز أذونات إضافية أقصد فيها الحمام كي أتمكن من مراسلته وسؤاله عن حاله، فكان يجيبني ببساطة:

عندما عدت إلى المنزل في تلك الليلة، كان لا يزال يرتدي القميص الذي نام فيه وسرواله الرياضي، كما أنه لم يحلق ذقنه ولم يستحم ولم يسرح شعره. أما عيناه فلا تزالان في حالة صدمة جعلته يذهب إلى فراشه فور انتهائنا من عشاءنا، ولما صعدت إلى الطابق العلوي أفيثه جالساً فوق السرير والأنواز من حوله مضاءة بالكامل، وعلى وجهه انعكاس ضوء شاشة الأيباد. لم يلتفت، لكنني سمعت صوت «تشغيل» تلاه صوت نقر «تك، تك»، وتكرر ذلك مراراً، فلما نظرت إلى الشاشة رأيت أنه يلعب سوليتير.

استلقيت إلى جواره، لكنني قررت ألا أقول شيئاً، فهو يحتاج إلى بعض الوقت لكي يتعافى خلاله من خيبة أمله بسبب فشل المشروع، وعما قريب سيعود إلى سيرته الأولى.

لكنه في اليوم التالي وما تلاه لم يعد إلى سيرته الأولى، كما توقف عن الخروج لممارسة الجري صباحاً، وراح يلعب سوليتير في سريره.

كان ينزوي في مكتبه بينما أتناول الطعام مع الأطفال، ولم يكن لتوسلي أو تشجيعي أن يبهجه. قبلت في السرير جبينه وضممته راجية أن أجد إلى إسعاده سبيلاً، حاولت بشتى السبل والوسائل أن أخترق جدار عزلته، لكنه صد عني وعاد إلى لعبة السوليتير.

استطعت أن أرى في وجهه انعكاس خوفي. من دون المشروع، لن يكون لدينا ما يكفي لتسديد

الفواتير؛ كما أنَّ راتبي لن يغطي كل شيء إلا إن حصلت على الكثير من العمولات. كان عليّ الحرض على إجراء أكبر عدد ممكن من المبيعات، وكنت ممتنة أنني حصلت على فرصة العمل في متجر الفراشة، فراحة البال تستحق عناء الإذلال.



قبل نهاية مايو بستة عشر يوماً

عند نهاية الأسبوع، جاء ث ليزي وجوليا إلى المتجر برفقة أنا وأخريات، وطلبن مني جميعاً اقتراح تصاميم ملابسهن، باستثناء جوليا التي قالت: «بيفي تعرف ما يعجبني». كانت جوليا وبيفي جالستين تتحدثان بدلاً من تفحص الملابس، ثم رأيتهما تنظران إليّ مرات عدة.

بعد ما قالته أنا عن «أصولي»، حرصت على أن أريها أغلى ما في المتجر من ملابس، أما ليزي فاشتريت ثلاثة أزياء والعديد من الملابس الداخلية لقضاء إجازتها، لكنهن ضاعفن عمولتي إذ كنّ جميعاً في جولة تسوق كبرى بحلول نهاية الأسبوع.

سألتنى بيفي نهاية أسبوعي الأول ونحن نغلق المتجر:

- هل لك في تناول الشراب؟

كان على أولادي أن يعودوا إلى المنزل بعد نصف ساعة من مباريات الجمعة، وكنت أنوي تفقد أمي وأبي قبل العودة إلى المنزل إذ لم يكن أبي على ما يرام فأردت فحص ضغط دمه. أما صوفيا فكانت تستضيف في غرفتها صديقات لها، فأردت مساعدتها في تضييب الغرفة وإعداد العشاء، ولكن بيفي باتت

ربة عملي، وأنا أوشك على استلام راتبي، ولذا قبلت دعوتها، ثم إن في دعوتها لطفاً بالغاً.

كانت أمسية صيفية دافئة فجلسنا خارج بار القرية إلى مائدة معدنية مستديرة على الرصيف لاحتساء شراب ما بعد العمل وقبل المواعيد. ارتشف الكولا ببطء، ثم تحدثنا عن أطفالنا وأبنائها الجامعيين العشرينيين، ثم خضنا في الحديث عن خير علاج لترهل الخدين.

وضعت بيبي كأس نبيذها، فنظرث في ساعتني تحت الطاولة، وعلمت أن الوقت قد يسعفني لإلقاء التحية على والدي إن لم أطل المكوث، فابتسمت لي ودنت مني وقالت:

- لقد راقني وجودك في المتجر، يا فايضة.

- شكراً! أنا أحببته أيضاً، وأعتقد أننا نشكل فريقاً جيداً.

فجفلت كأنما وخزها واخز فآلمها، وقالت:

- ما أردت قوله هو أنني لا أعتقد أن الأمر سينجح. أنا أسفة.

تبددت ثمرات الحانة، فقبضت على كأسني الذي بات زلقاً لتعزقي.

- حسبت أنني أبلي بلاء حسناً. لقد بعث من الملابس ما تفوق قيمته خمسة آلاف جنيه، كما تعلمت تشغيل صندوق المدفوعات النقدية، وفعلت كل ما طلبته مني حتى أنني قمت بتنظيف المتجر والنوافذ في أثناء مرض العاملة. أنا ... أنا لم أفهم.

فرمقتني بعينين لم أر فيهما أية عاطفة، فحدّث في الخطوط حول شفّتها عندما بدأت في الكلام:

- أخبرتني إحدى العميلات، وهي سيّدة تعرفك جيداً، أن أمّهات الطلاب يجدن في خدمتك لهن حرجاً، وقالت إن هنالك من سألن أليس عن ميقات غدائك حتى يأتين في أثناء ذلك. إنها واحدة من أسخى زبائننا، والظروف الآن عصيبة كما تعلمين، ولذا لا يمكنني تحمل تقلص البيع عندي.

وهزت كتفيها وشعرها المصبوغ، وأضافت:

- لست في حاجة إلى هذه الوظيفة لتتعلمي التجارة. عندما يرين سيّدة مثلك وأنت واحدة منهن، تعمل في المتجر يتذكرن أنهن بشر أيضاً، وهذا يضر بالعمل.

فركت قفا رقبتني. لقد أصبت بشد عضلي في اليوم الأول من أسبوعي، أومأث إليها، وتذكرت وجه هنا حينما هربت من المتجر، والطريقة التي رمقتني فيها جوليا عند استفرادها ببيفي؛ وعرفت غريزياً أن جوليا، لا هنا، هي دفعتها لطردني. لماذا كرهتني تلك المرأة كل هذا الكره؟

- هذا هو راتبك لهذا الأسبوع.

سلمت لي مظروفاً بنياً.

- إنها أربعمائة جنيه عدأ ونقداً.

- وماذا عن عمولتي البالغة ثمانمائة جنيه أخرى؟

- لا عزيزي. لا عمولات في الأسبوع التجريبي.

وجدت نفسي بعد دقيقة أتوجه نحو الضواحي
باكبة أخشى أن يرى أحد بكائي، فاتصلت بتوم
طالبة منه موافاتي إلى حيث أنا.

ضمني وقادني إلى السيارة؛ فبدا لي أن رؤيته لي
على هذه الحال قد أعادته توم القديم إذ ابتسم لي
ابتسامته المعتادة المطمئنة، ثم قال:

- على الأقل، لن تضطري للاختباء في الحمام كلما
أردت مراسلتي.

كفكفت دموعي، وضحكت قبل أن يعاودني البكاء
مجدداً، فقد زادني لطفه شعوراً بالسوء. ما كان
ينبغي لي أن أفقد هذه الوظيفة.

تركني في غرفة المعيشة مع زجاجة ماء ساخن،
وكوب شاي وكعكة ليمون لصوفيا، ولكن أياً من
هذا لم يرحني؛ بل غمرتني موجات مخاوفي التي
تفاقت في صدري حتى شعرت أن هنالك من
يمسك بحنجرتي. كانت وظيفة بيبي فرصتي
الأخيرة لإصلاح الأمور.

سمعت أليكس وتوم يغنيان أغاني توماس في
المطبخ، وشعرت بصدى الموسيقى قادماً من غرفة
نوم صوفيا في لطابق العلوي. كان صوت صراخ
أحمد وأصدقائه في أثناء لعبهم على الإنترنت أجمل
ما في الأمر. ولكن ما الذي يحدث لعائلتنا الآن؟
كانت الدكتورة كين تخشى انتكاس أحمد مجدداً.
ماذا لو جعله كل هذا يدور في دوامة لا أستطيع
إخراجه منها؟

جاءت صوفيا لاصطحابي لتناول العشاء، وراحت
تجزّز قدماً أمام قدم بجواربها المدرسية، وقالت:

- حصلت على عمل أيام السبت في زارا.

قفزت وعانقتها، فربتت على ظهري، وقالت:

- مهلك يا أمي، فليس ذا بالصفقة الكبيرة.

- بل هو كذلك! أنا فخورة بك جداً.

وبعد ذا استلقيت وتوم على الفراش متقابلين،
وقد تسلل القمر عبر نافذتنا ليسقط نوره على
وجهه، أما الشجرة فراحت تترنج في مهب النسيم
أمام النافذة فتحجب ضوء القمر حيناً لتغرقنا في
الظلام. مد كلانا ذراعيه نحو شريكه فالتقت أصابعنا
وتشابكت.

- توم؟ قلت وأنا أنظر بعيداً، هل ستخبو جذوة
حبك لي يوماً؟

- الزمن وحده كفيل بإخبارك.

سمعت ابتسامته في صوته.

- لا. جدياً. ماذا لو اقترفت خطأ؟ هل ستحبني
مهما فعلت؟

- تصعب الإجابة عن سؤالك هذا.

كنت في بعض الأحيان أكره إخلاصه للحقيقة.

- لماذا تسألين؟ ما الذي اقترفته؟ هل قتلت أحداً
ما؟ أم سرقت مصرفاً؟ أم كنت على علاقة مع دمية
صغيرة؟

كان قلبي ينبض، أما عيناه فجالتا في وجهي، ثم

ابتسم وقال:

- إن تحملتك عشرين عاماً، فقد أستطيع تحملك
عشرين عاماً أخرى. أيناسبك هذا؟

- أسفه لأنني أضعت تلك الوظيفة الغبية.

- لم تكن غلطتك. أنت لم تقترفي ذنباً.

غمرت كلماته أذني كأنما هي قرع الطبول. خمسة
عشر يوماً تفصلنا عن الإفلاس؛ فشعرت بالرعب
والتوتر الحاد يسري في بشرتي.

لم يكن لدي خيار سوى التحدث معه عن المال
الآن، لولا أن حفلة عيد ميلاد صوفيا في نهاية هذا
الأسبوع، ولذا قد أوجل ذلك إلى وقت لاحق.



قبل نهاية مايو بخمسة عشر يوماً

كانت حفلة صوفيا وميغ تجري على قدم وساق. جلست أنا وتوم إلى طاولة في الزاوية نحدث والدي ميغ بصوت أعلى من صوت الموسيقى، وكانت الفتيات يرقصن وسط النادي المظلم بينما راحت الأضواء الزرقاء والوردية تنبض فتبرز وجوه صديقاتها، ثم تجمهرنا حولهن وهن يقطعن كعكاتهن أمام البار الذي زينته بالونات وردية عملاقة كتبت عليها الرقم ثمانية عشر. ابتسمت الفتيات بخجل وقد تشابكت أذرعهن فيما راحت صديقاتهن يغنين «كلام! كلام!».

كانت صوفيا ترتدي حذائي ذا الكعب وفتاناً أسود قصيراً، فبدا وجهها مفعماً بالإثارة، فكأنما فرغ صبرها في انتظار حقبة «البالغين» الجديدة. كنت سعيدة جداً أن وفّرت لها مصاريف تنظيم حفلها، فهي لحظة لن تتكرر مرة أخرى. ضمنى توم فدفث نحوه، وقلت:

- ابتننا! ما شاء الله!

علمت أنه ربما لم يؤمن مثلي بفكرة قولي: «ما شاء الله!»، والتي تعني الثناء على الله وطلب حفظه لهذا الشخص الجميل الذي أنجبناه بطريقة ما، لكنه

ابتسم وقال: «أعرف.»

جاءت صوفيا لتحتضني وتخبرني أن صديقاتها
يربن في «أما رائعة جداً وجميلة جداً». سعادتها
أشعرتني رغم دهشتي بالارتياح لاجتياز أصعب
اختبار وهو اختبار المراهقات. كنت قد ارتديت
فستاناً أحمر «خفيفاً» وحذاء بكعب وثنيت ذهبية،
ووضعت أحمر شفاه أحمر، وكلها تفاصيل قد وافقت
عليها صوفيا مسبقاً.

رقصت مع صوفيا وتوم، وتناولت كعكة الميلاد،
وتجاذبت أطراف الحديث مع والدي ميغ، وشفقت
وبكيث خلال خطاب صوفيا. طوال الوقت، كانت
تعتريني رهبة لم تفارقني منذ طردتني بيبي، بل
شعرت بها تسري تحت جلدي فتقلقني. كانت كأزيز
مستمر في أذني وانقباض في أمعائي؛ بل كان الأمر
أشبه برعب مفاجئ لمصادفة غريب في طريق
مظلم، لكن استحوذ لحظات خوفي وتكرارها،
سيمنعني ولا بد من المضي قُدماً.



قبل نهاية مايو بأربعة عشر يوماً

كان اليوم التالي موعد حفلة أحمد المدرسية، فوصلت باكراً لمساعدة هنا في تحضير كشك لعبة الحظ، قبل أن أعود لاصطحاب أحمد. رغم تجاوز كليسينغتون؛ مدرسة أحمد، وبروكوود، مدرسة صوفيا، إلا أنهما أحييتا الأحداث منفصلتين. كنت سعيدة أنني لم أر جوليا هناك إذ لا ولد لها في مدرسة كليسينغتون.

كانت تلك أول مرة أرى هنا فيها بعد حادثة الفراشة. لم أكن أعرفها، كما أعرف ليزي أو سام، بما يكفي لأسخر من الأمر أمامها، وقد جاءت مسرعة لتقبلني قبلتين كما لو أننا لم نتقابل منذ وقت طويل.

ناقشنا واجبات الأولاد المنزلية من دون أن تأتي أي منا على ذكر متجر الفراشة، وسرعان ما نفذ ما نتحدث فيه؛ فحل فجأة صمت خطير، ثم شعرث بالامتنان لها لأنها خاضت في تفاصيل عن الطلاب الجدد الذين انضموا إلى فصل أولادنا بعد الصيف.

- هناك صبيان هنديان أيضاً. ألن يكون ذلك جيداً بالنسبة إلى أحمد؟ قالت متبسمّة. «ترنو المديرة إلى مزيد من التنوع.»

لم أعرف بالضبط بماذا أجيب، فرغم سعادتي البالغة بوجود المزيد من ذوي الوجوه السمراء في المدرسة، إلا أنني شعرت بالضيق لطريقتها في تغليب أحمد على الفور في صندوق معين. والمضحك في الأمر أن جميع أصدقائي البريطانيين الباكستانيين يعتبرون أبنائي «بيضا»، بينما يصنفهم جميع أصدقائي البريطانيين البيض بأنهم «شمز». لا. لا بد أنني بثت شديدة الحساسية. إنها محقة. سيكون من الرائع أن يجتمع أحمد بمن له ثقافته الآسيوية ذاتها. ٩٥٪ من عائلة كليسينغتون الآن هم من البيض.

- سيكون ذلك رائعا.

من خلال طريقتها، علمت أن هنا كانت تحاول أن تريحني وتجعلني أشعر أنني موضع ترحيب.

ولما افترقنا، انجلى عني الحرج الناجم عن حادثة الحذاء فساورني شعور بالارتياح.

عندما وصلت أنا وأحمد إلى الحفل بعد ساعة وجدنا أمامنا الكثير من الناس.

كنت أراقبه باهتمام طيلة الصباح، وأدعو له بصمت وهو يرتدي ملابسه ويتناول فطوره. كنت أخشى أن يرفض الذهاب رغم حماسه له لأسابيع خلت. كنت مسرورة لسماعه يتذمر كعادته اليومية من قلة المربى فوق شرائح الخبز المحمص، وطلبه بعض العملات المعدنية الإضافية للأكشاك. حاولت احتواء حماسي إذ أعلم أن مزاجه قد ينهار في لحظة، لكنني سمحت لنفسي أن أكون ممتنة لتحسن حاله الآن.

انضم أحمد إلى أصدقائه، بينما رأيت مجموعات من نساء يرتدين الجينز الضيق وأحذية الباليه والنظارات الشمسية والقمصان ذات الألوان الزاهية، أو الفساتين الصغيرة الخفيفة، وهن يتمايلن كزهور التوليب، ويتحدثن ويضحكن، فانضممت إلى أولياء أمور صف أحمد، لكنني لم ألتقط سوى مقتطفات من محادثة تدور إلى جوارى حول امتحانات الالتحاق بالجامعة، وخطط الإجازة في باربادوس أو كورنوال. ومع تحول الحديث إلى الفصل الدراسي الذي سينتقل إليه أولادنا العام المقبل، لم أستطع تحاشي قلقي حيال ما قد يحدث إن اضطر أحمد إلى المغادرة ...

مش أحدهم ذراعي فارتبكت للحظة. إنها نائلة.

- مرحباً! عانقناها بقوة، وقلت: إنها مفاجأة جميلة! ما الذي جاء بك إلى هنا؟

ابتسمت وأشارت برأسها نحو الملعب الذي يلعب فيه ابنها عادل مع أحمد.

- نقل لي عادل عن أحمد أن للجميع الحق بالحضور، ولذا ...

- طبعاً! أنا سعيدة برؤيتك.

وجالت ببصرها بين الأكشاك، فهل كانت تخشى أن تفسد الرأسمالية الصارخة ابنها عادل؟ كانت متجهمة إذ تنظر إلى الأكشاك التي تباع قمصان المصمم وزيت الكماة.

- أعلم أن هذا غريب بعض الشيء؛ لكن بعض

الأكشاك جيدة حقاً. عليك التحقق من مكتبة
الأطفال وآلة الكعكات الصغيرة.

عاد عادل راكضاً بعد بضع دقائق وقد احمر وجهه،
وغطت غرته جبينه، فعانقته بقوة.

- عذراً فايضة. لقد تأخرنا عن حفلة عيد ميلاد
وعلينا أن نغادر. قالت نائلة بسرعة.

ولما غادرا دنث مني هنا، وقالت:

- رأيثك تتحدثين إلى الأم الجديدة. كنت أنوي
أن أقدمكما إلى بعضكما بعضاً، لكنكما التقيثما قبل
ذلك. أليست امرأة رائعة؟

كنت سعيدة جداً أني وجدت صديقة سمراء أخرى
فلم أكد أجرو على تصويب الأمر لها.

- لا. هي في الواقع صديقة قديمة، لم أقابل الأم
الجديدة بعد.

عبست هنا وبدت محرجة من خلطها بين «الشمر».
لكني أدركت حين تحدثت مرة أخرى أنها لم تكن
محرجة بل مخطئة وحسب.

- أسفة. لم أكن أتحدث عن صديقتك؛ إنما قصدت
السيدة التي غادرت للتو، نائلة. رأينا أنه من الجيد
دعوة جميع الآباء والطلاب الجدد إلى الحفلة اليوم

سمعت كلمات هنا لكنها لم تكن كلمات منطقية.

- ما اسمها واسم ابنها الكاملان؟

لم تكن نائلة هي نائلة الوحيدة في لندن.

سلمتني هنا ورقة كانت تحملها.

- هذه قائمة بأسماء الآباء الجدد. جميعهم وقعوا على جولة الفصل.

تفحصتها في عجلة، فرأيت اسم نائلة وطارق وعادل، وعنوان بريدهم الإلكتروني ورقم هاتفهم الخلوي. أحكمت قبضتي عليها، وأعدت قراءتها محدقة جيداً رغم علمي بصحتها.

كان على عادل أن يخضع للامتحان منذ أسابيع عدة.

لازمي التفكير في نائلة في طريق عودتي. لماذا كذبت علي؟ لا بد أنها عرفت أنني سأكتشف أمرها قريباً. أغضبني جداً تفكيري بكل الاستهزاء الذي وجهته لي بشأن المدارس الخاصة، مما جعلني أشعر أنني ارتكبت جريمة أخلاقية، ثم ها هي ذي الآن ترسل ابنها عادل إلى مدرسة مأجورة هي مدرسة ابني ذاتها، لم يكن لديها من اللباقة ما يدفعها لإخباري. لا بد أنها شعرت فجأة أنها شخص مختلف تماماً، لا صديقتي لما يقارب ثلاثين عاماً.

ربما أخفيت نفقاتي عن توم، لكنني فعلت ذلك لحماية عائلتنا وحسب، أما ما فعلته نائلة فكان نفاقاً إذ ظلت لسنوات ترى أنني اتخذت خياراً منحرفاً اجتماعياً، فجعلتني أشعر بالذنب كل ذلك الوقت، وها هو ذا حالها الآن.



قبل نهاية مايو بثلاثة عشر يوماً

لم أرغب في الاستيقاظ يوم الإثنين، بل أردت أن أبقى عيني مغمضتين وأن أضغط زر «الإيقاف المؤقت» لحياتنا؛ فإن واصل هذا اليوم مُضيّه كان علي أن أحدث توم عن المال؛ فهو يظن أنني قد حوّلت الأموال الآن، بينما نحن ندلف من الثلاثين من شهر مايو، وأعلم أن شيئاً لن يتغير في الأيام الثلاثة عشر القادمة. يا للثلاثة عشر من رقم يجلب سوء الحظ!

في ذلك الصباح، كان علي أيضاً بيع تذاكر المزاد بعد الإيداع، لكنني سأعود في الساعة العاشرة صباحاً، وعندها سأخبره.

كان توم لا يزال نائماً، بينما أنا أهدق في عنكبوت صغير في السقف حين رن هاتف الخلوي في السابعة صباحاً؛ فنهضت أخشى أن تكون أُمي المتصلة، كما أن توم استيقظ أيضاً.

إنها الدكتورة كين؛ ولذا راح قلبي يخفق إذ لم تكن تتصل بي إلا في الفلمتات.

- هل من خطب بخصوص أحمد؟ قلت قبل أن يتاح لها التحدث.

انحنى توم نحوي حين سمع اسم أحمد.

- لا، بل إنَّ حاله تتحسن. هو قلقٌ قد يعاوده في بعض الأحيان فيزداد قليلاً هكذا، ولذا وددت لو أوصل جلساته الإضافية في الوقت الحالي، لكنني أتصل الآن من أجل أمرٍ آخر.

تنفست الصعداء كأنما استنزفت فجأةً، فأشرت إلى توم بابهامٍ مرفوعٍ أن الأمور بخيرٍ فراح يتصفح هاتفه؛ فاتكأث مجدداً بانتظار أن تواصل الدكتورة كين حديثها، فقالت:

- أنا آسفة ... إنها مسألة حساسة نوعاً ما.

فعبست وارتبكت.

- لقد تم رفض حسمك المباشر.

قفزت من السرير أخشى أن يكون توم قد سمع مقالتها، لكنه كان يحدق في شاشة هاتفه، فنزلت بينما واصلت الدكتورة كين كلامها:

- أعلم أنكم دفعتم للتو فاتورة الشهر الماضي، لكن أمامكم ثلاث فواتير لا تزال مستحقةً، ولا يخفى عليك أننا من الآن فصاعداً نحتاج إلى الدفع مقدماً، وذلك أنني أخشى أن سياسة الشركة تقوم تلقائياً بإرسال الفواتير غير المدفوعة إلى وكالة تحصيل الديون، كما أننا عادةً نوقف الجلسات، لكنني إذ أعرفك أردت أن أخبرك بنفسني بدلاً من مطالبة السكرتيرة بالاتصال بك؛ فإن وصلت إلى وكالة تحصيل الديون فقد تكون لها عواقب شتى على تصنيفك الائتماني و ...

-أنا أسفة جداً دكتورة كين. لا أستطيع التفكير فيما حدث، لكنني سأجد حلاً بالتأكيد.

-لقد طلبت من الشركة أن تمنحك عشرة أيام أخرى قبل المضي في إجراءاتها قدماً، وهذا أكثر ما يمكنني طلبه.

بجيبين متغضن أوصلت صوفيا إلى مدرستها، فكنت لأول مرة سعيدةً بهدونها في السيارة وانغماسها بسماعاتها في تطبيق سناب-شات.

كنت فيما مضى معتادةً على التبرج والزينة واللباس المناسب لبيع التذاكر، أما الآن فلم تعد بي طاقةً لذلك؛ ولذا قمث للتو بتسريح شعري، وارتديت أحد قمصان توم فوق بنطال ضيق.

ولما رحلت أسلم التذكرة تلو التذكرة، داهمني التفكير أنني لا أحتاج مما أجمع إلا إلى بعض تلك الأوراق النقدية الهشة من فئة الخمسين جنيهاً من أجل دفع فاتورة الدكتور كين. تحسست الأوراق النقدية بين أصابعي وأنا أفكر في أن محصلي الديون لن يؤخروني إلى أجل آخر.

تنهدت لسخافة هذه الفكرة؛ فذا يشبه السطو على بنك.

أخذت المال إلى خزانة المكتب بعد أن جمعت ألفاً ومائتي جنيه وضعتها في الصندوق.

وبينما أنا أقوم بإغلاقه، ألقيت نظرة خاطفة على السيدة ويست الجالسة في مكتبها وظهزها نحوي، وهي تتنقل بنظرها بين الأوراق على مكتبها وجدول البيانات على الكمبيوتر. إن أخذت القليل من المال،

ألفاً منها فقط، قد لا يراني أحد. أعرف أن في
الردهة كاميرات مراقبة، أما في المكتب فلا أظن
أني رايت فيها من تلك الكاميرات، وبذا يمكنني أن
أزعم كذباً أنني بعث من التذاكر أقل مما بعث حقيقة.
راح قلبي ينبض، ووقفت ساكنة من دون حراك أو
جراحة على التنفس.

لم أستطع أن أفعل ذلك، فأغلقت باب الخزانة
وأقفلته، ودسست مفتاحه في محفظتي،
وبث خائفة من أن الفكرة قد خطرت في بالي؛
فهي أموال خيرية تُجمع للأطفال المرضى في
المستشفى.

هرعت إلى سيارتي فراح ذعري يتلاشى كلما
ابتعدت بسيارتي عن المدرسة. لقد كانت لحظة
جنون، واسيت نفسي أنني لست سارقة رغم أنني
كاذبة. فتحت الراديو ممتنة لإيقاع الموسيقى
الثقيل إذ راح ينبض في الوقت المناسب. كان كل
شيء ليتغير لو أخذت هذه الأموال.

تسارعت الأفكار في رأسي إذ لا مكان آخر أذهب
إليه، ولو كانت مشكلة أخرى إذن لأفضيئ بها إلى
توم. كان سيعانقني ويقول: «فلننظر كيف لنا أن
نحل هذه المشكلة». أردت أن أثق في سام فتستمع
إلي وتصحني، ثم تطعمني البسكويت وتضحكني
بطريقة ما. وددت لو أجلس في أحضان أمي فأكلهما
وهي تمسّد شعري، وتمنيث لو أن أبي يضمّني تحت
سترته الخشنة فأشعر هنالك بالأمان كعادتي.

لكني لم أستطع إخبارهم بامر صندوق الطوارئ.
كان شعوري بالذنب مذ خسر توم وظيفته يغلي بين
جوانحي فتزداد رائحته القذرة أكثر فأكثر؛ وها هو

سُمِّه الان يسري مباشرةً إلى ذهني، فكأنما تعطل وجودي كله. لقد كدث أسرق بعض المال فيتحول كل ما كنت عليه طوال حياتي - ولو لبضع ثوانٍ - إلى شيء بلغ من القبح أنني بث أخشى وأجهل ما قد أفعله بعد ذلك.

قدت سيارتي لساعات وأنا أجهذ عقلي لإيجاد طريقة أخرى أسد بها فاتورة الطبيب، ففكرت في لوحة البحر المعلقة خلف الأريكة. إنها لفكرة! لعلي أطلب من المعرض إعادة شرائها.

كنت قد اشتريت اللوحة بخمسة آلاف جنيه، باستخدام صندوق الطوارئ، قبيل أن يحين دوري في استضافة حفل نهاية السنة الدراسية لأول مرة في منزلي، وذلك حين نالت صوفيا شهادة الثانوية العامة. كنت حينها أتوقع حضور عشرين أماً إذ لم أكن أعرف بعضهن قط، وحين رأيت ردود فعل الحضور على اللوحة الصامتة الضخمة بألوانها الزرقاء والخضراء، لم أشعر بالذنب كوني أنفقت في مقابلها الكثير، و لأنني أخبرت توم أنني اشتريتها من معرض فني ببضع مئات من الجنيهات.

كانت اللوحة وألوان الجدران ونمط الأرضية في منزلنا والنبذ الذي قدمته والملابس التي ارتديتها تلخيصاً وطمأننة لكل من زارني أنني مثلهن تماماً.

لقد استرخى الضيوف عندما رأوا لوحة المنظر البحري معلقة في ديكوري البسيط، فلم يسألوني من «أي البلاد أنا حقاً»، ولا هم شككوا في حقي في الوجود داخل أسوار الجيب الذهبي الذي شيدوه لأنفسهم. لا كسابق عهدهم على أقل تقدير.

أما اليوم فقد بدت لي اللوحة وكل شيء سواها محض أخطاء. هل كانت نظرة الناس إلي على أنني مثلهم تستحق مني المجازفة بكل شيء؟ كان سؤالاً عرفت إجابته؛ لكنني وددت لو أستطيع إعادة الأمور إلى نصابها.

عندما وصلت إلى المعرض أخبرني المعاونة أن مالكة غائب مدة أسبوعين قادمين، وأضافت أنه حتى لو وافق، فلن يدفع ثمن اللوحة إلا عندما يشتريها منهم شخص أخز مهما طالت المدة.

خرجت وقد انتابني نوبة خدر.

لقد تأخرت على أليكس إذ كانت قدمي ترتجف رغم رغبتني في الإسراع. شعرت كأنما أسير في بحر عاتية أمواجه فترتطم بوجهي وتدفعني إلى الخلف، وكأن الشارع الرئيس غارق في مائه بكل ما فيه من متاجز ومقاه ومصففي شعر، وبدا لي كذلك أن كل خطوة من خطواتي راحت تستنزف كل طاقتي حتى أحسست أنني قد أستسلم في أية لحظة لاكتساح التيار.



عندما وصلت مع أليكس إلى كليسينغتون لم يكن أحمد عند البوابة؛ فانتظرت حتى رحل الآباء والأطفال الآخرون، فكان أليكس يشد يدي قائلاً: إنه جائع ويريد العودة إلى المنزل.

شيء ما بدأ يعتمل في صدري إذ لم يتأخر أحمد قط.

دخلت المدرسة أسحب أليكس ورائي وقد خنقني فيضان شكواه وأسئلته، بينما أنا أحاول منع نفسي من الجري في الممرات وصولاً إلى فصل أحمد.

كان الفصل فارغاً وقد دفعت الكراسي تحت المكاتب بعناية، فركضت نحو حمام الأولاد، ثم إلى الملعب في الفناء الخلفي، وقد بدأ أليكس في البكاء قائلاً:

-أريد العودة إلى المنزل!

عدت قافلة نحو البوابة عسى أن نصادفه هناك، بيد أن المنطقة باتت مهجورة.

كنت ألهث وقد أشرفت على البكاء، فعانقت أليكس وأخبرته ألا مناص لنا من إيجاد أحمد، وأنه قد يكون مريضاً.

اتصلت بأم دانيال، ثم بهنا، ثم بأمهات أصدقائه الأخريات. هل نسيث موعد لعبة أو مباراة مدرسية بعد المدرسة؟ سمعت النساء يلتفتن إلى أولادهن ويسألنهم بلهفة ما إن رأوا أحمد، لكنهم لا يذكرون أنهم رأوه بعد الدرس الأخير، وحينها سمعت صوت عذابي وذعري في أصوات النساء أيضاً.

اتصلت بتوم في طريق عودتي من مكتب المدرسة فلم يجب، ثم اتصلت بصوفيا وسألته: هل أحمد في البيت؟ لكنه لم يكن هنالك.

قدمت أمينة سر المدرسة بعض البسكويت لأليكس الذي جلس في حجري فدفنت وجهي في ظهره الصغير، ثم اتصلت أمينة السر بالبواب للتحقق من الباحة والمسبح، فترأت لي صورة أحمد مستلقياً على وجهه في حمام السباحة، فبدأت أرتجف وأشعر بالسوء، ودعوت الله أن يسلم أحمد. لم أعد مهتمة بالمال أو المنزل أو حتى توم نفسه. فضلاً اجعل طفلي بخيراً!

استدعت أمينة السر الشرطة وزودتهم بكل التفاصيل بدلاً عني لأن بكائي منعني من التحدث.

وحين قدت سيارتي في طريق العودة إلى المنزل ظل أليكس صامتاً، وفي وجهه ذي السنوات الست خوف لم أعده فيه من قبل. اتصل توم قائلاً إنه سيتجول في المدينة بحثاً عن أحمد.

أخافتني النظرة في عيني أحمد حين سألتني ما إذا كان سيضطر إلى ترك مدرسته. كانت كليسينغتون هي المرة الأولى التي عرف فيها السعادة والأصدقاء المقربين. ماذا لو ظن أننا سنأخذه بعيداً عن هذا

كله، لم يكن في الأمس على طبيعته، فلماذا لم أبق إلى جواره وأحاول التحدث معه؟ انقبض صدري عندما اقتربت من المنزل وأنا أعلم أن أحمد ليس فيه.

إنها أول مرة لي مذ ولدته لا أعرف فيها مكانه أو ما إذا كان بخير.

أمسكت عجلة القيادة بإحكام متحاشية التفكير في الاحتمالات الرهيبة الممكنة، ثم تجاوزت بلا وعي مني إشارة ضوئية حمراء فكادت سيارة إلى يساري أن تصطدم بي وقد أطلق سائقها العنان لأبواقه.

اتصل توم عبر مكبر صوت الهاتف، فانتظرت لحظة خائفة مما قد يقوله، ثم أجبت بسرعة.

- وجدناه! إنه سليم معافى.

اضطرت أن أتوقف وأركن سيارتي جانباً؛ لأنني لم أعد أرى الطريق لكثرة ما بكيت.

وعندما وصلت إلى المنزل كانت الشرطة التي وصلت قبلي في غرفة المعيشة، وقد جلس ضابطان طويلان إلى جانبي أحمد الذي كان يحدق في الأرض بلا تعابير. قال أحدهم:

- لا ينبغي أن تفعل ذلك مرة أخرى يا بني، انظر إلى مدى قلق الجميع عليك.

أوماً أحمد برأسه بشكل لا إرادي على ما يبدو. هرعث إليه لأعانقه فدفع ذراعني بعيداً.

وما إن غادرت الشرطة حتى ذهب أحمد إلى

غرفته مباشرة، وقال:

- كل ما أريده هو أن يتركني الجميع وشأني.

ضمني توم وأنا أبكي، ثم قال:

- سأقضي معه المزيد من الوقت. لقد نسينا أمره
في زحمة الأحداث.

اتصلت بالدكتورة كين ثم جلست أنا وتوم مع
صوفيا وأليكس، وبذلنا قصارى جهدنا لطمأنتهم.

لم يبرح أحمد غرفته ولم يتناول عشاءه، أما أنا
فلم أستطع النوم قبل أن أتحدث معه، ولذا حملت
إلى غرفته كعكات مربى الكرز المفضلة لديه،
وحليب الشوكولا، فجلس على سريريه وأكل بينما
أنا جالسة على حافة السرير أتظاهر بتصفح هاتفي؛
وما إن أكل حتى اقتربث وجذبته فسمح لي. بقيت
بجانبه أمسد شعره؛ ثم قلت له بعد برهة قصيرة:

- ما الذي حدث يا عزيزي؟

- لا أعرف.



كان منتصف الليل قد حل تقريباً حين وافتنا صوفيا إلى غرفتنا. كنا أنا وتوم لا نزال مستيقظين. أردنا التأكد من نوم أحمد قبل أن نتحدث، وعندما أطلت برأسي على غرفته رأيته ينام بسلام.

جلست صوفيا على سريرنا، وقالت:

- سألت أحمد لماذا هرب.

فتحفت بسرعة إذ كان قد رفض الإجابة عن جميع أسئلتني.

- وهل أخبرك؟

- ذهب إلى الضاحية وتمشى.

- ولماذا اختفى هكذا؟ هل حدث له شيء ما في المدرسة؟

- لا؛ ولكنه قال إنه ظل يفكر فيما سيحدث له لو انقلب عليه أصدقاؤه كما حدث معه في مدرسته القديمة، ولم يكن يريد العودة إلى المنزل، ولذا ركض إلى الضاحية قبل أن تصلي إليه.

لو لم أتأخر في المعرض لما أسعفه الوقت للفرار.

داعبت شعر صوفيا التي كانت تمضغ إبهامها
وتحرق في الأرض، فقلت لها:

- أنا فخورة بك إذ تحدثت إليه، وعلينا أن نجعل
أحمد يعني أنا جميعاً سنده.

- لا تقلقي يا صوفيا. إنه الآن في مأمن ولن يبتعد
عنا. قال توم.

أعدتها إلى غرفتها مطوقة إياها بذراعي، ووضعها
في فراشها فاستطعت رؤية ارتجافها الذي لم
يبارحها بعد مثلي تماماً.

كان من عادة أحمد أن يأتي لرؤيتي كلما كان
مستاءً أو قلقاً؛ فلماذا شعر هذه المرة أنني لا أستطيع
مساعده؟ لا بد أنه شعر بالوحدة.

في تلك الليلة، لم أكف عن التفكير في اضطرابات
أحمد والاضطرابات التي كنت على وشك إقحام
حياته فيها، بل حياتنا جميعاً. كان علي أن أحميه
مهما كلف الأمر.

نظرت إلى توم الذي كان نائماً. لقد تغيرت حياتي
لحظة قابلته. شاهدت عينيه تتحركان تحت جفنيه
المغلقين فمدت يدي أداعب شعره برفق. لا ينبغي
أن أخسر توم، فإن خسارته خسرت كل شيء.

تنهت عيناى.

حاولت تخمين الوقت. استيقظت كالمنبه مرتين
أو ثلاث مرات في الليل: في الثانية تماماً، والرابعة
تماماً، والخامسة وخمسين دقيقة، فكان استيقاظي
الأخير أسوأها إذ لم يعد أمامي وقت كاف للنوم

قبل أن يرن المنبه الصباحي المضبوط على الساعة السابعة إلا ربع. تحققت من هاتفي. إنه منتصف الليل. يبدو أنني أضفت إلى روتيني مؤقت أرق آخر.

نزلت إلى الطابق السفلي أتجول في الغرفة، لكن هواجسي كانت تتبعني أينما ذهبت، فشعرت أنني في الكواليس أرتقب دمار عائلتي. لم يكن هنالك من أستطيع أن أطلب منه كل هذا المقدار من المال.

كانت أموال أمي وأبي قليلة جداً، أي أقل من عشرة آلاف جنيه، ثم إن أموالهم مغموسة بالتضحيات وضغوطات العيش وتوفير أخذ كل حياتهم من أجل تأمين مستقبلهم. لطالما قال أبي إنهما لا يريدان أن يكونا عبئاً عليّ أو على فرح، وإذا ما طلبت بعض مدخراتهم الضئيلة بات لزاماً عليّ أن أخبرهما أنا نواجه مشكلات مالية، كما أن آخر فحص صحي أجراه أبي كان مقلقاً، ولا أستطيع المخاطرة بصحته.

استنزفت فرح كل مدخراتها لتمويل إقامتها في أمريكا؛ كما أنني ساعدتها في دفع جزء من إيجارها من صندوق الطوارئ.

نظرياً، كان في مقدوري أن أطلب من سام، لكنه لم يكن خياراً قد أتخذه، فقد روت لي قبل سنوات كيف أن والدها وعمها اختلفا بسبب المال، ولا يزالان منفصلين منذ عشرين عاماً.

- ما كنت لأقرض المال حتى لأطفالي. قالت سام.
فإنه أفة العلاقات.

دست يدي في شعري وأنا أقف عند النوافذ الفرنسية أنظر مباشرة في عيني ثعلب يندفع عبر

الحديقة؛ فكاننا الاثنين وحدثنا في جوف الليل.

نظرت في هاتفي. إن كان في استطاعتي الحصول على وظيفة ذات أجر يومي، يمكنني دفع فاتورة الدكتور كين. سأفعل أي شيء، ولذا بحثت في غوغل صفحة بعد صفحة لكنني لم أجد عملاً يبدأ فوراً، أو يعتمد على العمولة، فكنت على وشك تسجيل الخروج حين راح شريط إعلاني يرقص بسعادة عبر شاشتي.

«هل تريد بعض المال اليوم؟ قروض دفع يومي £££. اطلبها الآن.

لم يخطر في بالي مطلقاً أن أحصل على قرض من أي مكان آخر غير البنك. ارتجفت يدي حين فتحت علامات التبويب في عجلة فرحت أتعثر فوق المفاتيح.

كانت العملية سهلة الاستخدام إذ كان هنالك مؤشر على القائمة المنسدلة يتيح اختيار المبلغ الذي تريد اقتراضه، اخترت خمسة عشر ألفاً في فترة سداد لسنة واحدة من اختياري.

لم أصدق ذلك. كان الحل موجوداً منذ البداية! لا شك أن ذا سيحل المشكلة برمتها، ويضمن استمرارنا ريثما أعثر أنا أو توم على وظيفة. ملأت النموذج بسرعة، وأشرت فيه إلى تفصيلاتي المصرفية؛ وسيحوّل المبلغ إلى حسابي مباشرة في غضون أربع وعشرين ساعة.

شاهدت الدائرة تدور على الشاشة كعجلة الروليت في أثناء معالجة عملية القرض، ثم ظهرت رسالة تقول: «تم رفض الطلب. نحن غير قادرين على

تقديم قروض غير مضمونة للعاطلين عن العمل.»

جربث مواقع إقراض أخرى ذات قروض أدنى وفوائد أعلى، ولكنها رفضت كلها.



قبل نهاية مايو بعشر أيام

بين انهيار المشروع واختفاء أحمد، لم يسألني
توم فيما إذا كنت قد حولت الأموال من حساب
الطوارئ، لكنه سيسألني في وقت غير بعيد؛ لأن
الديون المباشرة باتت واجبة السداد في غضون
عشرة أيام. إن اكتشافه للحقيقة بات مسألة أيام
فقط أو ساعات ربما.

كان قلبي يخفق باستمرار، لم يكن هناك شيء
يمكنه طمأنته، وعلمت حينها أن القلوب تنفطر هكذا
خوفاً وندماً.

يحافظ توم على جو بهيج في وجود أحمد وأبنائنا
الآخرين، أما حين نكون وحدنا فيعود إلى التحديق
بصمت في الفراغ، أو تراه ينكب على آياده. لازمني
وأنا في طريقي إلى المدرسة التفكيك في وجه توم
المنهك المهزوم. كنت أحاول صرف انتباهه، وإلهاءه
بالأعمال المنزلية، وجربت احتضانه وتقبيله، لكن أياً
من ذلك لم ينجح.

لم تتصل بي سوى شركة واحدة من بين جميع
الشركات التي تقدمت إليها، وهي وكالة مؤقتة
للعمل في مكتب بأدنى أجر في جميع أنحاء لندن.
كنت قد تلقيت منها رسالة بالبريد الإلكتروني منذ

أسابيع عدة ، لكنها لم تمنحني موعداً للمقابلة إلا بعد ثلاثة أسابيع؛ ثم مر الوقت وحان الموعد اليوم فقررت الذهاب إلى هناك إذ لم تكن أمامي خيارات أخرى، ولعلّي أكسب ما يكفي لتغطية ديون الدكتور كين؛ فلا ينبغي أن نوقف الجلسات الآن.

عندما هممت بالمغادرة لإجراء المقابلة سمعت صوت توم المألوف المثير للغضب وهو يلعب سوليتير على هاتفه، فأخبرته أنني سأقابل وكيل توظيف. كان حينها مستلقياً على الأريكة مبعثر الشعر، ولا يزال في منامته، فكانت قدماه الحافيتان على الأرض وعيناه ملتصقتين بالشاشة.

تنهدت محبطة. كانت جريمته الوحيدة هي لعبه المتكرر للسوليتير، أما جرمي فكانت إفلاسنا. وقفت خلفه ووضعت يدي على كتفيه وقبلت رأسه، فلم يتمن لي التوفيق.

في وكالة التوظيف المؤقت، أخبرني المسؤول التنفيذي العشريني أنهم لا يستطيعون مساعدتي لأنني لا أتمتع بأي من المهارات الواردة في قائمتهم المرجعية. لقد أضعت وقتي، فأردت أن أهرع إلى توم وأن أكون هناك عندما يعود أحمد من المدرسة.

في واترلو، تأخرت كل القطارات، فتخطيت المنصة؛ وفكرت في إعداد الدجاج الحلو والحامض على العشاء لأن الأطفال يحبونه، لكن الطبق المفضل لدى أحمد وتوم هو فطائر الجمبري. لم أستطع التفكير فيما سيحدث بعد ذلك. كان عقلي متوقفاً عن العمل.

تمكنث من التسلل إلى أول قطار، لكنه كان يتحرك

أبطأ من عادته بكثير. لم أكن أعرف ماذا سأفعل عندما أعود إلى المنزل. هل يجب أن أخبر توم أخيراً أنني كذبت عليه، أم أنتظر أن يكشف الموعد النهائي الحقيقة بنفسه؟ بدا لي الانتظار أفضل خيار لأنني لن أستطع تدمير كل شيء بإرادتي.

عندما توقف القطار فجأة فوق القضبان بين محطتين، حدثت في النوافذ والأبواب المغلقة فشعرت أنني قد أختنق، ولتهدئة نفسي رحت أنقر على هاتفي فظهرت لي تحديثات نتائج البحث عن مواقع القروض، فبدأت النقر على الرابط تلو الرابط في أمل لم يبرحني في العثور على شركة يمكنها منحي قرضاً. وبينما أنا أنقر إذ امتلأت شاشتي فجأة بحلقات لنساء عاريات بشعر طويل وشفاه حمراء فاتنة. «كوني مومساً، وابدئي في الكسب اليوم.» تحركت أصابعي طواعية ونقرت على أيقونة الرسوم والخدمات فظهرت لي أرقام «الخدمات» المختلفة. أغلقت الصفحة ووجهي يحترق خوفاً من التحقق مما إذا كان الرجل الجالس إلى جوارى قد رأى شاشتي.

ما الذي يحدث لي؟ لم أصدق أنني فكرت، ولو للحظة، في أن الرسوم على هذه الصفحة قد تكون حلاً ممكناً لمشكلتي.

لقد طفح الكيل. كان علي أن أخبر توم بأمر المال حال وصولي إلى المنزل. حاولت أن أكرر ما أنوي قوله فكنث أقف دائماً عند: «توم؛ أسفه جداً...»



كانت المنصة مكتظة عندما دخلنا محطة ويمبلدون. تم نصب حواجز معدنية مرتجلة، وتم تجميعنا في طابور فردي عندما نزلنا من القطار، وقادنا خلاله موظفو المحطة الذين ارتدى بعضهم سترات عالية الوضوح كتب عليها «شرطة النقل البريطانية»، فتساءلت ما إذا كان هناك تهديد بوجود قنبلة.

علا صوت امرأة فوق هامات الجموع فبلغني. «شخص ما ألقى بنفسه أمام قطار المنصة السادسة.»

- لا. هل مات؟ ردت امرأة أخرى:

- أعتقد ذلك. إنها ليست المرة الأولى. أليس كذلك؟ تمنيت فقط لو لم يفعل ذلك في محطتنا. إن سألتنني فإنها أنانية حقاً. كان ينبغي أن أكون في المنزل منذ ثلاث ساعات.

- تخيلي أنك ذلك اليأس. إنه لشيء فظيغ ...

وتلاشت الأصوات، لكن طنين الكلمات لم يبارح أذني. نظرت خلفي. لقد حدث ذلك على بعد أمتار قليلة مني. كنت أرتجف. من يدري ما قد يدفعك اليأس لفعله؟ لو أن أحداً أخبرني قبل عام بأنني

سأقوم بتزوير توقيع توم، أو بيع متاعي الموروث،
أو التحقق من مواقع القروض المراوغة، أو معرفة
مقدار ما تكسبه المومس ما كنت لأصدق.

كنت أفكر في الشخص الذي قفز. لقد رايت القطار
يهدر في المنصة رقم ستة، فلم أستطع أن أتخيل
أن شخصاً ما، أياً كان، قد يقفز عن الرصيف ليلقي
بنفسه فوق قضبان السكة وهو يعلم أنه سيسحق
ويفرم ويهشم بين القضبان والقطار. إنه الحتف
المؤكد.

سيكون إخباري لتوم العمل الصائب؛ فربما لم يكن
لذلك الرجل الذي قفز من يلجأ إليه؛ أما أنا، فلدي
توم.

كانت امرأة توزع منشورات خيرية.

أخذت واحدة منها، وقرأت: «مهما فعلت، فنحن
هنا لنستمع إليك.»؛ لم أستطع منع نفسي من
التحديق في الكلمات.

تحدث إلي امرأة مسنة كانت تقف إلى جوار
المخرج، فقالت:

- هذا فظيغ. أليس كذلك؟ سمعت أنه كان مصرفياً
قد ظرد اليوم، فجلس في المحطة لساعات، ثم
وثب ورمى بنفسه هناك.

حثث الخطى، واتصلت بتوم إذ كنت أحتاج إلى
سماع صوته، فقلت:

- مرحباً. أنا أنتظر الحافلة.

- حسناً.

بدا جاداً، فسألته:

- كيف تسير الأمور؟

- كيف للأمور أن تسير في اعتقادك؟

في الحافلة، انتابني دعرٌ من رد فعله المحتمل إذا ما علم بأكاذيبي حيال الأموال وخاصةً وهو محبٌ هكذا.

لقد وصلت إلى طريقٍ مسدود تقريباً، ورحت أفكر بالرجل الذي انتحر: لا شك في أنه ابن وزوج وأب، لم يكن توم على طبيعته، بل بدا كما لو أنه فقد اتزانه كما حدث لأليكس حين راح يدور ويدور في الحديقة. لم أره على هذا النحو من قبل.

إن اكتشف وضعنا المالي بعد بحثه اليأس عن وظيفة ومشروعه الذي ألغي قد يكون فوق ما يمكن احتمالاه. بقيت عشرة أيام قبل الثلاثين من مايو، وسأخبر توم أن تأخيراً طفيفاً طرأ على تحويل الأموال من مكتب البريد إذ كنت أنتظر استحقاق السند، لكن المال سيكون في الحساب في الثلاثين من مايو من دون شك، وعليّ أن أغتنم هذه الوقت في تشجيعه والاقتراب منه مجدداً قبل أن تظهر الحقيقة. لقد شغلني الحصول على المال جداً عن الاهتمام به، كما أود أن أذكره بما بقي لنا، لا بما فقدناه فقط: فقد جمعنا الحب وأثمر عن ثلاثة أطفال رائعين أصحاء.

كما لا بد أن يسعفني الوقت لمساعدة أحمد في أن يشعر أنه أقوى رغم ما حدث بالأمس.

وعلى اعترافي أن ينتظر.



قبل نهاية مايو بسبعة أيام

كانت الأيام القليلة التالية رائعة.

حينما توقفت عن القلق بشأن جمع آلاف الجنيهات، تمكنت من تحويل انتباهي مجدداً إلى توم والأطفال، كنت كمصابٍ بداءٍ عضالٍ، أو آخرٍ ينتظر تنفيذ حكم الإعدام، كنت أدرك أنها قد تكون آخر مرة نكون فيها معاً على هذا النحو.

كان لهذا التغيير في المزاج تأثير مضاعف، إذ رحّبت صباحاً أدندن الموسيقى في المطبخ، وأقلبُ الفطائر، وأقطع خبز أليكس الفرنسي إلى مربعاتٍ صغيرةٍ كما كان يقطعه لي أبي حين كنت في مثل عمره، وبذا شعرت بانحسار الأطفال بمن فيهم أحمد ذاته؛ فرحنا نضحك للنكات السخيفة في السيارة كعادتنا، وبدأت أشعر بالعاطفة والمتعة حيال مشاحناتهم بدلاً من الإحباط المبكي.

كان تعافي توم من غيبوبته العاطفية صعباً، ولم أفلح مجدداً في إخراجه من ذلك النفق المظلم.

في اليوم التالي كان الأطفال في المدرسة بينما نحن الاثنان نحتسي القهوة، فقلت له:

- هل تدرك أننا لم نقض الكثير من الوقت معاً منذ تركك لأبيكس؟ أعلم أن جلوسك بلا عمل أمر فظيع، ولكن دعنا نستثمر ذلك الوضع في أن نكون سائحين نذهب لمشاهدة معالم المدينة. هل تتذكر نزهاتنا على الضفة الجنوبية؟ كم أحببنا ركوب التاكسي النهري عند رصيف بوتني! فهل لنا أن نذهب في نزهة في ريتشموند، أم هل نشاهد فيلماً في منتصف النهار؟

رايث في عينيه بريقاً، وقال:

- لا أتذكر آخر مرة فعلنا فيها شيئاً كهذا.

وذهب للاستعداد بينما أغمضت عيني. لقد استعدته.

مشينا من قاعة رويال فيستيفال على طول نهر التايمز وصولاً إلى تيت مودرن؛ فسحبته إلى الداخل محتجة ليرى بعض المنحوتات فيه فأوقفني راغباً في الاستماع إلى واحد من مغني الطرقات يغني أغاني البيتلز.

كنت أنا وتوم متناقضين في كل شيء؛ فكان جاداً، وكنت مرحة، وكان يحب ممارسة الرياضة ومشاهدتها، وكنت أجبر نفسي على الجلوس مدة لا تتجاوز الثلاثين دقيقة في صالة الألعاب الرياضية، كان قليل الكلام، بينما كنت أتحدث من دون توقف، لكنه يحب الاستماع. وما بيننا نحن الاثنان وجدنا الوسط السعيد.

عبرنا الجسر المتهادي، وأعيننا تتجول بين هذا الجانب وذاك، مبتهجين برؤية ناطحات السحاب المتلألئة في الشمس. ضمنى وحملت الريح شعري

فحظ على وجهه مرفرفاً في الهواء بسعادة، فدرس
خصلةً منه خلف أذني حتى أحسست بدفع
أصابعه.

ورحنا نتخير لكل يوم مكاناً مختلفاً، ونتناول
المعجنات والسمبوسة في متجر بورو مستندين إلى
الجدران أو جالسين على الدكة حين يحلو الطقس،
فإذا ما أمطرت احتمينا تحت مظلات المتاجر
لنتناول الشاورما حتى يتسخ ذقننا بالصلصة. وبدلاً
من شراء الحلوى، رحنا نتناول القليل من عيinatها
المجانية فشعرنا كأنما نحن طالبان جامعيان.

جميلٌ أننا عدنا كسابق عهدنا مجدداً، وأناي لم
أضطر إلى الكذب الأسبوع كله.

في المساء، عاد توم إلى الجلوس معي ومع
الأطفال على الأريكة عوضاً من الذهاب إلى الفراش
مبكراً، فراح يساعد أحمد في واجباته المدرسية
ويحتضن أليكس، ويشتري لصوفيا الآيس كريم
المفضل لديها من السوبر ماركت في وقت متأخر
من الليل حين تسهر حتى الواحدة ليلاً من أجل
كتابة واحدة من مقالاتها، بل لقد عاد فوق هذا إلى
حلاقة ذقنه.

على الرغم من سعادتنا بقضاء الوقت معاً، إلا أنني
ما زلت على دراية بقرب موعدها النهائي؛ لكني
كنت في معظم الأوقات أدفع الفكرة بعيداً، ولذا
كان وجودها بمثابة كابوس لا أتذكره بوضوح، لكنه
يمنعني من النوم ليلاً.

قبل ستة أيام من الثلاثين من مايو، كنت مستلقيةً
على السرير أحرق في الظلام حين راح صدري

يلسعني فطفقت أفرك مكان اللسع محاولة تخفيف
الألم لكن الأمر ساء حتى ضاقت أنفاسي، فنهضت
وقد ارتفعت حرارة وجهي، وازداد نبض قلبي؛
فعرفت هذه الأعراض من رؤية مرض القلب عند
أبي. حاولت إبطاء تنفسي. هل أصبت بنوبة قلبية؟
وخيم عليّ دُعر رهيب.

ثم تسللت إلى رأسي فكرة أخرى غير متوقعة،
فسيطر عليّ الخوف. إن وافتنى المنية في ساعتني
هذه، هل يكون أمراً فظيماً إلى هذا الحد؟ كانت
فكرة مغرية كأنها السلام؛ فلا مزيد من الشرح ولا
المخاوف. دلفت من توم الذي كان يدير لي ظهره
فطوقته. إن كنت سأموت ولا بد، فأريد أن يكون
موتي بقربه.

-أحبك. همست من ورائه.

فاستدار نحوي وعانقني، لكن الألم الحاد عاودني
من جديد. لا أريد أن أموت فأنا لا أستطيع ترك
أطفالي. لقد تخيلتهم ينظرون إلى جسدي الممدد
في السرير.

-توم. أفاق!

دفعته صدره بيدي.

-أشعر أنني لست على ما يرام.

فهت مستيقظاً فجأة، وقال:

- ما خطبك؟

-أعاني من ألم في صدري.

وكنث حينها ألث وأبكي، فتحسس جبهتي بكفه،
ثم وضع يده على صدري، فبدأت الغرفة تدور بي.

- هل تشعرين بألم في مكان آخر؟ في ذراعك
اليسرى أو في فكك؟

فهزئت رأسي وبدأت أشعر بتحسني بينما هو
يتحدث.

أعطاني القليل من دواء «جافيسكون» وضمني
وقال:

- لنتظر عشر دقائق ثم نرى كيف ستشعرين
بعدها.

وواصل ضمي إلى أن ذهب الألم بعد بضع دقائق،
وقال:

- لعل ما جرى لك كان بسبب شيء أكلته.

بحثت في غوغل عن تلك الأعراض، فبدأ لي
أنني أصبت بنوبة هلع. لا بد أنني ساعدت توم على
الشعور بالتحسن، لكن خدعتي لم تنجح معي.

بعد ذلك بليتين، كنت كذلك مستلقية حين
توهجت شاشة هاتفني المحمول قبيل منتصف الليل
بقليل، وإذا بها رسالة من سام: «لقد عادت دانييلا
وتريد مقابلتك غداً، فأرسلني سيرتك الذاتية.»



قبل نهاية مايو بخمسة أيام

رحت أتبع المنعطفات الحادة والشوارع المتعرجة إلى جوار محطة البنك ابتعاداً عن الناس المندفعين من حولي كبقع سوداء ورمادية، والذين كانوا يختفون مشربتي الأعناق كأنهم ناطحات سحاب مذهلة أو قلاع في المدينة القديمة تحرسها بوابات معدنية شائكة. كانت الاتجاهات إلى مكتب دانييلا مألوفة بالنسبة إلي. هنالك أشياء لا ينساها المرء أبداً: ثريدينيل، كورنيل، ليدنهول؛ أصدقاء النسخة الأخرى مني، والتي غابت عني طويلاً.

كانت دانييلا تضع سيرتي الذاتية على طاولة خشبية مصقولة حين قالت:

- أخبرتني سام أنك تبحثين عن وظيفة إدارة محفظة بعد توقفك الطويل عن العمل. هل هذا صحيح؟ لا أخفيك أن الأمر لن يكون سهلاً.

وبينما هي تتحدث معي كانت تنظر إلى هاتفها الخلوي. واضح أن ذا هو مدى اهتمامها لأمرى رغم أنها تقابلني خدمةً لسام، أما أنا فلم أكن مستعدةً للتخلي عن حياتي بسرعة تخليها عنها.

- لا أمانع في تولي منصب صغير، وأقبل بالعمل

تحت التجربة إن لم يرغبوا في الالتزام بعقد دائم،
وسأرضى بأجر أقل إذا كانوا يفضلون المكافآت أو
العمولات.

عدت إلى التحدث بلغة البنوك لإثارة إعجابها.

- اسمعي ...

قالت ومدت الكلمة طويلاً كما لو أنها تشد سهماً
مميثاً قبل أن تطلقه نحوي.

- أنا معجبة بما تحاولين القيام به؛ ولكن فكري
في الأمور من منظور عملائي أولئك. لأي سبب
سيقومون بتوظيفك؟ أنا أسفة؛ لكن ...

- سيقومون بتوظيفي لأنني أجيد العلاقات مع
العملاء كثيراً، وأعرف العملاء المستهدفين من قبل
البنك، فأنا أتناول العشاء معهم في عطلة نهاية
الأسبوع، وأذهب للتزلج معهم، حتى أن أطفالهم
يذهبون إلى المدرسة مع أطفالي؛ إذن فأنا حرفياً
أتحدث لغتهم، أو لغة بعضهم على الأقل؛ فأنا أحمل
إجازة في اللغة الروسية.

- حقاً؟ الروسية؟

ونظرت إلى سيرتي الذاتية كما لو أنها تقرأها للمرة
الأولى؛ بل لعلها كذلك.

- هل تتحدثين الروسية بطلاقة؟

- نعم.

يمكنني استعادة طلاقتي فيها من جديد.

- قد يكون وضعاً لن تحببه بعض الشيء، لكن عندي عقداً لستة أشهر في فريق رحل أحد أعضائه فجأةً فهم الآن يانسون، وشرطهم الرئيس هو إجادة اللغة الروسية، وآخر مقابلاتهم سيجري بعد ظهر اليوم، وإنني لعلّى دراية أن ليس لديهم من يمكنه البدء على الفور.

شارةً بلاستيكيةً لزائر آخر، ومصعد إلى الطابق الخامس والعشرين، وقاعةً استقبالي تطل على سانت بول، وكراسي برشونة البيضاء، وأعمال فنية على الجدران، وصحيفتا فايننشال تايمز وإيكونوميست على طاولات القهوة، ورائحة النقود التي تتدفق عبر مكيفات الهواء، كل هذا يجبرك على الاعتدال في وقفتك، وبذل المزيد من الحذر. شعرت أني ممثل ثانوي في فيلم.

أضيفت إلى مخاوفي بشأن هذه المقابلة المفاجئة فكرة مرعبة أخرى: ماذا لو كانت المقابلة باللغة الروسية؟ فقد مرت سنوات لم أقل فيها كلمة روسية واحدة، فلا أكاذ أذكر منها شيئاً.

أدخلت إلى غرفة اجتماعات يجلس فيها رجلان وامرأتان حول طاولة بيضاوية؛ وكان أحد جدرانها زجاجياً يوفر إطلالةً بديعةً على المدينة.

- مرحباً فايضة. أنا سيرجيو لوكاتيني، قائد الفريق.

كان سيرجيو يرتدي بدلةً فاحمةً فخمةً جداً، وقد تدلّت على جبينه خصلةٌ من شعره الناعم الداكن، فلا أذكر أني رايت مصرفيين أنيقين كهؤلاء من قبل.

قدمني إلى أعضاء الفريق الذين لوحوا لي؛ ثم

عرض علي سيرجيو مقعداً في نهاية الطاولة
وجلس إلى يميني؛ ثم قال:

- حدثينا قليلاً عن نفسك.

كانت غريزتي هي النظر فوق رؤوس الجميع، لكنني
أعلم أنه كان علي التواصل بالعينين. ابتسمت امرأة
ابتسامة تشجيع لي، بينما كانت الأخرى تتفحص
هاتفها تحت الطاولة، ثم بدأ أحد الرجال ينظر إلى
ثديي مباشرة فشعرث بدوارٍ دارت فيه تلك الوجوه
المتحلقة حول الطاولة، ثم بدأ حذاء سيرجيو
الأسود اللامع يدق الأرض بفارغ الصبر.

ابتلعت لعابي ورددت شعري المجفف بعناية وراء
كتفي.

- شكراً. فلنبداً بالتفاصيل إذن.

وساد صمث يصعب كسره.

- لقد درست اللغة الروسية في أكسفورد،
واستكثبت على الدراسات العليا في المدينة، ومن
هناك تم تعييني في شركة (UBS) فنمت على يدي
المبيعات بنسبة ١٥٠٪ في عشرة أشهر، فعيّنت نائباً
لرئيس المبيعات والتداول في إطار عملية التتبع
السريع.

كان وجهي يسخن بشدة حتى تساءلت ما إذا
كان سيرجيو الجالس إلى جوارِي يشعر بالحرارة
المنبعثة مني، لكنه ضحك فلم أدر ما إذا كان لهذا
معنى ما.

بدا كما لو أنه من النوع الذي يبتسم مهما كانت

مشاعره، مثلي تماماً.

- ثم أخذت من حياتي المهنية استراحة كرسثها لتربية عائلتي، فانتابني قلقٌ من أن يؤثر ذلك في مسيرتي المهنية، لكنني اكتشفت أنها كانت ميزةً إضافية، وذلك أنني رحّث أخالظ عملاءنا الأثرياء، وأنا بالطبع أجيد اللغة الروسية بطلاقة.

كان قلبي ينبض بقوة رهيبة جعلتني أظن انه سيتوقف. قل شيئاً أرجوك. لكن سيرجيو حين تحدث لم يزدني إلا توتراً، فقد رماني بسهم لم أتمكن من المراوغة أمامه إذ قال:

- لم علي أن أختار تعيينك بدلاً من المرشحين الآخرين اللذين يعملان حالياً إداريين في البنوك؟

واضح أن هؤلاء الناس لا يتصنعون كلماتهم.

«لأنني كنت يائسة، وأحتاج إلى هذه الوظيفة من أجل أولادي وإنقاذ زواجي على ما أعتقد.» وبدأ سيرجيو بالنقر على هاتفه الخلوي فوق الطاولة، وشعرث أن كل شيء يفلت مني ويمضي بعيداً. أوصاني توم عند اتصاله بي بشأن المقابلة أن أكون واثقةً من نفسي، فهذه الوظيفة يمكن أن تغير كل شيء؛ ولذا أخذت نفساً عميقاً، وقلث:

- أعرف ما لا يقل عن عشرة أشخاص في شبكتي المباشرة لديهم استثمارٌ بأكثر من خمسة ملايين جنيه استرليني، وهم أناس يعرفونني اجتماعياً وفي المدينة، وسأتمكن من مقابلتهم فوراً.

كانت حيلة، وكان يستمع إلي حقاً. ربما لا أعرف سوى شخص واحد بهذا الوصف؛ وهي ناتاليا التي

كانت شريكتي في مسيرة لجمع التبرعات من أجل أبحاث تتعلق بالسرطان، والتي ما أزال أتناول القهوة معها من حين إلى آخر، وكنت على ثقة أنني أستطيع استثمار شبكتها إذا ما طلبت منها ذلك.

حركت ساقي فارتفعت تنورتي قليلاً ، فتعقبت عينا سيرجيو الحركة، وقال:

- نعم. شبكتك هذه منجم ذهب محتمل، ثم إنك أكبر سناً من بقية أعضاء الفريق، لكنك لا تبدين كأهم، وهذا أمر جيد.

ربما كان يعتقد أنه يجاملني بقوله وحسب.

- وماذا عن السفر والتواصل الاجتماعي؟ هل تستطيعين التعامل مع هذا الأمر؟ ومع أولادك؟

- طبعاً. أعرف وأحب ما يرافق هذه الوظيفة من سفر وعلاقات اجتماعية. نعم من فضلك! لدي مدبرة منزل بدوام كامل، والأسرة تعمل بمفردها أصلاً، ولذا يمكنني التركيز في عملي فقط.

كنت قد سمعت الكثير من قصص الرعب من فم الأمهات القلائل اللاتي عملن في المدرسة، إذ يمكن للمرء أن يأخذ يوم إجازة إذا ما كان ابنه يتقيأ، بيد أن عليه أن يخلق للمكتب عذراً يتعلق بتسرب للغاز مثلاً؛ وذلك أن صيانة الممتلكات مقبولة، أما إعالة الأطفال فلا، كما أنني لو ذكرت أن لي والدين مسنين، لطردني.

صررت أسناني وأنا أنتظر؛ فقال:

- «نتلقى طلبات من عملاء كثير يرغبون في

الاستثمار لصالح أطفالهم. لا بد أنك - بصفتك أماً - صفقة رابحة. قالها كما لو أنه يفكر بصوت عالٍ. حقيقة؛ لم أقم من قبل بتوظيف من يزيد عمره على خمسة وثلاثين عاماً، كما أنني نادراً ما أوظف الأمهات، ولكني سأمنحك فرصة!

لم يكن بيدي أن أقاوم تبسّمي إذ كان الراتب يفوق ما توقعت، وسيغطي فواتيرنا الشهرية الأساسية؛ فإن قُدِّر لي أن أصل إلى أهدافي، فإني سأنال في نهاية عقد الأشهر الستة مكافأة يمكنني من خلالها رأب صندوق الطوارئ وترميغه. شاغلي الوحيد كان الفترة التجريبية لشهر واحد، فعلي خلاله أن أثبت نفسي بسرعة، لكنني سأبذل جهدي.

طلبت من مسؤول الموارد البشرية طباعة نسخة من العقد لي، ثم قصدت بنك القرية مباشرة لإبرازه لروبرتو؛ فمُنحني كما وعدني إن حصلت على وظيفة، قرضاً آخر بقيمة عشرة آلاف جنيه.

طلبت تحويلها إلى صندوق الطوارئ قبل تحويلها إلى الحساب الجاري، وبهذه الطريقة سيعتقد توم أن المال أتى من مدخراتنا لا من قرض.

عندما وصلت إلى المنزل، حملني توم ودار بي.

- مرحى يا فائزة الرائعة!

طلب البيتزا الجاهزة للاحتفال بالحدث، وقبل الأكل، رفع كأس الماء وطلب من الأطفال أن يفعلوا الشيء نفسه، وقال:

- لدينا أخبار طيبة للغاية! لقد حصلت أمكم الذكية جداً على وظيفة رائعة في المدينة. بصحة أمكم!

بصحتكم!

سألني أحمد وصوفيا عن طبيعة عملي، ومكان
مكتبي وراتبي، بينما ظل أليكس صامتاً، فقلت له:

- ما رأيك يا أليكس؟

- من سيعيدني من المدرسة؟ ها هي ذي والدة
لوسي لا تعيدها من المدرسة أبداً لانشغالها بالعمل؛
فتعود إلى المنزل مع جارتها السيدة نجيب التي لا
تسمح لها بتناول البطاطس المقلية.

- سأتولى إعادتك بنفسي. قال توم.

- لكنك لا تدري بوجباتي الخفيفة. قال أليكس ثم
التفت نحوي: هل سيسمح لك رئيسك بالبقاء في
المنزل في يوم الرياضة؟

كانت عيناه تنظران في عيني، فكانما فيهما لومٌ لي
لأن حياته ستتأثر سلباً بالشيء ذاته الذي نحتفل به
بوقاحة.

- لست متأكدة ...

لم أرغب في إجابته بالنفي مباشرة، لكن توم
قاطعني.

- لا عزيزي. لن يكون لأمك أن تأخذ إجازة الآن.
وتجهم وجه أليكس، فابتسم توم. سأخبرك بأمر.
سأطلب من أمك أن تعطيني جميع التعليمات.

كان أحمد وصوفيا سعيدين لأن أحد والديهما وجد
عملاً؛ فلم يعودا خائفين بشأن الرسوم المدرسية،
وباتا مفعمين بالضحك والنكات، ولذا وافق أليكس

عند انتهاء العشاء على منح توم فرصة لإثبات
مهاراته كبديل عني.

استدار توم وأخذ وجهي بين يديه.

-أنا فخور بك جداً! كانت عودة أسطورية بعد كل
هذا الانقطاع.

لم نستطع التوقف عن التبسم والضحك، وكان
وجهه متقدماً فكأنما تبددت عنه طبقات القلق.

لنا في البنك مال، وبات لي عمل، وسيعود كل
شيء على ما يرام.



بعد نهاية مايو بيومين

طلبت من سام مقابلي من أجل أن نحتسي القهوة في عجالة بعد ظهر يوم الأحد، وكانت غاييتي أن تسديني بعض النصائح حول كيفية التصرف في العمل إذ كان علي أن أترك انطباعاً جيداً منذ اليوم الأول.

كانت السماء زرقاء داكنة تماماً، والقرية تعج بالأطفال والكلاب التي يجزها البالغون بقمصان وسراويل قصيرة. تناولت أنا وسام قهوتنا في مقهى ويندميل، ثم سرنا في طريق ظليل إلى حدّ ما.

لفتني بذراعها معانقة وقالت:

- إنه لأمر مثير جداً، فشركة هاميلتون هيوز تتربع صدارة اللعبة.

- هذا بفضل إرسالك إياي إلى دانييلا، فشكراً جزيلاً لك، لكنني متوترة جداً بشأن الغد، وذلك أنني أجهل كيف أتصرف، وماذا أفعل بعد كل هذا الوقت، ولذا أحتاج إلى نصيحتك.

- لك ذلك. ينبغي أولاً وقبل كل شيء أن تظهر بمظهر الواصل بنفسه، وثانياً، عليك التعرف إلى كل

عضو في الفريق؛ وخاصة السكرتيرة! ثم تأكدي أن تقولي لرئيسك كل ما يجعلك تبدين جيدة؛ أي كوني لنفسك آلة العلاقات العامة، وأخيراً لا تنسي طبعاً القاعدة الأولى: لا تتحدثي عن أطفالك أو زوجك أو والديك أبداً. فائزة؛ سيكون كل شيء كما تحبين. أعدك بذلك.

نظرت سام إلى البجع فرأيت تحت عينيها هالات سوداء، وبدت لي متعبة وهي تقاوم التثاؤب، فسألتها:

- كيف تجري الأمور معك؟

لم تجبني على الفور، ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة وهي تنظر إلى جرو صغير مر من أمامنا.

- أنا مرهقة من كل شيء، من جيمس ووالديه والحفلة والملحق وذهاب الأطفال وعودتهم الدائفين.

وتثاءبت مرة أخرى.

- وأنا أخرجتك لتعطيني نصيحة مهنية!

- لا، من دواعي سروري أن أراك.

- لديك على الأقل رحلة عيد ميلادك القادم.

اعتادت سام وجيمس الذهاب إلى فلورنسا كل عام لقضاء عطلة عيد ميلادها، وكان ذا الشيء الوحيد الذي يزين مذكراتها.

هزت رأسها.

- لا يمكن لجيمس أن يتغيب عن العمل.

لم يخف علي استياؤها، فقلت:

- أوه! هذا معيب حقاً! أمل أن تتمكني من الذهاب إلى هناك قريباً.

أومات برأسها ثم تنهدت، فضممتها وضحكت قائلة:

- فكري في كل الملايين التي يكسبها!

ابتسمت بصعوبة. لطالما كنت سعيدة كون توم لم يكن ذلك المليونير الذي يغيب عني دائماً، لكن جيمس على الرغم من ذلك كله، كان مخلصاً لسام، وهو شيء لم يكن لأحدنا أن يتخيله أبداً حين يقابله فيرى فيه عظم غطرسة محامي المدينة ذاك.

احتست سام قهوتها وقالت:

- ما الذي قد تقوله جوليا عن عملك في اعتقادك؟

فتجهمت وقلت:

- لا شك في أنها لن تعدم الوسيلة لتعيب علي مزاوله العمل، فهي تجيد ذلك.

- أعني عملك لصالح زوجها.

- ماذا؟

ابتلعت قهوتي بسرعة كبيرة فبدأت بالسعال.

- لا بد أنك تعرفين أن هاري شريك في (HH).

أليس كذلك؟

- زوج جوليا سيكون رئيسي؟ هل أنت متأكدة مما تقولين؟

- طبعاً؛ فقد كان أحد الشركاء المؤسسين. اعتقدت أنك تعرفين؟

تلاشى حماسي كله. كان علي أن أعرف أنه كان حتماً يصعب تصديقه. أصابني مغص في بطني.

- أنا يائسة؛ سام! إن اكتشفت جوليا أنني أعمل هناك، فستفشي عني شيئاً ما لزوجها الذي قد يكون بغيضاً مثلها. أنا متيقنة من أنها قد تسببت بطردي من متجر الفراشة. يا لها من فظاعة! ما الذي نستطيع فعله؟ لا تخبريها من فضلك.

- طبعاً لا؛ لكن هاري سيتعرف إليك ويخبر جوليا. أليس كذلك؟

- لم يسبق لي أن التقيت به لأنه لم يأت إلى المدرسة قط، ولم أكن ممن يحضرون حفلاتهما.

- إذن ...؟

- ماذا لو تصرفت كما لو أنني لا أعرف من يكون؟ فلا أخبره بدراسة صوفيا في بروكود مع ابنته، ولا بمعرفتي بجوليا. أنا متأكدة أنه لن يتوقع أبداً أن تعمل أُم من قرية ويمبلدون في شركته.

التوث شفتا سام، وقالت:

- لا أعرف؛ ولكن بناتكما في المدرسة ذاتها، ولا بد من أن تقابليه ذات يوم.

- أمامي شهز واحد أثبت فيه نفسي، ولا أريد أن أبدأ بخطوة متعثرة. لو لم تخبريني أن زوج جوليا يعمل في (HH) ما عرفت بالأمر. أليس كذلك؟ ولذا سأتظاهر بأنني لا أعرف الصلة بينهما. سيكون كل شيء على ما يرام. ثقي بي.

لكني لم أستطع التخلص من انزعاجي، فقد زعمت جوليا أنها وهاري روخ في جسدين، ولذا تساءلت ما إذا كانا يسردان لبعضهما تفاصيل يومهما كحالي وتوم؟ وإذا كان الأمر كذلك؛ فهل سيذكر هاري أن المدعوة فائزة قد بدأت العمل في مكتبه؟ وهل سيقول إنها امرأة عادت إلى العمل بعد انقطاع؟ إن بدا لها أدنى شك بالأمر، فإنها لا بد من أن تبدأ في التنقيب فتكتشف سري من دون أن يستغرق الأمر منها وقتاً طويلاً.

- «ماذا لو حدثها زوجها عني؟»؛ قلت مرتبكة فجأة حين كانت سام تودعني.

- لا داعي للقلق. لا أعتقد أنك ستريه أو تتحدثين معه. إنه شريك مؤسس، وأنت مدير فقط.

- لم يحدث كل هذا لي؟

- على رسلك. سأخبر جوليا أنك تعملين وسط لندن لأبعد الرائحة عن أنفها.

- جيد. قلت متبسمة.

تفحصت في سيارتي ملف التعريف الخاص بزواج جوليا على موقع (HH). هاري وينتورث. كانت حياته المهنية مفعمة بأفضل الخدمات المصرفية الاستثمارية، وكان حاصلاً على درجة الماجستير

في إدارة الأعمال من جامعة هارفارد؛ وكان مثلي في جامعة أكسفورد ذاتها، لكنه تخرج قبلي بسبع سنوات. بدا كمليون مصرفي آخر في المدينة؛ إلا أنه كان أكثر أناقة، كما هي الحال في إعلان بروكس براذرز. كان يرتدي نظارةً من صدف السلحفاة، وله شعرٌ كثيفٌ خاطٍ بياضه سواده فكانه الملح والفلفل. كان من الصنف الذي يناسب جوليا.

اتصلت بي نائلة بينما كنت أقود سيارتي إلى المنزل، اضطررت إلى إنهاء هذا الأمر بأن قمّت بتشغيل السماعة.

-تهانينا! سمعت عن عملك الرائع.

-شكراً.

كان صوتي بارداً رغم ما بذلت من جهد لأبدو طبيعيةً، ثم ساد الصمت لبضع ثوانٍ، فتنحنحت نائلة وقالت:

-في الحقيقة؛ أحمل لك أخباراً طيبةً أيضاً. لقد دخل عادل كليسينغتون! اكتشفنا ذلك للتو؛ فأردت أن تكوني أول من يعلم.

كان عليها أن تعلمني بالأمر منذ شهور. كنت أرغب في الاتصال بها وإخبارها بمدى الأذى الذي لحق بي، لكنني لم أستطع، أما الآن وقد دخل عادل مدرسة كليسينغتون فعلي أن أتعامل مع هذا الحرج يومياً كلما تصادفنا.

-هذا رائع! مرحى لعادل. سيسرُّ أحمد بذلك. قلت ثم أضفت حين لم أعد أستطيع الاستمرار: عذراً نائلة. أُمي تتصل.

أغلقت الاتصال وشعرت بغبائي لأنني وثقت بها كثيراً.

واستعدت ذكريات كنا فيها في ربيعنا الرابع عشر
نجلس على سريرى ، فنضحك وينتابنا شعور بأننا
أيضاً روح في جسدين، وقارنت ذلك بالمحادثة التي
أجريناها للتو.

لم أكن أعرف ما إن كان سيعاودني الشعور ذاته
حيالها مجدداً.

لم أخبر توم أن زوج جوليا يعمل في (HH) إذ
سيتهمني بالكذب، ولن يستوعب الأمر.

أخذني توم إلى السرير، وغطاني بالملاءة حتى
ذقني، وقال:

- نامي جيداً فأمامك يومٌ حافلٌ غداً.

- هل سيكون الأطفال بخير؟

- نعم.

- هل ستكون بخير مع الأطفال؟

- نعم.

- هل سأكون بخير في عملي؟

- نعم.

ابتسمت.

- حسناً، إذن.

وعندما شارفت على أن أغفو قررت ألا أفكر في جوليا وزوجها الرهيب بعد الآن، فلدي أشياء أجمل للتفكير فيها، فابتسمت فوق وسادتي لأن راتباً ثابتاً سيبدأ في غضون شهر بالتدفق إلى حسابنا، وأن الأمل سيحدوني عند كل وديعة في أن أتمكن من بناء سور أمان صغير حول عائلتي، فيخف شعوري بالذنب على ما اقترفته.



بعد شهرين من فقد توم لوظيفته في أليكس، وبعد خمسة عشر عاماً على آخر يوم عملت فيه في (UBS)، عدت إلى المدينة.

خرجت من «المجاري» - بين خط واترلو والمدينة - إلى محطة البنك فجرفتني موجة من الناس الذين صعدوا السلالم الضيقة لمحطة مترو الأنفاق، وما كادوا يتحررون منها حتى تفرقوا في اتجاهات شتى بمعاطفهم المطرية وبدلاتهم الجافة الرمادية أو الزرقاء أو الخضراء أحياناً مختلطة بفساتين بألوان هادئة. هرولت بالسرعة التي سمح لي بها الناس أمامي وورائي وإلى جوارتي ثم ابتلعتني المدينة.

في وقت سابق من ذاك الصباح، وبينما كنت أقوم بتجفيف شعري، أصر توم على إعطائي لقيمات من البيض المخفوق رغم أنني كدت أفقد القدرة على البلع؛ فقال:

- لا تنسي أنك فعلت هذا من قبل، وأن هؤلاء الرجال كانوا يرتدون الفوط حين كنت تحققين النجاحات الباهرة في مجال المبيعات. ستنجحين!
- أنا متوترة للغاية.

- إنه أمر طبيعي، لكن الأمر لا يستحق منك هذا التوتر. أنا فخور بك جداً.

لقد بلغت بي شدة تركيزي على نيل وظيفة أنني لم أفكر في ما سأفعله حين أنالها. كان المتوقع مني أن أحقق النتائج في شهر واحد فقط. صحيح أنني فعلتها من قبل، لكنها بدت حياة أخرى.

عندما اتصلت بدانييلا لأشكرها قالت: عليك أن تزيد وتيرة هذه المبيعات. لا تنسي أنني لن أحصل على عمولتي إن لم تجتازي هذا الاختبار!

في عطلة نهاية الأسبوع التي سبقت تولي منصبي، قضيت ساعات في قراءة مقالات حول إدارة المحفظة، والبحث عن أحدث ما في السوق من تداولات ومحافظ استثمارية؛ كما رحت أستثمر كل وقت فراغي في تحسين لغتي الروسية.

لم يكن اختيار ملابس أقل أهمية، ولذا كانت رغبتني في التسوق لشراء الملابس بمنزلة حكمة لا تطاق؛ فأنا أحتاج إلى كثير من الملابس الجديدة لهويتي الجديدة.

الجانب الإيجابي الوحيد، هو أن قواعد اللباس في المدينة كانت حينها أقل تزمناً، فلا يُنظر إلي باستهجان إذا ما ارتديت فساتين المناسبات الاجتماعية الرسمية في دوري «كسيدة أعمال» أو «كأم».

فتشت خزانة ملابسي بحثاً عن أي لباس يحمل علامة مصمم وكلفة عالية، إذ أعرف جيداً مدى أهمية هالة المال في عالم الشركات. كانت المجوهرات والساعات وحقائب اليد والشعارات

المرغوبة رموزاً للإنجازات التي حازها عبيذ المدينة لإعلان هيمنتهم؛ وهذا شيء لم يتغير منذ عهدي في البنك.

اخترت فستاناً أزرق كحلياً من طراز هوغو بوس، وحزاماً من غوتشي، وحذاء أسود بكعب عالٍ، وحملت حقيبة من طراز برادا، وحينها فقط شعرت بالامتنان لاستنزافي صندوق الطوارئ.

كان الأطفال لا يزالون نائمين عندما غادرت تاركةً لأليكس بجوار إناء الحبوب ملاحظةً كتبت فيها: «أتمنى لك يوماً سعيداً، وحظاً طيباً في اختبار الإملاء. أحبك. أمك.»؛ وشعرت أنه سوف يمزقها أو يرميها على الأرض إذ لم يكن سعيداً بأني «سأتركه» كل يوم.

كان سيرجيو في نيويورك، ولذا رافقتني سابين - التي تجاهلت فيما مضى الرد بشأن مقابلي بعبارة «أف!» وهزت شعرها اللامع - إلى مكاتب الطابق الخامس والعشرين؛ ولم تحاول بدء محادثة معي رغم دفء «ترحيبها».

وقفنا عند عتبة مكتب جماعي مفتوح فيه حوالي عشر طاولات على كل منها ستة أشخاص أو سبعة يتحدثون على الهواتف وينظرون إلى شاشات الحاسبات. سرّت على سجادة صلبة رمادية داكنة متجاوزةً جدراناً خاليةً من أية زخرفة باستثناء سبورات بيضاء مغطاة بأرقام سوداء وحمراء، وتتخللها بعض خزائن الملفات الفولاذية. لم أر هنالك أية نوافذ إلا في نهاية الغرفة الطويلة، التي لم أكد أرى منها المباني الأخرى والجزء اليسير من السماء القذرة.

خلال مقابلي، لم أر سوى الردهة بأثاثها المصمم ونوافذها الممتدة من الأرض حتى السقف. كانت الحمامات فاخرةً برخامها الأخضر والواحها الخشبية. كان الأمر مختلفاً جداً.

توقفنا أمام طاولة في منتصف الغرفة الكبيرة.

- هنا مكانك.

وحول طاولتي فريقٌ ممن التقيت بهم في أثناء مقابلي جالسين خلف حواسيبهم، وقد وقفوا لمصافحتي.

- «مرحباً. سعدت برؤيتك مرةً أخرى.»، قلت لتريزا التي كانت الوجه الودود الوحيد خلال المقابلة؛ وكانت تدانيني في العمر وترتدي خاتم الزواج.

- إن احتجت أي شيء يا فاييزة فأعلميني. أي شيء على الإطلاق. هل تمكنت من التملص من أطفالك إذن؟ قال ديفيد وهو ينظر إلى صدري كما فعل آخر مرة التقيت به فيها.

وقف إيفان فكان أطول مما كان عليه وفق ما أتذكر.

- «بريفيت!»؛ حياني باللغة الروسية.

- لسيرجيو مكتبٌ خاصٌ كالمديرون هناك. قالت سابين مشيرةً إلى قسمٍ في أقصى الغرفة.

لم لاحظ قبل جلوسي أمام حاسبي إلى جوار تريزا وجود لوح أبيض كبيرٍ إلى جوار المكتب، وقد كتب عليه اسمي وأسماء جميع أعضاء الفريق.

اتضح لي كل شيء: إنه مخطط المبيعات الذي يوضح تقدّم كل عضو في الفريق من عدم تقدمه ليراه الجميع هناك. كتب أحدهم بجانب اسمي، وبأرقام بدت نهاياتها مخيفة: «أهداف شهرية وربح سنوية.»

- لقد تخلّفت عن اللحاق بالركب. كانت أني، تلك المرأة التي حللت مكانها، صاروخاً. قال ديفيد عندما رأني أنظر إلى لوح.

- فلماذا غادرت؟

لم يجب أحدٌ لدقيقة، ثم قال إيفان: لدواعٍ شخصية.

قالت تيريزا وهي تبتسم:

- أنا على ثقةٍ من أنك ستبليّن بلاءً حسناً.

- ها هنا قائمةٌ بعملاء أني. قالت سابين وهي تعطيني ملفاً سميكاً. لم يقيم فريق تكنولوجيا المعلومات بإعدادها لك بعد، لذا فأبحثي فيه عن بيانات الاتصال الخاصة بهم؛ فسيرجيو يخشى أن يشعر عملاؤه أنهم يُبذوا، ويريد أن تبدئي الاتصال بهم هذا الصباح.

- طبعاً. أين يمكنني الاتصال بهم؟ هل يوجد مكتبٌ يمكنني استخدامه؟

فضحك الجميع، ثم قالت تيريزا:

- أخشى أنه مكتبنا الوحيد، لكنك تستطيعين استخدام سماعات الرأس فلا تلاحظين وجود أحدٍ آخر.

ثم أحضر لي إيفان فنجاناً من القهوة الفعّدة على البخار، ووضعه أمامي من دون أن ينبس ببنت شفة قبل أن يجلس.

لم تكن لدي أية فكرة عما سأقوله للعملاء، ثم إنني أعلم أن الآخرين يجلسون غير بعيد مني فخشيت أن يسمعوا مكالماتي.

قررت أن أبدأ مع امرأة كانت عميلاً حالياً. كنت قد تدربت في نفسي على السيناريو الخاص بي، فقدمت نفسي كبديل عن أني، وأخبرتها بكيفية الاتصال بي، وسألتها ما إذا كانت في حاجة إلى المساعدة وإجراء محادثة صغيرة، ثم راجعت القائمة واخترت ميلودي كاروثرز، الرئيس التنفيذي لشركة نيل أمبوريوم، وهي امرأة إنكليزية قد تكون أكبر سناً منها حين كانت مديرة تنفيذية. لعلها كانت في مثل سني، وفي مجال عمل جعلني أشعر بشيء من الراحة والجمال.

قمت بإمالة رأسي وأنا أتصل بالرقم محاولة إخفاء الرعب الذي غمرني.

- نعم؟

أجابتنني امرأة بدت مستاءة من اتصالي كما لو أنني قد قاطعتها وسط شيء ما، فقلت لها:

- مرحباً. هل يمكنني التحدث إلى ميلودي كاروثرز فضلاً؟

بدا لي أن بقية أعضاء الفريق توقفوا عما كانوا يفعلون لمشاهدتي، فنظرت إلى ملف العميل إذ كان

علي أن أنسى الآخرين وأركز.

- من المتكلم؟ بدا صوت المجيبة غير صبور، بل غاضباً في الحقيقة.

فابتسمت كيلا ينتبه الفريق إلى أن مكالمتي الأولى لا تسير على ما يرام، ثم إنني قرأت ذات مرة أن التبسم في أثناء التحدث على الهاتف يجعل المحادثات أكثر جدوى.

- أنا أتصل من هاميلتون هيوز واسمي فايضة سوندرز؛ بديلة أني ديل؛ وإنه لمن دواعي سروري أن أتحدث إليكم سيدة كاروثرز ...

- ما هذه الفوضى؟

- أنا أسفة، هل أسأت اختيار توقيت اتصالي بك؟

هنا نسيث أمر الآخرين الذين كانوا يراقبونني إذ ارتبكث في أثناء محاولتي إصلاح الموقف. لا أعرف ما الخطأ الذي فعلته، لكن ديفيد شخر أمامي بصوت عالٍ.

- يمكنني الاتصال بك لاحقاً إن كنت ...

وأغلقت سماعة الهاتف على الطرف الآخر فحاولت التظاهر بأنني سوف أنهي المكالمة بنفسني، فواصلت التحدث في الهاتف رغم انقطاع الخط.

- طبعاً. أتفهم انشغالك. لا مشكل ...

- من الأحمق الذي يتصل بي على خطي الفرعي متظاهراً بالاتصال بعميل؟ ألا ترونها مزحة ممجوجة؟

نظرت إلى الأعلى فرأيت امرأةً بملامح شرق
آسيوية بشعرٍ قصيرٍ داكنٍ، وفستانٍ أحمر ضيقٍ،
تخرج من وراء الحاجز. كانت بمثل عمري تقريباً. قد
تكون صغيرةً، لكن صوتها ملأ المكتب وارتد صداه
عن الجدران. وقف الجميع استعداداً عند اقترابها.

- حسنٌ؛ من ذا الذي قرر مضايقتي عند إنهائي
عروض نورديك تيك؟ مممم؟

نظر إلي جميع أعضاء فريقتي منتظرين اعترافي،
فشعرت بوجهي يحترق، وتوقف الناس في المكاتب
الأخرى عما كانوا يفعلونه، فرفعت يدي وقلت:

- أنا. أنا آسفةٌ للغاية. لا بد أنني اتصلت بالرقم
الخطأ.

اهتز كتفاً ديفيد وغطى فمه بيده.

- من تكونين؟ قضي!

فنهضت ببطءٍ، وقلت:

- بديلةٌ أني. اسمي فايضة.

- آه! «خبيرةٌ» سيرجيو. أهلاً! أهلاً! أنا تيلي
ماديسون، أحد المديرين هنا.

وتقدمت نحوي لتصافحني، وقالت:

- هل لأحد أن يعلمها استخدام الهاتف؟

وابتسمت تيلي كما لو أنها تروي النكتة لي لا عني،
فانفجر المكتب كله ضاحكاً، وعندما راحت تبتعد
سمعتها تقول: «ألا توجد هواتف في الضواحي؟»

حفرث راحتي بأظفاري لأمنع نفسي من البكاء
واستكمال ذلي، بل ابتسمت بدلاً من ذلك فكانما
أستمتع بخطني، ثم قلت:

- حسناً، على الأقل منحت الجميع بعض الترفيه.

- «هل أدخلت الرقم ٩٠٠ أولاً لطلب خط
خارجي؟»؛ انحنى تيريزا وهمست.

هزئت رأسي، ثم علمتني كيف أطلب خطاً خارجياً،
وأعطتني رمز أمان الفريق الذي علي إدخاله أيضاً،
فكتبته على قصاصة ورقية.

- لا بد أنك اتصلت بخط تبلي الفرعي، وذا خطأ قد
يرتكبه أي كان. قالت تيريزا.

- قطعاً. قال ديفيد.

وبدا بالضحك.

- توقف عن ذلك! قال إيفان.

عندما خرج الآخرون من المكتب في وقت لاحق،
قررت العودة للاتصال بالعملاء، لكنني أضعت الورقة
التي كتبت فيها رمز الأمان، فخرجت من أن أسأل
تيريزا عنه مرة أخرى، فأخذت بدلاً من ذلك قائمة
العملاء إلى ستاربكس، واتصلت بهم من هاتفي
الخلوي.

وبينما أنا عائدة إلى المكتب، وباب المصعد على
وشك الإغلاق إذ انزلت بين الدفتين قدم كبيرة
بحذاء رياضي ففتحت الباب، ودخل رجل طويل

يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً، وقد برزت عضلات
رجليه، فلما ترحلحت لأفسح له المجال سقطت
قائمة عملائي على الأرض فقال:

-أسف. هذا خطئي.

بدا مستمتعاً لا معتذراً.

انحنى كلانا لأخذ الأوراق فتلامست يدانا، فنهضت
بسرعة وسلمني الأوراق، فشعرت بالحرّج حين نظر
في وجهي مبتسماً كما لو أنه يتمتع بالنظر إلى ما
يحب، أما أنا فلم أكن أميز ما إن كان ذا وداً أم غزلاً،
فقلت متمنيةً لو لم يكن مكتبي في الطابق الخامس
والعشرين:

- شكراً.

لم أكن معتادةً على أن ينظر إليّ الرجال الوسيّمون
بهذه الطريقة، كما أن المغازلة اللطيفة التي أسمعها
عادةً ما من النوادل أو الباعة لم تكن تضايقني،
ولم يكن يضايقني أن يشيد الرجال في الحفلات
«بجمالي الشرقي»؛ فقد أظهرت عينا هذا الرجل
اهتماماً وانجذاباً واضحين.

بينما راح المصعد يتحرك ببطء، حدثت في
أوراقي كما لو كنت أحاول اكتشاف مشكلة معقدة
فيها، فلم أنظر إليه مرةً أخرى. خرج هو الآخر من
المصعد في طابقي فأفسح لي الطريق، وحينما
استدرت كان قد رحل.

واصلت عيناى لبقية اليوم النظر إلى القسم الذي
يضم مكاتب المديرين، فهناك أيضاً مكتب زوج
جوليا الذي لم يكن في طابقي أو مكتب آخر بعيد عن

العمال المتواضعين، بل على بعد أمتارٍ قليلةٍ مني. كانت سام مخطئة حين قالت إن فرصة مقابلته ضئيلة، فها أنا قد قابلت تبلي بعد نصف ساعة فقط من وصولي إلى العمل فبدت كأنما تعلم أنني «خبيرة سيرجيو»؛ فماذا لو كان زوج جوليا فضولياً أيضاً فساقه فضوله إلى رؤيتي، ثم حدث جوليا لاحقاً بامرأة تُدعى فايزة؛ انضمت لتوها إلى (HH)، وكانت حتى وقت قريبٍ أما متفرغة؟

بدأت أعاني من الصداع إذ كانت مجازفةً كبيرةً لم أستطع الخروج منها. تظاهرت بقراءة ملاحظاتي متسائلةً ماذا أفعل.

- «حسنٌ. هل لك أن تمرر لي خرازتك يا صاح؟ قال ديفيد لأحد العابرين.

خطر لي فكرة. كان علي إخفاء أي شيء يمكن أن يشي بي ويكشف أمري؛ فنظرت إلى الفريق وقلت:

- يا رفاق، أريد أن أقول لكم شيئاً لم أقله في المقابلة. فلينادني الجميع فاي، فهو اسم شهرتي، ولن يجد العملاء صعوبةً في نطقه.

لاحقاً، سألتني تيريزا عن أطفالي؛ فقلت معتقدةً أن من الأفضل ألا يعرف أحد أن لدي ابنةً مراهقةً في بروكود:

- لدي ولدان.

- «وتعيشين في ويمبلدون. أليس كذلك؟»؛ قالت سابين.

- نعم؛ عشنا فيها لسنوات، لكننا انتقلنا إلى إيست شين قبل بضعة أشهر إذ كنا في حاجة إلى مكان أكبر بعد أن كبر الأولاد، وغدا كل شيء باهظ الثمن في ويمبلدون.

كل سنوات العصف الذهني السريع في الإجابة عن أسئلة أهلي بهدف التكتّم على شيء ما في أثناء نشأتي قد أتت أكلها؛ فإن قالت لي أمي أن أكذب على أبي بشأن مشترياتها السرية كذبت، وإن اشترى لي أبي الحلوى عند حصوله على مكافأة، فكان كثيراً ما يطلب مني ألا أخبر أمي عنها، فإذا ما شك أيّ منهما في كذبي، كان عليّ أن أتوصل إلى إجابات أخرى في جزء من الثانية، فما كنت أجد صعوبة في اختراع شخصيتي البديلة؛ ولذا فقد وجدت حلاً لمسألة «زاوية جوليا».

أنا الآن فاي التي تعيش في إيست شين ولها ولدان.



كان عميلي الأول توماس سيدون كيو سي محامي طلاقٍ ممتازاً. حملت بروشوراتي ونزلت بكعبي العالي على طول الساحة المرصوفة بالحصى للجيب القانوني المخفي إلى جوار المعبد. لقد بدأت بدايةً جيدة، وكنت أراجع اقتراحي عندما دخلت تيريزا إلى مكتبه. كنت متفاجئة ولكني مرتاحة، وأشعر أنها أقدر مني على ذلك. وبدلاً من دعمي، مزقت اقتراحي واقتרכת محفظةً مختلفةً وفازت بالصفقة مع العميل، فجعلتني أشعر بحماقتي.

ارتفعت مؤشرات المبيعات أمام اسم تيريزا لا اسمي.

اتصلت بتوم وأنا جالسة على مقعدٍ خارج سانت بول، وأنا مستاءة جداً مما حصل.

- كان الأمر مهيناً جداً.

- سيتحسن الحال. بث على الأقل تعلمين ألا تثقي في تيريزا.

بعد العشاء، أخبرني توم بالجديد في بحثه عن عملٍ إذ قال له جميع الباحثين عن كفاءاتٍ أن لديه ملفاً شخصياً ممتازاً وسمعةً ممتازة، لكن المناصب التي تليق بمستواه نادرة؛ ولذا كان عليه التحلي

بالصبر، ثم قال متنهداً:

- لا أعرف ما معنى هذا. شهران؟ ستة أشهر؟ جيد أنك تعملين على الأقل، فمدخراتنا لم تكن لتستمر بهذا المعدل لولا عملك.

تساءلت ما إذا كان هذا الحال سيدوم بعد أربعة أسابيع من الآن، إذا ما كانت زيارات عملائي كتلك الزيارة التي جرت في ذلك الصباح؛ وهنا تحولت نشوة حصولي على الوظيفة إلى توتر عصبي، فقال توم:

- سمعتُ كذلك أخباراً عن زوج سام، وذلك أن أحد الباحثين عن الكفاءات أتى على ذكر شركة جيمس. سيقيلون ألف شخص على مستوى العالم، وأمل ألا يكون جيمس واحداً منهم؟

- لا. هو في مأمن. لقد أخبرتني سام أنهم أقالوا ثلاثة من فريقه، ولذا فهو يقوم بعمله وعملهم فيتأخر كل يوم. لا أعتقد أنهم قادرون على طرده!

ثقتُ إلى احتساء القهوة مع سام وليزي، أما نائلة فراسلتني لكنني لم أستطع التحامل على الرد عليها. كل ما يشغل بالي الآن هو الحصول على ترقية.

جلست في ذلك المساء على الأريكة، ووضعت حاسبي المحمول في حضني، وبحثت بأكثر قدر ممكن من التفاصيل عن جميع المنتجات والمحافظ التي قدمناها. لن أبدو كالحمقاء مرة أخرى. بعد التمعن في الباحثين عن الكفاءات، كانت وظيفتي شريان حياتنا الوحيد.

كنت في كل ليلة أطلب من توم في السرير أن

يختبرني في أحدث المنتجات التي أقوم بالبحث عنها، وعندما كنت أقف في بعض الأحيان على حافة السرير كنت أظاهر بتقديم عروض تقديمية ومقاطع فيديو، بينما توم يسألني أسئلة بنبرة صوت العميل، فقال لي إنني «على الطريق»، وراح يجيب عن أسئلتي، فكان الأمر أشبه بوجود مدرب شخصي في سريري يدرّبي على عملي، وقال:

- يمكنك القيام بذلك. أنا متأكد.

بدأت بعد فترة أصدق ذلك أيضاً، فلم أعد ألتزم الصمت في اجتماعات الفريق، وبدأت أشعر أنني أقل احتياجاً.

منذ أن راح قرض روبرتو يبدأ بالنفاد توقفت لفترة طويلة عن إرسال أية أموال إلى فرح، وأخبرتها أنني سأرسل لها المال حالما أحصل على راتبي. كنت قبل أن يفقد توم وظيفته أساعدها من صندوق طوارئنا، وكنت قلقة حيال تدبرها أمرها، فقالت:

- لا تقلقي ... لقد أرسل لي أبي ثلاثة آلاف جنيه.

فغضبت من كلامها، وقلت:

- فرح. كيف يمكنك ذلك؟ إنها نصف مدخرات حياتهما!

- ليست «نصف مدخراتهما». لقد صرف أبي تلك الأسهم التي لطالما امتلكها نقداً، فحصل منها على عشرة آلاف، ولديهما عشرة آلاف كمدخرات. هو من أخبرني بما لديهما عندما رفضت أخذ المال منهما.

- عليك أن تسدديها لهما.

- طبعاً، سأردها لهما، لكنني لولاهما ما كنت في هذه الفوضى. أليس كذلك؟

تساءلت ما إذا كنت سأخذ منهما رسوم الدكتوراة كين لو علمت بمدخرات والدي. لا أظن ذلك إذ كان علي أن أشرح لهما سبب حاجتي إلى خمسمائة جنيه حين كان لدى توم شبكة أمان تبلغ ٢٥٠ ألف جنيه. ولن أقحمهما في هذا النوع من التوتر.

كنت سعيدةً لأنني لم أكن أعرف بالأمر؛ فالمشكلة مشكلتي، ومن الطبيعي أن أقوم على إصلاحها بنفسي.



كان المنتجع الصحي آخر مكان أردت أن أكون فيه، أما عطلات نهاية الأسبوع فباتت الوقت الوحيد الذي أمضيه الآن مع توم والأطفال ووالدي. كنت أعلم أن سام ستصاب بخيبة أمل إن فوت حفلتها فأنا لم أرها منذ مدة، ثم إنني قبل أسابيع عدة دفعت مساهمتي إلى ليزي، وهي مائة جنيه بدت غير ذات قيمة قبل بضعة أشهر، ولذا ارتديت فستاناً مناسباً وابتسمت، وذهبت.

كنا ست نساء في المنتجع الصحي داخل الردهة المظلمة المكسوة بأخشاب شجر البلوط، ورحنا نتصفح قائمة جلسات التدليك والأظفار وعلاجات الوجه. كانت أنا وبيث، صديقة سام في العمل، إلى جانب جوليا وليزي، وجميعهن يرتدين ملابس وردية. حتى سام وافقت على زي ليزي المخطط له بارتداء قميص وردي من جمعية خيرية لسرطان الثدي. ارتدت الأخريات فساتين صيفية قطنية تشبه إلى حد ما فساتين حفلة توديع العزوبية.

كان علينا جميعاً أن ندفع المال لقاء علاجاتنا الخاصة؛ ولذا فكرت في مخرج، فقد حسبت كل قرش من راتبي لدفع فواتيرنا، ولا يزال غير كافٍ لذلك أصلاً، وقلت:

- سوف أتخطى العلاجات، فقد طفحت في

ورفعت يدي الحمراء المكدوشة كدليل؛ فقالت
سام:

- عالجها بحجرٍ ساخن.

- أوبكريمات العناية بالأقدام. قالت ليزي. لا
يمكنك أن تكوني لساعاتٍ بمفردك بينما نحن نمرح!

كانت جوليا تراقبني، فشعرت أن وجهي يسخن،
لكن أحداً على الأقل لم يستطع رؤية ذلك على
بشرتي.

- أفضل ألا أخاطر. سأعزل نفسي في غرفة
الاسترخاء، فهي مكانٌ لطيفٌ جداً أيضاً!

شعرت بالشموع المعطرة برائحة الورد تخنقني
وأنا مستلقية على كرسي في غرفة الاسترخاء. قدم
لي أحد المعالجين كوباً كبيراً من الماء بمكعباتٍ ثلجٍ
وشرائخ رقيقة من الليمون، إضافة إلى صينية فيها
مناشف نظيفة ملفوفة بتناظرٍ دقيقٍ. على الجانب
الأخر من الغرفة رأيت ثلاث نساء في الخمسينيات
من العمر ربما، وكُنَّ جميعهن طويلاتٍ جداً،
ونحيفاتٍ جداً، وشقراواتٍ جداً. كانت أصابع أيديهن
وأقدامهن مطلية بأصباغٍ برتقالية متطابقة. لففت
نفسي برداء الحمام الأبيض الكبير وأغلقت عيني.

كان علي أن أحرص ألا ارتكب خطأ، وأن أتجنب
ذكر (HH) أمام جوليا. وتسرع قلبي إذ غصت في
التفكير في شبكة أكاذيبي المعقدة التي أقحمت
نفسي فيها، فكان علي أن أكون على أهبة الاستعداد
دائماً، وذلك مع فاي في العمل، ومع توم في المنزل،

وحتى مع أصدقائي. لم أستطع إخبار أي شخص في المدرسة عن (HH) لأنه لا بد من أنه سيصل إلى جوليا.

في وقت لاحق، جلسنا جميعاً في مطعم الحديقة الشتوية حول مائدة مستديرة مغطاة بفرش من الكتان النشوي، وكانت تطل على حديقة ذات مناظر طبيعية بديعة. كانت الأرانب والسناجب خلف الأبواب الفرنسية تتنقل كما لو أنها تقدم عرضاً لنا بالذات، وما كنت لأعجب إن كان هذا صحيحاً، وأن يكون المنتجع الصحي قد درب الأرانب المسكينة على التبخر وإضافة بعض الجمال إلى الأجواء المصممة بعناية. كنت أتطلع إلى المغادرة.

ولما تناولنا الوجبة ذات السعرات الحرارية المضبوطة، والتي دفعنا ثمنها غالباً تحولت المناقشة إلى ما يستهلك الوقت والمال للحفاظ على الجسم، فقالت جوليا وهي تدفع الجزر المبشور على طبقها:

- أنا محظوظة أن لدي جينات جيدة، فلا أحتاج إلى فعل الكثير منذ أن بدأت مواعدة هاري.

كانت جوليا في الثامنة والأربعين من عمرها، وكان من الواضح أن في وجهها أكثر من تدخل إلهي. على الرغم من سعي النساء المحموم وراء الحفاظ على مظهر الشباب في بشرتهن، إلا أنهن لا يفتأن يخجلن من تحسيناتهن التجميلية. استخدام البوتوكس والفيلر أمر مقبول، أما تجميل الصدر وشفط الدهون فليس كذلك. ومع ذلك، فقد سرت الشائعات حول اختبار عضلات البطن وشد الحبال، وهي جزء من ألعاب المدرسة الدائمة «اكتشف الجراحة

أصبحت جميع النساء اللاتي أعرفهن أصغر مني سناً وأكثر جمالاً على مر السنين، فتساءلت: كيف ستكون حال توم إن غدا الرجل الوحيد الذي يخرج مع امرأة مجمعة الوجه بينما أترابي من النساء ما زلن يبدن في الثلاثينيات من العمر، ولذا كنت أشعر أحياناً أنني أنهاز. لطالما أخبرني توم أنني جميلة، لكنني تساءلت: هل كان ذلك لطفاً منه وحسب؟ فقد كان لطيفاً دائماً.

سمعت من سام أنيماً إذ قالت:

-أنا ممتنة أنني لم أعد مضطرة إلى مواعدة أحد بعد الآن.

قادني تفكيري إلى الرجل الذي قابلته في المصعد، ونظرة الإعجاب الواضحة في عينيه.

كنت قد شهدت مغازلاتٍ مرحٍ في حفلات العشاء، وكانت القيود الزوجية المعتادة حينها تخف عبر الطعام والشراب الجيد وصفوف من الأرجل والصدور العارية. كان ذا ضرباً من البراءة التي لا تتجاوز الجلوس أقرب من المعتاد، أو التقبيل أو الاحتضان لفترة أطول قليلاً، وتمني ليلة سعيدة.

كانت تجربتي الخاصة في اهتمام الأزواج الآخرين بي في حفلات العشاء مختلفة تماماً؛ فقد تجاهلني بعضهم أو بقي مني على مسافة يرسمها التهذيب كما لو أنهم يخشون الاقتراب مني؛ كما كان هنالك صنفٌ آخر يختارني فوراً. لم أتعرض للمضايقة المعتادة أو الإطراءات المرحية ذات المعاني المزدوجة؛ فمعي، كانوا يدخلون في صلب

الموضوع مباشرةً من خلال التعليقات والتركيز الدائم على مظهري «الغريب».

«بشرك لذیذة. كالشوكولاہ بالحليب. ل ... ذیذة... یذذة.»

«شعرك كثیف وغازیز جداً. أراهن أن من الرائع أن ألتقطه في الوقت المناسب، إن كنت تفقهين ما أعني!»

«عیناك ساحرتان جداً، وقاقتان جداً. هما سوداوان تقربياً. أليس كذلك؟»

«أحب النساء الشرقيات؛ فهن أنيقات جداً وناعات جداً، وخبيرات في كاما سوترا (1). أليس كذلك؟»

ربما ظنوا أنهم يمدحونني بينما كان ذلك يصيبني بالقشعريرة. لم أخبرهم قط أنهم عنصريون أو غير لبقين؛ بل تعلمت بدلاً من ذلك الابتعاد عن أمثالهم بسرعة بأن أستشف المسار الذي ستتخذه المحادثة. رغم أن هذا لم يكن يحدث كلما خرجت، إلا أنه كان يتكرر بقدر كافٍ قد يؤدي في بعض الأحيان للكثير من الأحداث لو أبلغت عنهم. كان منهم أزواج لنساء سآراهن في اليوم التالي بعد المدرسة. لم أكن أخبر توم أيضاً، وخاصةً بعد المرات القليلة الأولى؛ فقد كان يغضب دائماً إذا ما عاملني شخص ما بهذه الطريقة، فيزعجه.

لحسن الحظ، كانت هناك أيضاً زمرةً ثالثةً لرجال أعرفهم جيداً، كأزواج صديقاتي مثلاً؛ جيمس وستيوارت، وزملاء توم وأصدقائنا، والآن سيرجيو

وإيفان، وهؤلاء يتحدثون معي كما لو كنت شخصاً؛
لا كعرق متجول متحدث.

- «لولا لم يكن كل شيء لعباً ولهواً»؛ قالت ليزي.
«لأخذت خيارات مشبوهة جداً؛ ولذا فأنا ممتهنة
أني عجوز متزوجة».

والتفت نحوي وسألني:

- أنت وتوم في حالة حب كبير؛ فهل كان عليك
تحمل الكثير من الضفادع قبل أن تجديه؟

كنت أتجنب الاتصال بالعينين أماً أن ينسين
أمرى؛ وعندما سئلت لم أكن مستعدة إذ كان كل
تركيزي منصباً على تجنب الحديث عن عملي، ولذا
هزئت وضحكت بمقدار من الفرح، ثم قلت:

- والحمد لله! كان توم من أوائل أصدقائي
الجادين، وذا من حسن حظي.

- كم صديقاً عرفت قبل توم؟ سألت جوليا.

كانت دائماً تعرف متى تصر.

لم أكن لأخبرهن قط أن توم كان صديقي الأول
والوحيد، لا لأن الأمر سيخرجني وحسب، بل لأن
صدمة اعترافي هذا ستكون محور أحاديثهن على
العشاء لأشهر عدة، ناهيك عن أن حياتي العاطفية
ليست من اختصاص أحد.

ساد هنالك صمت تحولت خلاله العيون كلها إلي،
فتمنيث لو أنني حضرت جواباً أفضل فاخترعت
قائمة أصدقاء أطول. غدا وجهي حاراً، وأردت أن
تغير إحداهن الموضوع، لكن جوليا صرخت وقد

اتسعت عيناها:

- ماذا؟

- لقد حالفك الحظ. قالت ليزي مقاطعةً.

فابتسمت.

- لقد نسيت كل الزواحف الذين كان عليّ مقابلتهم.
أنت وتوم مثاليان معاً. قالت سام:

- والآن، أين كعكة عيد ميلادي؟

- ولكن كيف أمكنها أن تعرف أن توم مثالي إن لم
يكن لديها من تقارنه به؟ قالت جوليا.

حدثت فيها، ولم أستطع كظم غضبي. رحت أتذكر
افتقاري إلى الرومانسية قبل عهدي بتوم، كان
الناس يعجبون أيضاً، لكنهم كانوا يرون الأمر غريباً
ورومانسياً بطرازٍ قديم، لكن أحداً لم يتفاعل كتفاعل
جوليا.

- لا أقصد الإهانة يا فايضة. إنه فضول وحسب،
لكنني أعلم أن هاري أفضل من الجميع لأنني جربت
غيره الكثير، وسأخبر بناتي بضرورة خوض المضمار
ذاته قبل استقرارهن!

وغمرت للأخريات وضحكت كما لو أنها لم تسخر
مني، بل كانت رحلة بريئة في سراديب الذاكرة
فقط، أولم تكن موجهة إليّ ربما؟ لكنها أضافت:

- بصراحة يا فايضة، يبدو من البربرية أن تتزوجي
أول صديق جاذ لك. إنه أمر رجعيّ بعض الشيء في
عصرنا. ألا تعتقدين ذلك؟

فبادلت جوليا نظرةً مرعبةً، ثم قلت:

- حسنٌ. أما أنا؛ فقد نجح الأمر معي.

تجاهلتني جوليا، وبدأت بالحديث عن أنها كانت محقةً بشأن هاري. واقتبست شهادتها بمظهرٍ من خجلٍ ممزوجٍ بفخرٍ، وبدأت بالقول:

- «وما زال ...»؛ ثم مالت لتهمس بقية التفاصيل اللعينة للنساء اللواتي يتحلقن حول الطاولة. لو قابلت هاري في يومٍ من الأيام، لكان من الصعب نسيان تلك التفاصيل. انتبه الجميع والتفتن إليّ باهتمامٍ فرحتُ أتساءل ما إذا كان هنالك من لاحظ أن جوليا استخدمت كلمة «بربرية» وكلمة «متخلفة». لا يبدو أن أحداً لاحظ ذلك.

حملت حقيبتني ولوحت لسام، قلت:

- أسفةً. لا بد لي من الإسراع.

- قبل أن تذهبي، يا فايضة، هَلَا ألقىت نظرةً على هذا؟ قالت ليزي وهي توزع الكتيبات اللامعة على الجميع. إنه فنّانٌ نيجيريٌّ شابٌ تخرّج للتو، وهو حائزٌ على منحةٍ دراسيةٍ سابقاً من مؤسسة والدي، وقد قمّت بتنظيم معرضه الأول في صالة الفنون في القرية، وأود حضوركم جميعاً لدعمه؛ فلديه موهبةٌ كبيرةٌ.

نظرْتُ إلى اللوحات المعقدة للنحل والفراشات والأشجار. لقد كانت جميلةً حقاً.

- نعم، طبعاً، لكنني سأكون في العمل يوم الخميس.
أنا أسفةً.

- للأسف، حسناً، أنا أطلب إليكن جميعاً أن تطلب أي واحدة فيكن اللوحة التي تعجبها، فهو في وضع مالي صعب للغاية، وإذا لم يحصل على الدعم من بعض المبيعات، فسيتعين عليه العمل بدوام كامل فلا يكون قادراً على الرسم.

فترسم جوليا صليبا على ثلاث لوحات.

- نحن نستثمر في الكثير من الأعمال الفنية وهذه أعمال ممتازة. سأعلقها في منزلي حتى يراها ضيوفى وبذا يذيع صيته.

- شكراً لك جوليا. قالت ليزي، إنه لطف كبير منك، وسيعني الكثير للفنان أديدايو.

- أبداً. إنه واجبنا أليس كذلك؟ وتجوب جوليا الطاولة بنظرها. دعونا جميعاً نساعد هذا الفنان.

كانت أسعار اللوحات تتراوح بين ألف وخمسة آلاف جنيه. رحت أتصفح الكتيب ببطء. لحسن الحظ، اشترت سام أيضاً لوحةً واتصلت بالرقم الذي اختارته.

- «فايزة؟ من الأفضل أن تختاري واحدة قبل أن تذهبي.» قالت جوليا؛ «سيداتي؛ لقد جمعنا حتى الآن عشرة آلاف جنيه في عشر دقائق.»

- سأشاهد ذلك لاحقاً، ليزي.

- لا بأس. فقط أرسلني لي رسالة نصية.

تدخلت جوليا، وقالت:

- هيا فايزة! اختاري شيئاً. لن يستغرق الأمر أكثر

من ثانية. اعتقدت أنك قد ترغبين في دعم هذا
الفنان باعتباره كما تعلمين ... وتوقفت لبرهة قصيرة
قبل أن تواصل: «أسود».

فتجاهلثها، وودعتهن وغادرت متفكرة في الكيفية
التي خصتني بها جوليا إذ كانت هنالك أخريات على
الطاولة لم يشترين أي شيء بعد. كنت أخشى ولا
أرغب في أن أبكي حتى أبلغ سيارتي.

على الأقل لم يسألني أحد عن الوظيفة.

(1) هو نص هندي قديم يتناول السلوك الجنسي لدى الإنسان.
المترجم.



سلمني سيرجيو ورقة، وقال:

- إنه أول عملائك المرموقين يا فاي. يدعى فلاديمير أوميرسكي، وهو على قائمة أثرياء التايمز.

- ولماذا تحصل فاي على هذا الحساب؟ ألم تر ما حدث في المرة السابقة؟ لدي بعض التحفظ.

لم تعد تيريزا تتظاهر بأنها أختي، وكذا بدا إيفان مستاء أيضاً.

- لأنها أُم في ويمبلدون، ولها ابنان يرتادان المدرسة في ويمبلدون وزوج يعيش هناك؛ ثم إن لها خلفية روسية، وهو أمر مثالي فيها. صحيح يا فاي؟

- نعم. شكراً لك. أجبته.

وابتسمت ابتسامة عريضة، لكنني رغم حماسي الواضح كنت متفكّة مع تيريزا؛ فهناك احتمال كبير أن أفسد الأمر برمته؛ لكن النتائج إن لم تظهر بسرعة، فلن أجتاز الفترة التجريبية التي ستنتهي بعد أسبوعين. كانت لوحة مبيعاتي لا تزال خاوية تماماً، وكان الناس يعلقون في أثناء مرورهم يومياً:

«لا شيء حتى الان يا فاي؟»

كنت في وقت لاحق خارج النادي الخاص في بيكاديللي، والذي سألتني فيه بفلاديمير، فرأيت سيارة رولز رويس بنفسجية تحمل لوحة أرقام عربية، ولما خطوط بضع خطوات نحو المدخل فتح لي بواب يرتدي قبعة ومعطفاً أخضر طويلاً مزيناً بلونٍ ورديٍّ، وما إن أوشكت على الدخول حتى رن هاتفي فإذا بها مدرسة أليكس، ولطالما أخافتني اتصالاتهم. هزرت رأسي للبواب وخرجت للرد على المكالمات.

- معك السيدة ويليامز، ممرضة المدرسة.

طارت كل أفكار فلاديمير من رأسي.

- لقد تلقى أليكس ضربة في مكان حساس من جسده في أثناء لعب كرة القدم وأصيب في فخذه، وأرى أن عليكم فحصه بحثاً عن إصابات أخرى كإجراء احترازي. هل لك أن تأتي لاستلامه من فضلك؟

كان لدي عشر دقائق قبل اجتماعي.

- أخشى أنني في العمل، لكنني سأطلب من زوجي أن يستلمه. هل لي بالتحدث إلى أليكس من فضلك؟

وضعت الهاتف على مكبر الصوت حتى أتمكن من التحدث إلى توم عبر واتس أب في الوقت نفسه.

كان يبكي حين قال:

- متى ستصلين يا أمي؟

- بأسرع ما يمكن يا حبيبي. أبوك قادمٌ ليأخذك.

- أنا لا أريد أبي. أريدك أنت.

- سيعنى بك أبوك. أعدك؛ فهو أدرى مني بذلك.

سمعت له ضحكة خفيفة.

ابتسم لي الحمال الذي كان يستمع إلى حديثي.

- هل يؤلمك؟

- نعم. أريدك أن تعودى للمنزل.

بدا صوته بعيداً جداً فأردت أن أدنيه.

- سأتي في أقرب وقت ممكن. أبوك في طريقه إليك. أحبك. يجب أن أذهب الآن.

وأغلقت الخط وقلت: «اللعة!»

ثم تذكرت البواب، وقلت:

- أسفة!

فابتسم وكأن سماع امرأة تناقش ابنها في أمر كهذا، وشتمتها عند البوابة أمر اعتيادي.

داخل النادي، قادني أحد الضيوف عبر الممرات، ثم صعدنا مجموعة سلالم من خشب الكرز، وقد اصطفت فوقها صور لرؤساء النادي عبر العصور. لقد تغيرت الملابس على مر القرون، لكن الوجوه التي كانت تنظر إلي هي ذاتها: ذكر أبيض في منتصف العمر.

- «طاب يومكم!»؛ قلت بالروسية وأنا أصافح فلاديمير أوميرسكي وأبعد عن ذهني أية فكرة

أخرى غير محفظته ...

- هيا فاي. دُوني ذلك!

كان سيرجيو يقف إلى جانب مكتبنا، وربطة عنقه منحرفة، وأكمامه مواربة، وشعره أشعث كما لو أنه خارج للتو من مباراة مصارعة، لكنها حالته الطبيعية كما تبين لي، لا كالصورة المثالية التي رأيتها خلال المقابلة.

لم أتمكن من كبح ابتسامتي عندما اقتربت من السبورة، وتناولت القلم وكتبت مبيعاتي الخاصة بفلاديمير - مليون جنيه - إلى جوار اسمي. صفقتي الأولى.

ثم جلست متحمسة جداً. لقد نجحت! نزع سيرجيو سترته، وقال:

- حان الوقت لإخبار المديرين. تعالي!

أردت أن أطلب منه الانتظار لدقيقة ريثما أسرح شعري وأتحقق من مكياجتي، لكنه توجه إلى القسم فعلاً، فعدلت بلوزتي وتنورتي الرمادية، وسرّث وأنا أرفع شعري بيدي وأنفقد بإصبع الخاتم الكحل تحت عيني خشية أن يكون قد ساح. كنت في طريقي إلى لقاء زوج جوليا فاضطررت للانتباه إلى كل ما سأقوله. ثبت اصطكاك أسناني، وحاولت تهدئة تنفسي حين لحقت بسيرجيو.

- سيرون الان اني أصبت حين وظفتك. قال وهو يفرك يداً بيد كمن فاز برهان.



خلف القسم، رأيت ممراً واسعاً بأبوابٍ من خشب
الماهو جاني الوردِي.

بدأنا بتيلي التي اكتشفت أنهم يلقبونها «بالتنين»
غيبَةً طبعاً، فهنأتني وقالت لسيرجيو: لقد فزت.

قال سيرجيو:

- والآن، دوز هاري، إنه أهم من ستقابليته لأنه
موكلٌ بكثيرٍ من العملاء الروس، وقد زاد من حصة
السوق أكثر مما زدنا جميعاً، ولديه أطفال كذلك.
ستحبينه.

كان قلبي ينبض بسرعة؛ لكنني اضطررت إلى
التركيز بينما برزت في ذهني صورة زوج جوليا في
وضع حميمي وصفته بتفاصيله كلها، فلم أعرف
كيف سأكون قادرةً على النظر في عينيه.

دفع سيرجيو الباب قليلاً ونظرنا إلى الداخل فإذا
برجل طويل جداً يتجاوز الستة أقدام يقف وظهره
نحونا ناظراً من خلال جدار زجاجي إلى مدينة لندن
المترامية تحته، وهو يتحدث على الهاتف. كانت
شمس الأصيل تتدفق من حوله مبرزةً خطوطه
الخارجية كما لو أنها ترسم له صورة مظلمة بقلم
فاحم. كان يرتدي قميصاً أبيض وسروالاً أزرق

بحرياً.

عدت خطوة إلى الوراء، وتمتمت لسيرجيو: «فلنذهب!»، لكنه دفع الباب وتنحنح.

تحفزت حين استدار زوج جوليا عارضاً شعراً موشى ببياض الملح وسواد الفلفل، وابتسامة بعيون بندقية اللون، فنسيث جوليا حين أدركت أنه رجل المصعد! ذاك الشخص الذي أقال عثرتي عندما أسقطت أوراقى فأشرق في يده خاتم الزواج الذي لم ألمحه آخر مرة؛ فتساءلت ما إذا كان يتذكرني. بدا وهو يرتدي تلك الملابس أشبه بالصورة التي رأيته على موقع (HH) وإن لم يكن يرتدي النظارات الآن، لكني لم أتعرف إليه في المصعد.

رتبت ابتسامة طبيعية على وجهي، وقفز عقلي من فكرة وقوفي في مكتب زوج جوليا إلى تذكر مغالته لي بعينه في يومي الأول.

- عذراً. هل يمكنني الاتصال بك في وقت لاحق؟
قال لمحدثه على الهاتف.

وصافح سيرجيو بحرارة، ثم قال:

- ادخلا. ادخلا.

قدمني سيرجيو، فقال هاري:

- لقد رأيته من قبل.

تمكنت من عدم الإشاحة بنظري. هل قصد أنه تذكر رؤيتي في حدث مدرسي أو عند إعادة صوفيا بالسيارة من دون أن أراه؟ أم أنه تذكرني في ذلك اليوم في المصعد؟

أومات، واحترق وجهي.

- في المكتب. قال.

قادنا إلى الأريكة الرمادية الأنيقة فكنت على دراية تامة أنني جالسة في وهج الشمس، وأن الضوء الساطع لا بد أنه سينبرز كل خط في وجهي. التفت عيوننا فرأيت أن في عينيه بقعاً خضراء.

- سعيد جداً بمقابلتك أخيراً يا فاي، وأتطلع بشوق إلى تعاوننا.

لم أستطع أن أصدق أن رجل المصعد هو مديري أو أنه زوج جوليا.

وبينما نهض بالمغادرة لم أستطع منع نفسي من النظر إلى الصور في مكتب هاري، فخيل إلي أن عيني جوليا تطارداني وهي تقف في الإطار الفضي الأملس بثوبها الأبيض، وشعرها الأشقر وابتسامتها المشرقة. كانت ابتهاها في صورة أخرى تقفان إلى جوار هاري وقد طوقته بأذرعهن.

لم يكن هاري يعلم أنني كنت أرى ابنتيه في نهاية المدرسة، ولا أنني أرسل بالبريد الإلكتروني رسائل إلى زوجته حول لجنة المزاد الخيري خلال ساعة الغداء. نظرت بعيداً وقد جف فمي فجأة بينما واصل سيرجيو التحدث مخبراً هاري كيف فزت بصفقة أوميرسكي.

- لطالما عرفت أن روسية فاي ستكون لنا جسراً. مؤسف أنها كانت تخبئ نفسها في ...

فقاطعته قبل أن يتمكن من قول «ويمبلدون».

- سيرجيو، أنت تخرجني الآن؛ لكنني أشكرك. قلت.

أردت أن أغادر قبل أن يقول سيرجيو أي شيء عن أطفالي أو إقامتي في القرية، ولكنه حين تحدث حرف المحادثة في اتجاه آخر، وقال:

- كانت فاي في أكسفورد أيضاً.

فسألني هاري عن الكلية، في أي عام درست وما الذي درسته، وبسرعة كبيرة ذكرنا مساكن الجامعة وعشاء السيدات وحفال الكلية المحبوب المتوفى مؤخراً جزاء السرطان.

- لا أستطيع أن أصدق أنك كنت في (A6) أيضاً! قلت. غريبة جداً هي الحياة أحياناً. أليس كذلك؟

فتبسم، أما أنا ففكرت في هاري الذي جلس على المقاعد ذاتها في وجبة الإفطار، واستخدم المصعد المتداعي الصاخب ذاته.

- فعلاً. رغم أنني غادرت قبلك بثمانى سنوات. ربما كنا جيراناً.

لا أعرف ما إذا كنت قد تخيلت ذلك أم أن كلمة «أو أكثر...» كانت مما قاله هاري. كانت عيناه شبه مغمضتين كما لو كان يمزح معي.

تغاضيت عن جوليا عمداً بينما نحن نتحدث، لكن عيني عادتا إليها مجدداً، فبدت غاضبة. رأني هاري انظر وأحدق في صورة بناته.

- هؤلاء بناتي. أليس أطفال؟

رن هاتف سيرجيو فخرج وتركنا وحدنا؛ فشعرث
أني سأنفجر بينما هاري ينظر إلي. كنت أتساءل ما
إذا كان يفكر أيضاً في يوم المصعد.

- نعم. لي ولدان. اثنا عشر عاماً، وستة أعوام.

- لي فتاتان في سن المراهقة، أمبر وإيلي.

نظرث إلى الصورة التي أمسك بها، وإلى تلك
الوجوه التي رأيثها مرات عدة في المدرسة.

غزثني الرهبة. ربما يجب أن أقول شيئاً ما؟ إن
مرث اللحظة فات الأوان، لكني لم أجرؤ على قول
الحقيقة له. كانت أموري تسير على ما يرام الآن،
وما علي سوى اجتياز فترة الاختبار، وستساهم
هذه الصفقة في حصولي على مكافأة ما. لم أستطع
ترك جوليا تفسد كل شيء، فبات علي الاستمرار في
التظاهر لبضعة أشهر أخرى.

- إنهن فائناتٌ جداً قلت وأنا أنظر إلى الصورة.

- لقد ورثن الجمال عن أمهن، والحمد لله.

وابتسم لصورة جوليا.

وابتسمت لي جوليا بتكليف.

- إنها زوجتي جوليا.

أهي اللحظة التي علي أن أقول فيها شيئاً مثل:
«أوه! هل أنت زوج جوليا؟»

لا. لم أفعل ذلك.

لم يعد هنالك مجال الآن، فإذا ما اكتشف ذلك

اتضح له أنني كذبت عمداً.

- لديك عائلة جميلة. قلت.

وقبل أن يتمكن من طرح أية أسئلة أخرى عن أبنائي وتوم، قلت له: «أتطلع إلى عرض أوميرسكي. أخبرني سيرجيو أننا سنبدأ باجتماع غداً؟

بدا مدهوشاً من تغييري للموضوع، كما لو اعتاد تولي توجيه المحادثات عادةً، فابتسم كالمعجب، وقال:

- نعم. قابلته قبل بضع سنوات. أعتقد أن أمامنا فرصة حقيقية. هنيئاً لك!

- شكراً. أسفة، من الأفضل أن أعود إلى العمل. سررت جداً ببقائك.

ارتفع حاجبا هاري قليلاً كالمتعجب من أنني اخترت ترك الاستماع إلى المدير قبل أن يؤذن لي، لكن الطريقة التي ابتسم بها لي بدت تحمل التقدير.



كنت قد تجاوزت الفترة التجريبية بنجاح، فجرى تمديد وظيفتي لخمسة أشهر مقبلة، فإذا ما بلغت في نهايتها أهدافي حصلت على مكافأة تمكيني بعد ذلك من تعويض القروض المصرفية، وإعادة ترميم معظم صندوق الطوارئ؛ كما أخبرني سيرجيو أنني إن واصلت نجاحاتي فيمكنهم تعييني في وظيفة دائمة.

جلست في مكتبي محاولة الحفاظ على هدوئي ومواصلة العمل كما لو أن شيئاً لم يحدث، لكن فرحتي في داخلي كانت تتدفق كالشمبانيا التي جلبها سيرجيو إلى مكتبنا للاحتفال بالحدث، فعلاوة على الراحة التي وجدتها، شعرت بثقة كنت قد افتقدتها في حياتي لفترة طويلة، وأني أثبت نفسي وجدارتي أمام هذه العقبة على الأقل. كل ما يهمني في (HH) هو أنني أستطيع القيام بعملتي، وهو شعورٌ تذكرته عندما عملت في المدينة من قبل. لم يكن اسمي مهماً، ولا لون بشرتي ولا حتى مظهري. كان الشيء الرئيس في المدينة هو أن من أنتج مالا ضمن انتماء على الأقل في مستواي. أظهر التمديد لي أن عملي الشاق قد أثمر وأني قد قبلت.

أردت أن أرى وجه توم عندما أنقل إليه الخبر. لقد كان ذلك في يوم الجمعة، لذا حرصت على أن يكون

الأطفال في ثياب النوم، وأن أغادر في الساعة الخامسة.

-توم!

بدأت أناديه ومفتاحي لا يزال في الباب الخارجي، ولكني لم أسمع جواباً. كان في الخارج.

بقيت بلا حراكٍ لبرهة قصيرة، ثم تجولت في الممر فاردةً ذراعي. كنا آمنين! لا بد أننا سنعود كما كنا. لن يحتاج توم أبداً إلى معرفة ما فعلته، ولن أكذب عليه مرةً أخرى.

سمعت ضجيجاً في الطابق العلوي. كان توم في المنزل. صعدت إليه.

كان يقف عند نافذة غرفة نومنا ينظر إلى السماء. كانت الغرفة غارقة في الظلام، فبقيت عند المدخل. مسكين توم! إنه وحده في منزل فارغ طوال اليوم. كنت أتطلع إلى ضمه ورؤية ابتسامته، وأعلم أنه سيكون متحمساً بسماع أخباري.

ركضت نحوه، لكنني توقفت عندما رأيت وجهه. عندما نظر إلي، كانت عيناه قاسيتين كصخرتين، وكان وجهه متوتراً، والجلد حول عينيه قاتماً، ويداه متدليتين مستقيمتين على جانبيه؛ فصرخ

- ما الذي فعلته بحق الجحيم؟

كان صوته كصفعة جعلتني أراجع خطوة، أو كصدمة كبيرة جعلتني أدرك ما قاله في أقل من ثانية. وتساءلت مجدداً ما إذا كنت قد سمعت بشكل صحيح.

سلمني ورقةً كان يحملها في قبضته، فقممت
بسرعةٍ بتنعيم تجاعيدها متسائلةً عما يمكن أن
يكون فيها، ثم رأيت شعار البنك فامتلات عيناى
بالدموع.

لقد علم.

- ما معنى هذا؟ قال.

بدت كل كلمةٍ من كلماته تقتلني، فكانت يدي
ترتجف.

- ما معنى هذا؟

كرر سؤاله بدقةٍ كبيرةٍ.

جلست على السرير وقلبي ينبض في صدري
ورأسي وأذني. أردت أن أعتذر له وأطلب صفحه،
وأقول له إنني سأرد له كل قرش؛ لكنني أعلم أن كل
ذلك لم يكن مهماً، وأن لا شيء يمكن أن يبرر ما
قمت به.

- إنني ذهبت إلى البنك، لقد اختفت كل أموالنا.
كان صندوق الطوارئ هو شبكة أماننا وأمان عائلتنا
وأطفالنا.

أمسك بيديه أعلى ذراعي وسحبني بوجه
ممتقعٍ كمن يصارع المأجسدياً. كنت أنا من فعل
هذا. عندما تحدث مرةً أخرى بدا في حالة ذهول،
فغطيت وجهي بيدي.

- تلقيت مكالمةً آليةً تخبرني أن الحساب لا يحتوي
على أموال كافيةٍ لصندوق الإيداع الآمن، فحسبت
أنه خطأ أو ضربٌ من الاحتيال، لكن البنك أخبرني

أنه لم يكن احتيالا. أعطوني رصيد شهر أبريل فإذا
بسحب مفرط مقداره سبعمائة جنيه. كان في ذلك
الحساب خمسة وسبعون ألف جنيه يا فايضة، وأنت
لم تضعي في الحساب الجاري سوى عشرة آلاف،
فأين الباقي؟

لم أستطع قول أي شيء.

- وأخبروني أنه تم حذف اسمي من الحساب،
وأنت الوحيدة القادرة على إدارته، فقلت لهم إنه
لا بد من وجود خطأ ما فهو حساب مشترك، لكنها
أظهرت لي أنموذجاً قالت إنني وقعت عليه لإزالة
اسمي بينما أنا لم أوقع على أي شيء من هذا
القبيل.

لم تبق لدي القوة على القتال، فأردت أن أخبره
بكل شيء. أردت أن أعترف. ربما كان هذا ما يشعر
به المجرمون عندما يقرّون بالذنب بعد أن أمضوا
شهوراً يزعمون البراءة. كانت ذراعي واهنة، وشعرث
فجأة بإعياء شديد. إلى متى يمكنني الاستمرار في
التظاهر؟ استسلمت للقدر وبدأت في البكاء بهدوء.

- انظري إلي! ماذا فعلت بأموالنا؟ كيف تم حذف
اسمي من الحساب؟

دنا مني ووقف فوقني حينما جثمت على حافة
السريّر. كان تنفسي يتسارع ويثقل كما لو أنني كنت
أركض.

كان علي أن أخبره.

- حسن. أنا أسفة. أنا من وقعت باسمك نيابةً عنك،
وأزلتك من الحساب، لكن ...

ملا غضبه الغرفة، فكان علي أن أقول شيئاً؛ أي شيء.

- عندما كنت في الأرجنتين، أخبرني البنك عن سند استثماري رائع لم يكن متاحاً لأكثر من بضعة أيام؛ ولكن تحويل الأموال احتاج إلى توقيع كلينا لأن حساب الطوارئ كان حساباً مشتركاً، فوقعت على النموذج نيابةً عنك لإزالة اسمك، وبهذا بات توقيعني التوقيع الوحيد المطلوب بحيث يمكنني شراء السند. لقد كانت صفقة جيدة لم أرغب في تفويتها. كل ما هنالك أنني نسيث إعادتك إلى الحساب لاحقاً.

لم أكن أعرف ما إذا كان أي من هذا منطقياً؛ فقد فقدت السيطرة على أكاذيبي وحياتي.

- هل قمت بتزوير توقيعني؟ فائزة؛ هذا احتيال. لا أصدق أنك تفعلين شيئاً كهذا.

تحدث كما لو كان مذهولاً، ونظر إلي كما لو أنه ما عاد يعرفني.

- أنا جُدُ أسفةً، قلث وأنا لا أزال أبكي، ثم اقترب منه. أعلم أنه ما كان ينبغي لي أن أفعل ذلك يا توم، لكنني كنت أحاول المساعدة فقط.

- هذا ليس عذراً! لقد وثقت بك، لكنك زورت توقيعني كمجربة. أين كل أموالنا؟ أخبريني الحقيقة! هذا كل ما لدينا. لقد كذبت علي. أليس كذلك؟ ذهب كل شيء؟ تكلمي!

-توم، من فضلك ...

-أخبريني ماذا فعلت بالمال وإلا رحلت الآن من دون عودة!

لم يهدد توم عبثاً. جمدت بينما توجه هو نحو الباب. لا أستطيع خسارته، وخاصةً الآن بعدما بات كل شيء على ما يرام، ولذا ركضت خلفه أسدً طريقه.

-أنا لم أفعل أي شيء! هل أكذب عليك من أجل شيء كهذا؟

- فلماذا حسابنا فارغٌ إذن؟ سمعتُ في صوته تردداً كأنما أراد أن يكون مخطئاً. أين ذهب أموالنا كلها؟

دارت عجلةٌ عقلي بسرعة. هو لم يطلع على الفواتير، وبهذا لا فكرة لديه عما حدث. غمرني الأدرينالين.

- لا أصدق أنك تقول مثل هذا الكلام لي أنا. قلت وأنا أصدق فيه كالمتهمة. إن كان عليّ أن أمضي فيما بدأت فينبغي أن أصدق أكاذيبي.

وبدأت أتحدث غير متأكدة مما سأقوله، حتى سمعت الكلمات بنفسي.



- لقد تركتها في مكتب البريد.

تذكرت محادثة مع سام قبل بضع سنوات.

- ماذا؟

نظر إلي وكأنني قد أصبت بالجنون.

- آيسلندا. لقد قممت بتحويل الأموال إلى مكتب البريد بعد ما حدث في آيسلندا خلال الانهيار الأخير. ألا تذكر أن «جول» و «ديفيد» فقدوا الملايين؟ قامت سام وجيمس بتحويل أموالهما إلى مكتب البريد لهذا السبب، وأخبرتني أن الحكومة تضمن ١٠٠٪ من مدخراتك، أما إذا انهار البنك، فستستغرق استعادة أموالك سنوات.

لم يسحب يده بعيداً عندما أمسكت بها. أراد أن يصدقني، وكلما أراد أن يثق بي شعرت بالسوء للكذبة بعد الكذبة، لكن الأمر يجري إلى الأفضل حقاً؛ فعندما أحصل على مكافأتي سأعيد ترتيب كل شيء. لم يكن في حاجة لمعرفة ما فعلته قط؛ فما الذي سيكسبه من معرفة ذلك بكل الأحوال؟

- كدت أصاب بنوبة قلبية عندما رأيت الرصيد.

- أنا أسفة يا توم. كان علي أن أخبرك.

ضممته فتنهده، وتعانقنا معاً ممتئين لمرور العاصفة.
لم يسعني إلا البكاء من الراحة في هذه المرة.
سأضع الأمور في نصابها، ولن أرتكب هذا الخطأ
ثانيةً.

نظرث إليه وقلث:

- خمن ماذا؟ لقد تجاوزت فترة الاختبار!

- أحسنت! لطالما عرفت أنك ستفعلينها.

فحملني وأرجحني بشكل دائري.

نزلنا إلى الطابق السفلي وذراغه ما زالت حولي،
ونحن نناقش الذهاب لتناول العشاء احتفاءً
بالمناسبة.

- عزيزتي، أرجو منك إعادة تحويل كل الأموال من
مكتب البريد إلى الحساب الجاري.

توقفت وأمسكت بالدرابزين.

- لم علينا أن نمش هذه الأموال ولدينا الآن راتبي؟

- عزيزتي، راتبك لن يغطي كل شيء. نحتاج إلى
أموال في حسابنا الجاري كحاجتنا إلى نقد بين
أيدينا. ليس هنالك بنك ينهار، صدقيني.

دخلت المطبخ وشغلت الغلاية، ورحت أبحث عن
كوپ ففتشت الخزانة بأكملها قبل أن أخرجها، ثم
قلث:

- لكن الأموال عالقة في السندات. لا يمكنني نقلها
بين عشية وضحاها.

- حسن. خمسة وعشرون ألفاً إذن. لا بد من أن نصلح السقف قبل الشتاء، كما أن المرجل بحاجة للاستبدال. أتذكرين؟ وبعد ذلك ستكون الرسوم الدراسية مستحقة الدفع في بداية العام الدراسي القادم. فلنبداً بأول شيء غداً، مكتب البريد يُفتح يوم السبت، حينها تتمكن من إضافة اسمي إلى الحساب وأستطيع التعامل مع الأمر بنفسي.

أخبرته أن التعب يمنعني من الخروج لتناول العشاء، ولذا اشترينا البيتزا وتناولناها في أثناء مشاهدة كازابلانكا. في النهاية، لم أستطع إلا أن أبكي وأبكي حتى ذهبنا إلى الفراش.

كان يتوقع أن يرى خمسة وستين ألف جنيه صباح الغد في حساب غير موجود بمكتب البريد.

وحيثما نام توم، تسلفت إلى الطابق السفلي، فجلست على الأريكة ملتفة بملاءة. لقد جعلت الوضع أسوأ. كان الأجدر أن أعترف بالحقيقة، لكنني قمت بدلاً من ذلك ببناء عالم جديد من الأكاذيب.

نمت وشعرث أنني أسقط؛ أسقط من السماء بسرعة فأشرف على الموت، لكن رعشة أيقظتني في الوقت المناسب. عندما بدأت الطيور جدالاتها الصباحية، وضعت رأسي بين يدي وحاولت خنق فكرة ما، لكن صوتها كان يعلو ويعلو بشكل أكثر إلحاحاً. لم أجد مخرجاً آخر حتى لو جعلتني الفكرة أشعر أنني ارتكبت أسوأ جريمة.

وضعت يدي على كتف توم النائم واتخذت قراراً.

كان علي أن أخذ المال من أمي وأبي، وتذكرت

غضبي من فرح لأخذها أموالهما، لكني سأفعل
الشيء نفسه.

لإنقاذ زواجي، كان عليّ خيانة والدي.



استخدمت مفاتيحي للدخول إلى شقة أمي وأبي
وذهبت إلى المطبخ مباشرة، وأنا أمسك بمظلة
مبللة وكيسين من البقالة، فرأيت في غرفة المعيشة
المشهد الذي كنت أتوقع رؤيته يرحب بي في
العاشرة صباحاً، أو في أي وقت من اليوم.

كانت أمي على كرسيها تضع سماعات الرأس
وتشاهد على التلفاز مسرحية باكستانية من بين
العديد من المسرحيات التي كانت تشاهدها في
الأوقات جميعها، فكانت مستاءة من مشاهدة
المكائد المعتادة للمرأة وزوجة ابنها الظاهرتين
على الشاشة. كانت ترتدي اللباس التقليدي الزهري
المكوي حديثاً، وتضع أقراطاً فيروزية صغيرة
تناسب معه.

كانت الغرفة هادئة، فسماعات الرأس تسكب صوت
التلفاز في أذني أمي مباشرة، أما أبي فكان يقرأ
صحيفة إنترناشيونال هيرالد تريبيون. ربما كانت
لجارهما في الشقة المجاورة، وهو مصرفي من جيل
الألفية، أو كان اشتراكاً في صحيفة غير مستخدمة،
وما يزال يحتفظ بها لأبي. كان حليق الشعر، ويرتدي
زيه الرسمي وقميصاً أزرق وأبيض وسروالاً أزرق
داكناً.

كانا كلاهما ينتعل نعال الفرو التي اشترىتهما

العام الماضي.

- السلام عليكم.

قبلتهما كليهما، وقلت:

- لقد أحضرت لكما منتجات التنظيف التي طلبتماها مني. هل أعدّ الشاي لكما؟

في طريقي إلى المطبخ، جثوث على ركبتني ومسحت الماء عن مظلتي في الردهة بمنديل. في تلك الأيام، وجدت نفسي أقوم بعملية «رعاية المسنين» في شقتي كحالي مع «رعاية الأطفال» في منزلي منذ سنوات، من مراقبة حواف سجاد غير مستوية يمكن أن يتعثروا بها، أو زاوية مفرش سرير متدلّ كثيراً على السجادة. لقد باتا من الضعف الآن كما لو أن كل شيء يمثل تهديداً.

رحت في انتظار غليان الماء أتدرب على ما سأقوله. اهتزت الأكواب وأنا أحمل الصينية بيدي المتعرجتين.

طلب مني أبي بعض بطاقات عملي فأعطيته بعضها، فأخذ نفساً عميقاً حين نظر فيها، وضاعت عيناه خلف نظارته، ثم ابتسم وأوماً برأسه.

- جيد جداً يا ابنتي. مسؤول استثمارات العملاء. جيد جداً. أنا فخور بك.

- أنت فخور بي مهما حدث يا أبي؛ فقد كنت فخوراً بي عندما قررت البقاء في المنزل مع الأطفال، وها أنت فخور بي الآن والحال هذه.

- صدقت. وكيف لا أكون فخوراً بك وأنت فتاة

وضعت أُمي بطاقتي في دفتر هاتفها الأسود الصغير، وقالت:

- ما شاء الله! سأُتصل بجميع أصدقائي وأخواتي وأبناء عمومتي لأخبرهم عن وظيفتك الجديدة.

ناقشنا مواعيدهما في المستشفى وأخبار أصدقائهما، وبعد أن سألاني عن العمل والأطفال، عادا إلى أنشطتهما، فأنحيت فوق هاتفِي، وتظاهرتُ بتفقد رسائلي الإلكترونية، فكان تصميمي يضعف لحظةً بعد لحظة. وعندما فكرتُ في طلب المال منهما شعرتُ أن قصبتي الهوائية تنتفخ وتتقلص كما لو أنها ستنصهر.

ماذا سأقول على أية حال؟ لن أستطيع إخبارهما بما فعلته، وفضلاً عن العار الذي أشعر به، كان عليّ أن أفكر في عارهما؛ فهما سيتبادلان اللوم ويتحدثان في الأمر لأشهر، بل لسنوات، وسيتساءلان عما ارتكباه من أخطاء، وهذا النوع من الصدمة والقلق هو الأسوأ على صحة أبي، وقد يقتله.

كانت في ذهني براعِم فكرة تنمو الليل بطوله، وكانت معقولةً بما فيه الكفاية لأنهما سيصدقان أي شيء أقوله لهما. كان حرياً بذلك أن يطمئنني، لكنه جعلني أرغب في البكاء.

لم أكن أعرف ما عليّ القيام به.

كان رأسي ينبض. إن أخبرتُ توم بالحقيقة خسرته وتفككت عائلتي، وإن كذبتُ على والدي خنثهما؛

وإن قلت لهما الحقيقة جزعا أو مرضا.

فقلت لنفسي إنني لن أكذب إلا لحمايتهما. سأسدد لهما من مكافأتي. كانت مدخراتهما هي صندوق طوارئهما وكل ما لديهما، فلطالما كانا مستقلان الحافلة بدلاً من سيارة الأجرة حتى حين المطر؛ وكانا يتسوقان من محلات السوبر ماركت الرخيصة، ولا يشعلان التدفئة أو الضوء إلا في غرفة واحدة يجلسان فيها اليوم بطوله، ولبضع ساعات فقط.

لم أستطع فعل ذلك.

تناولت حقيبتني وهممت بالمغادرة مستميتة إذ لم تكن لدي أية فكرة عما سيحدث بعد ذلك. ظللت أتخيل رد فعل توم عندما يدرك الأكاذيب التي راكمها عليه. كيف سيتعامل أطفالي مع تداعيات ذلك؟ وماذا عن أحمد؟

عانقت والدي مودعة. لو علما أنه كان بإمكانهما فعل شيء لإنقاذنا وإنقاذ عائلتي لما ترددنا.

لم أر أي مخرج آخر، فقلت:

- كدت أنسى. أردت أن أطلب منكما خدمة من فضلكما.

قبضت على مجموعة المفاتيح في يدي فحفرث حوافها الخشنة جلدي، وما دمت قد شرعت بالحديث فلن تكون هنالك عودة.

أنزل أبي الصحيفة ونظر إلي من أعلاها، وخلعت أمي سماعات أذنيها، فابتسمت بهدوء.

- لقد طورث مدارس الأطفال صيغة جديدة

مفاذها أننا إذا دفعنا الرسوم الدراسية للعام بأكمله مقدماً حصلنا على خصم بمقدار ٣٠٪، وهذا يوفر علينا ما يقرب من سبعة آلاف جنيه.

كان قلبي ينبض مع كل كلمة أقولها، فتشبث بإطار الباب.

بدا أبي قلقاً، وأدركت أنني عابسة، فقال لي:

- هل أنت في ورطة لأن توم لا يعمل؟ هل تريد مني مساعدتك؟ قولي لي يا أميرتي.

كان صوته خشناً، وهو يراقب وجهي كالمنتظر ردي بفارغ الصبر. انجرفت عيناى بشكل غريزي نحو سلة أدوية أمي فرايت فيها رذاذ أبي الأصفر الناجم عن الذبحة الصدرية.

-أبداً. لقد خصصنا المال لتغطية النفقات. أنت تعرف مدى تنظيم توم، لكن المشكلة هنا، فمعظم أموالنا مقيدة في الاستثمارات، وقد خطط لتسديدها خلال هذا العام مقابل رسوم على مراحل مختلفة. لا نحتاج سوى بضعة آلاف من الجنيهات للدفع المسبق لهذا البرنامج. لقد قال لي أن أنسى الأمر، لكنني أعتقد أنها فرصة جيدة جداً.

-أعتقد أنها فكرة جيدة جداً. قال أبي.

-ولذا رأيت أنني ربما أستطيع اقترض بعضه منكم إن كان ذلك ممكناً طبعاً. هناك سندات مستحقة الدفع في غضون خمسة أشهر، ويمكنني أن أسدد لكما منها حينها، فإن قمث بتوفير سبعة آلاف كان لنا تقسيم المال. جزء مني أراد أن يقولوا «لا» فلا أضطر إلى اختلاس المال من شخصين

مسنين، لكن جزءاً آخر مني أراد أن يفتح دفتر شيكاتها.

- كم تحتاجين؟ قالت أُمي.

- خمسة عشر ألفاً ... لكنها لخمسَ أشهرٍ فقط.

كانت فرح قد أخبرتني أن ما تبقى لديهما يبلغ سبعة عشر ألف جنيه.

- لكن لا تخبرا توم بذلك من فضلكما، فهو يكره أن أطلب منكما المساعدة.

كان نجاح خطتي يعتمد على نيلي مكافأتي، ولكنني في طريقي الصحيح نحو ذلك.

ابتسم أبي وهو يعطيني شيكاً.

- أميرتي، لأجل هذا وجد الآباء. نحن سعيدان لمساعدتك في كل ما يستلزمه تعليم أحفادنا الرائعين!

في سيارتي، هزّت التنهدات جسدي. إن اكتشاف والداي ما قمث به للتو فإن قلبيهما سينفطران، ولن يعود شيء إلى سابق عهده مرةً أخرى.



كنت في غرفة المعيشة أقرأ مقالاً باللغة الإنكليزية
أرادت صوفيا مني التحقق منه قبل أن تسلمه، وكان
الوقت قد تجاوز منتصف الليل لكنني علمت أنني لن
أحظى بفرصة لقراءته في العمل. على أية حال، كان
التعب الشديد يمنعني من النوم.

لقد تأكدت من أننا بين مباريات كرة القدم
والحفلات ومهمات والدي الطارئة لن نتمكن من
الوصول إلى ما يسمى بحساب مكتب البريد لإضافة
اسم توم إليه، فأودعت شيك أبي في حساب
طوارئنا، ثم حولت الأموال إلى حسابنا الجاري، ولذا
لن يتمكن توم من تعقبه. كنت على وشك الانتهاء،
فلم أستطع تحمل تضييع الوقت.

رغم كذبي على والدي، إلا أنني شعرت بالارتياح
إذ وفرت الوقت. لم يكن لي أن أترك زواجنا ينهار
بسبب هذا الخطأ. التقطت صورة زفافنا على
الطاولة الجانبية فكانت النسخ المبكرة منا تحقق
في. كنا منذ ذلك الحين سعداء معاً في كل الأيام،
بما فيها الأيام الحزينة، ومع ذلك، لم يكن الوصول
إلى يوم زفافنا أمراً سهلاً، فقد كان هنالك الكثير من
الاعتراض.

عاش والدا توم، فيكتوريا وجيسون، في جيلفورد،
في المنزل الذي نشأ فيه توم وشقيقه بيتر. جرى

أول لقاء لي بهم في أثناء حفل شواء في الحديقة المصونة بفخر خلف شرفة منزلهم، كما دعوا جيرانهم إليها «لأنهم كالعائلة».

عرضت علي فيكتوريا شرب الكولا هامسة: «أعلم أنك لا تشربين الكحول»، كما لو أنها كانت تتعاطف مع بلاء حل بي، أو تذكر حقيقة تخرجني فلا يمكن التحدث عنها علانية. التفتت عني حين صاح جارتها ديف، «أين النقانق يا فيكي؟ لا يزال أمامك النقانق.»

تردد صدى صوت توم في الحديقة إذ أجاب قبل والدته.

- فائزة لا تأكل لحم الخنزير، ولذا قررنا عدم تناول النقانق اليوم. سأحضر لك البرغر.

ومشى نحو الشواية حيث يقف والده بصمت، ووجهه أكثر حمرة مما كان عليه عندما قابلته قبل ساعة. صمت الجميع برهة قصيرة، لكن زوجة ديف تمتثل حين غادر توم وهو يكلم نفسه، وبذا فقد كان خطابها للجميع إذ قالت: «حسنٌ. أما نحن فما زلنا نأكل النقانق، فلم علينا أن نُحرم منها؟»

همست لتوم أنني لا أمانع في أن يتناول والداه وأصدقائهما قائمة الشواء المعتادة، ولكن الجميع في تلك المرحلة رأوا في شخصاً يحرم الناس من حريتهم في تناول النقانق. لم يكن خطأ توم، فأنا أعلم أن راحتي هي مقصده.

وقد فعلت الشيء نفسه عندما جاء لتناول العشاء في منزلنا لأول مرة إذ طلبت من أمي إعداد أطباق سهلة الأكل خفيفة التوابل، كما حذرث فرح من

الضحك إن استخدم توم السكين والشوكة لكل
سيخ كباب، هذا فضلاً عن تعليمات صارمة تلقتها
عائلتي بعدم التحدث باللغة الأردية خلال المساء
كله رغم أن أبي وبخني قائلاً متفاجئاً:

- لن نكون بهذه الوقاحة.

اجتمع أهلي وأهل توم مرة واحدة فقط قبل
زفافنا، فقررنا تناول شاي آخر النهار في مقهى في
إيشر، وهي منقطة رمزية وسطية بيننا من حيث
الجغرافيا والطعام. الجميع يحب احتساء كوب من
الشاي.

لم يعرب أي من الطرفين عن رغبته في الاجتماع
ثانية، وهذا ما أراحني إذ لم أكن أستطيع تحمل
جرعة مضاعفة من التحذيرات التي كان يكيلونها
لي ولتوم كأنما هي إنذارات يومية بكارثة يؤكدتها
الطب النفسي. إذ كان أبأنا يخشون أن تقع فيها
إن تزوجنا نتيجة الاختلافات الهائلة بين ثقافتينا
وتربيتينا، فإن المفارقة العجيبة كانت تطابق
تحذيرات فيكتوريا وجيسون مع تحذيرات أمي
وأبي.

«هؤلاء الناس ليسوا مثلنا.»

«هذا النوع من الزواج لا ينجح أبداً.»

«ماذا سيقول الناس؟»

كان الاجتماع قصيراً وممتعاً، وأحسن الآباء
الأربعة التصرف كما لو كانوا أطفالنا الحريصين على
عدم تخيب أملنا.

في أثناء محاولتنا طمأنة أهلنا، قضيت أنا وتوم مزيداً من الوقت معهم في وقتٍ لاحقٍ؛ وحاولت أن أعتبر هذا الأمر علاجاً لرهابي كحال من يخشى العناكب فيزيد من اقترابه منها حتى يتوقف عن الذعر عند رؤيتها.

اعتقدت دائماً أنني وتوم كنا العناكب في هذا السيناريو، لكنني كنت أتساءل أحياناً ما إذا كان حموي يخيفانني بمقدار انزعاجهما مني.

وافقت أمي وأبي بأسرع مما توقعته، وربما كان ذلك لأنهما ذائهما تزوجا رغماً عن إرادة والدي أمي، أو لعلهما أجريا العديد من التعديلات في حياتهما كالتكيف مع بلدٍ جديد، وطعامٍ جديد، ولغةٍ جديدة، وعالمٍ جديدٍ تماماً، ثم إنهما لم يتمكنوا من مقاومة توم حينما تعرفوا إليه.

لقد اصطحبهما لزيارة شقته في فولهام، ليريحهما المكان الذي هياه لي، من خزانة الملابس الجديدة إلى الرفوف فالحدران التي طلاها باللون الكريمي لعلمه أنها ستعجبني، والنباتات المزروعة في «الأصص» المنتشرة في كل مكان، تماماً كحال غرفتي في منزلي. كان أبي مسروراً حينما رأى في المطبخ رفّاً طويلاً به صفٌّ من مجلدات وضع فيها توم فواتير الكهرباء وأوراق التأمين وكشوف الحسابات البنكية جميعها في نظام مشابه بشكل مخيف لنظام أبي، والذي سخرت منه أمام توم بينما استحوذ على إعجاب أبي.

لقد أقنعناهما ببطء أن توم رغم شعره الأشقر وعينيهِ الزرقاوين، إلا أنه يستوفي جميع المعايير الواردة في قائمة رغباتهما لزوجي؛ فقال أبي:

- إنه شاب طيب.

وتم الأمر.

تعني موافقة والدي أن اعتراضات باقي الأسرة قد اختفت أيضاً، على الأقل أمامنا. أما العمات فتحدثن بدلاً من ذلك عن وظيفة توم وراتبه اللذين لا بد أنهما جيدان جداً، حتى استطاع أن يشتري شقته تلك، كما استحسن أنه درس في كلية لندن للاقتصاد، وأنه وسيم جداً، وكُنْ متحمسات أن سيكون لدينا أطفال وسيمون أيضاً.

كان والدا توم هما من واجه صعوبة في تقبل الأمر رغم محاولتهما إخفاء ذلك.

قبل الزفاف مباشرة، أقام والدا توم في يوليو مأدبة غداء لفرع من عائلتهما، وكُنْتُ أرتمي فستاناً زهرياً ظننته إنكليزياً، مع حذاء ذي كعب قصير من الباستيل. كان الجميع متحمساً لحفل الزفاف، وشعرْتُ أن أشهر التوتر قد تبددت أخيراً. أثنت والدته على جمالي وقالت مبتسمة:

- لا عجب من أن يقع توم في حبك.

فابتسمت بدوري ممتنة أنها غيرت رأيها أخيراً؛ فقالت:

- أسفةً لأنني كنت مترددة قليلاً في البداية، لكنه كما تعلمين لم يواعد أحداً مثلك قط. لطالما كان يفضل الشقراوات، أما «السمراوات» فلم يواعد منهن قط إلاك، ولذا كنت متعجبة جداً من الأمر؛ وها أنا أقدم اعتذاري إذ لم أكن متأكدة أن الأمر جاء، لكنني أرى الآن مدى حبك له، فمرحباً بك في

وعانقتني سريعاً ثم ابتعدت.

ما كنت أنتظره منذ شهرٍ في أن تتقبلني وتدرك أن توم يحبني، جرفته موجة من القلق، إذ اتضح لي بما لا يدع مكاناً للشك أن توم يفضل الشقراوات.

لكن والديه على الأقل قد أعطيا موافقتهما رغم ذلك.

استأنفت قراءة مقال صوفيا. كان عليّ أن أعيد تدوير عجلة الحياة فقد تغلبنا على الكثير من الصعاب لنكون معاً، ولن أسمح أن تُدمر عائلتي الآن.



كنت في كل يوم أصل المكتب في الساعة قبل أي شخص آخر، فلا أزال أوصل محاولة اللحاق بالركب، والتعرف إلى منتجات أني الحاليين وعملاتها، إضافة إلى بناء محفظتي الخاصة، وأنا الآن أفكر في والدي في كل مرة أجري فيها مكالمة أو أعد مستنداً إذ كنت مضطرة إلى إعادة أموال والدي بسرعة وأمان.

كانت أهداف مبيعاتي الجديدة فظيعة رغم أن سيرجيو وصفها بأنها «طموحة»؛ كما كنت أستعد لعرض مهم سيقام في أمستردام، والفريق بأكمله يتنافس عليه، فإن فزت بهذا العقد كنت في طريقي لنيل المكافأة.

بدأت في مغادرة المنزل قبل أن يستيقظ الأطفال، وحتى قبل أن يستيقظ توم في بعض الأحيان، وذلك أني رحت أستخدم هذا الوقت الإضافي للتغلب على أي عضو آخر في فريقتي.

وذات صباح، وبينما كنت أظن أني في المكتب وحدي، شتمت شاشة الحاسب محبطة عاجزة عن فهم أنموذج الاستثمار رغم ساعات من تحديقي فيه فقلت:

- اللعنة عليك أيها الأحمق اللعين المجنون القاصر

سمعت ورائي ضحكاً، فاستدرث ووجهي يحترق،
فإذا به هاري، فقلت:

- «أوه تبا! اللعنة!» قبل أن أتمكن من إغلاق فمي
بيدي، ثم بدأت أضحك.

- وصباح الخير لك أيضاً! لا تقلقي يا فاي، هذه
الوظيفة ستجعل أي شخص يشتم. اسمحي لي الآن
أن أشرح لك الأمر. قال هاري: شخص ما ساعدني
في أول مرة قممت فيها بذلك أيضاً.

ثم قادني إلى مكتبه، وأصر على أننا نحتاج أولاً
وقبل كل شيء إلى فنجان قهوة جيد أعده لي
باستخدام آلة سوداء معقدة بالكثير من الأزرار
الصغيرة.

منذ أن عرف أننا ارتدنا الكلية ذاتها، أخذني تحت
جناحيه نوعاً ما، وقال:

- إنه واجبي كزميل سابق.

وعجبت كيف انسجمنا جداً، فزال انزعاجي الذي
شعرت به في المصعد، أدركت أنه كان ببساطة
يغازلني في ذلك اليوم كعادة الرجال بدافع غريزة
فطرية كالابتسام أو المصافحة، وما إن علم أنني
متزوجة وأناي كنت زميلة له في الكلية حتى اختفى
كل ذلك، لم يعد هنالك أدنى تلميح من ذلك النوع.

كنت ممتنة له على مساعدته، إذ إنه باستثناء
إيفان، لم يضع أحد وقته على تعليمي، وفي نهاية
اليوم كنت ما أزال أنا وإيفان نتنافس على أرقام

اتضح أن هاري كان معتاداً على القدوم مبكراً جداً، فأصبحت قهوة الصباح طقسنا اليومي، وكنت ممتنة لهذا البرنامج التعليمي اليومي. تولى صنع القهوة لكلينا بينما كنت أجلب التفاح أو الخوخ أو الكرواسون الطازج من المقهى في الطابق السفلي عند وصولي، ثم يرشدني بخصوص العروض التي أعدها متحدياً أفكاراً في بعض الأحيان، ومشاركاً إياي أفكاره أحياناً أخرى.

كنت غالباً ما أتساءل كيف لمثله أن يتزوج بامرأة كجوليا. لقد كنت أستمتع بتخيل سخطها إن علمت أنني أحتسي القهوة مع زوجها كل صباح، وقد سمحت لنفسي بهذه المتعة الصغيرة لعلّي أسبقها «بخطوة» على الأقل، وشعرت أنني أستحق ذلك بعد كل التعليقات المهينة التي وجهتها إلي.

كان جميع أعضاء فريقنا الآخرين يمكنهم في المكتب حتى التاسعة أو العاشرة، ويتناولون العشاء في مكاتبهم، فلم أرغب في أن أكون المغادر الوحيد، كما كان عليّ أن أبقى بارزة مشاركة حتى إذا ما أن أوان المكافأة كنت «قريبة» و «مساهمة».

لم أكن أرى الأطفال كثيراً، لكنني بقيت على تماس معهم بالاتصال بهم عند النوم ومراسلتهم كثيراً حتى كانوا يطلبون مني التوقف عن ذلك.

كان توم رائعاً إذ كان يرسل لي صوراً لتناولهم العشاء، أو لواجباتهم المنزلية بدرجات جيدة، ونصوص مشجعة، كما كان يزودني بأخبارهم اليومية، كسؤال اليكس أسئلة حول «تغير المناخ»،

ولعب أحمد البلايستيشن عبر الإنترنت مع أصدقائه، وأن توم سمعه يضحك في غرفته، وهو ما طمأننا أن شفاءه مستمر، كما أخبرني أنه وصوفيا كانا يشاهدان برنامج «بوينتليس» معاً، وأنها تسمح له بتصفح حسابها «الخاص» على إنستغرام.

«كل شيء على ما يرام. لا تقلقي.»

وهذا بالضبط ما كنت أفعله مع توم حين كان يتأخر في العمل.

عندما كنت أعود إلى المنزل، كان يغلق باب الطابق السفلي بينما أذهب إلى الفراش، ثم يلفني بالغطاء، ويقول بابتسامة:

- يوم آخر هو جنية آخر.

وهذا ما كان يقوله لي عندما يكون في رحلة عمل فأسأله كيف كان يومه.

لقد انقلبت حياتنا وتبادلنا الأدوار.

سألني توم مرات عدة متى يمكننا الذهاب إلى مكتب البريد لإضافة اسمه، لكنني تمكنت من المراوغة بقولي:

- طبعاً يا عزيزي. اسمح لي فقط أن أنهي هذه الصفقة.

لكنني لن أستطيع تصبيره إلى الأبد.



أصبحت مهووسةً بعملتي الذي امتد فغطى أمسياتي وعطلات نهاية الأسبوع؛ وكل هذا في سبيل الحصول على المكافأة.

وذات صباح؛ لاحظت أن صوفيا كانت هادئة للغاية. حينها رأيتهما لفترة وجيزة فقط وقد وضعت سماعات في أذنيها، وذلك مؤشر واضح على أنها لا تريد الدخول في محادثة، وشعرث بعدم الارتياح طوال اليوم رغم أن توم أخبرني أنها بخير. ربما كانت المشكلة في بُعدي عن المنزل، لا في صوفيا، لكنني قررت مغادرة العمل في وقت مبكر متمنية ألا ينظر إلى غيابي عن عشاء ديليفيرو اليومي في المكتب على أنه نقطة سوداء.

كنت أحاول أن أجد الوقت للنظر في خياراتها الجامعية، فاعتنمت هذا الأمر ذريعةً لدخول غرفتها، فأفسحت لي المجال على سريرها، واستلقيت إلى جوارها نشاهد الدورات الجامعية على حاسبها.

- إلى جانب أكسفورد، أريد أن أختار جامعات بها مزيخ دولي جيد. أعني الأماكن التي ليست «بيضاء» جداً.

تجهمت وقلت:

- ماذا تعنين بكلامك؟

- تحدثنا مع بعض الخريجين فكان فيهم فتاة لأبوين باكستانيين ذهبت إلى جامعة كل من فيها من البيض تقريباً، فقالت إن عليها الانتقال إلى مكان أكثر تنوعاً، وأعتقد أنها على حق.

- حسناً، ولكن لماذا أنت مهتمة بالأمر؟ معظم زملائك في الفصل من البيض، وأنت نصف بيضاء. ما أعنيه هو أنني أفهم أنها قد تكون ضحية للعنصرية لأن والديها باكستانيان، فهذا شائع جداً للأسف؛ لكنني متأكدة من أنك لا تواجهين المشكلة ذاتها.

نظرت صوفيا إلي، ثم نظرت بعيداً كأنما كانت تريد أن تقول شيئاً لكنها مترددة.

- ماذا؟ قلت.

فهزت كتفيها، وقالت:

- إنها مشكلة يا أمي. صحيح أنني إنكليزية، لكن نصفى باكستاني، وكل جيناتي مختلطة ولا أحد يفهم ماهية هذا. يمكن أن يكون الناس لئيمين.

وضعت يدي فوق يديها وضغطت عليهما. لم نتحدث صوفيا عن مثل هذه الأشياء من قبل. كنت أعلم أن الأمر لم يكن سهلاً دائماً، لكن الأمور اليوم مختلفة عما كانت عليه في شبابي. كما أن أطفالنا إذا كانوا باكستانيين وإنكليزيين، فإن إرثهم المختلط سيمنحهم في اعتقادي قبولاً أكثر مني. وقع الحادث في مدرسة أحمد القديمة، لكنني اعتقدت أن المتنمرين سيختارونه من دون سواه بسبب خجله، وها أنا الآن أتساءل ما إذا كنت مخطئة.

- هل قال لك أحدهم كلاماً يتعلق بالعرق المختلط؟

فهزت رأسها، وقالت:

- لا، بل ما هو أسوأ من ذلك.

لم أستطع تحمّل فكرة تعرّض أطفالي للهجوم لسبب كهذا. فضممتها.

- أخبريني بما حدث؟ قلت غاضبة جداً لأن شخصاً ما جعل ابنتي تبدو حزينة جداً.

فنظرث إلى حاسبها، فقالت:

- كنت يوم السبت في حفلة أحد معارف ميغ من مدرسة أخرى، وكان في الحفلة شاب يدعى بين. بدا لي لطيفاً جداً، وأعتقد أنه أحبني أيضاً. كنت أحكي له ولأصدقائه عن عملي صيفي في مقهى في بلهام، فقال:

- إنه مملوء بالباكستانيين!

توترت جسدي كله؛ فكان الأمر أسوأ من كل مرة ألقى فيها أحدهم بهذه الكلمة في وجهي.

- أسفة حقاً يا عزيزي. إنه حقير. يا له من تصرف مقرف!

- لم يكن هو أو غيره يعتقدون أنهم يرتكبون خطأ ما، بل ظنوا أنه لا بأس بقول ذلك. كان يجهل أنني نصف باكستانية، كما كان الجميع يعتقدون أنني إنكليزية، أو إسبانية أحياناً أو شيئاً من هذا القبيل.

- يا إلهي! هذا فظيع! ألم يردّ عليه أحد؟ هل قلت له شيئاً؟

- قلت له إن من العنصرية استخدام هذه الكلمة، لكنني لم أخبره أنني نصف باكستانية. وحدث لو استطعت، لكنني لم أستطع ...

عانقثها بقوة فغارث في صدري دون أن تبدي مقاومتها المعتادة.

- لا عليك، فمن الصعب دائماً معرفة ما ينبغي فعله إزاء عنصريّ من هذا القبيل. كنت أتمنى حقاً ألا تضطري إلى التعامل مع مثل هذا القرف، لكن هذا النوع من الكراهية لا بد أنه سيعود، لكنني أقول لك من وحي تجربتي الخاصة إن معظم الناس لطفاء، لقد أحسنت صنعا بإخباره أنه عنصري.

قبلت رأسها.

تساءلت ما إذا كانت الأمور قد تغيرت بالفعل. ربما جئبت أطفالي هذا النوع من العنصرية التي عانيثها، ولذا فهم لا يواجهونها كل يوم رغم علمهم بوجودها، إذ إنهم سمعوا مجموعة من المراهقين يصرخون في وجهي «باكستانية لعينة» بينما نحن وقوف في طابور للحصول على الأيس كريم في أثناء إجازتهم في دورست، كما كانوا مع أمي عندما قال لها شخص ما في الحافلة أن «عودي إلى بلادك» فقط لأنها كانت تتحدث الأردية. لقد شاهدوا الأخبار.

حتى في قوقعتنا أشعر أحياناً بوجودها كرائحة كريهة مستمرة حتى لو أنها أصبحت أقل نفاذاً. تساءلت ما إذا كانت لافتات الجبهة الوطنية في

الثمانينيات قد تسلت إلى أماكن اعتقدت أننا آمنون فيها، وتذكرت كيف قالت جوليا كلمتي «سمراء» و «ثقافتك» للإشارة إلى أنني مختلفة قبل كل شيء.

هزت صوفيا كتفيها.

- لقد صدمت. لم يقل لي أحد شيئاً كهذا من قبل. أعني أنهم لم يقصدوني بكلامهم، لكن الأمر يعني. سأعرف في المرة القادمة كيف أرد على مثل هذا لأنه أمر غير مقبول.

- أنت محظوظة أن لك خلفيتين رائعتين يا صوفيا، فلا تعيري اهتماماً لجهل كهذا.

- أعرف يا أمي. قالت وأومات برأسها.

تبادرت إلى ذاكرتي كل الأوقات التي سمعت فيها من يدلي بتعليق أو يقول ما بدا لي «مستهجناً» بعض الشيء من دون أن أعترض عليه مطلقاً، فكنت أشعر بشعور صوفيا ذاته، إلا أنها أدركت على الأقل أن عليها أن تصدح بصوتها. أنا كذلك لن أسكت في المرة القادمة.



عُقد آخر اجتماع للمزاد الخيري في منزل جوليا؛ ونظراً لأنها كانت الجلسة الأخيرة فقد أرادت جوليا أن يحضرها الجميع إذ نظمتها يوم السبت. ما إن رأيث نص المجموعة حتى علمت أنه علي تجنبها إذ سيكون هاري في المنزل يوم السبت؛ فتخيلت صدمته لرؤيتي إذ يفتح لي الباب، وتخيلت أسئلة جوليا وسخطها أنني أخفيت عنها كل هذا؛ فضلاً عن اكتشاف هاري كذبي عليه. يجب أن أتظاهر بالمرض وأخبرها بذلك في اللحظة الأخيرة.

في اليوم السابق لاجتماع اللجنة، حلت ملاحظة من إيفان المشكلة مصادفة.

- يجب أن أستيقظ غداً في الساعة الخامسة لأستقل الطائرة المتجهة إلى جنيف، أتمنى لو أن هاري اختار ساعة أكثر روعة.

- أنت ذاهب الى جنيف؟ ومع هاري؟ وغداً؟

- نعم. قال إيفان مبتسماً.

- ومتى ستعود؟

- مساء الإثنين.

- إذن فرحلتك يوم غد، السبت؟ في أي ساعة؟ في

- نعم. هل ستأتين لوداعي؟ قال إيفان ضاحكاً.

- عفواً، لكنني لا أصدق أن هاري يمكن أن يرافقت في هذا الوقت من يوم السبت.

واتكأث على ظهر كرسيي، فقد شعرت بالراحة لأن هاري لن يكون في المنزل ولا حتى في البلد كله، وبذا يمكنني حضور الاجتماع، فأنا لا أريد أن أفقد اتصالي مع الناس في المدرسة. ولمصلحة صوفيا، كنت أحتاج إلى معرفة ما يجري مع الأساتذة وطلبات الالتحاق بالجامعة، ثم إنني سأرى سام بعد انقطاع طويل.

كنت في اليوم التالي جالسةً في غرفة معيشة جوليا التي كانت تتودد وتتحقق من أن الجميع «حققوا أهدافهم». كانت ترتدي سروالاً قصيراً من الكتان الأبيض وقميصاً أبيض مربوطاً عند الخصر مع فتحات من الدانتيل في الأكمام، وتنتعل حذاء من ماركة شانيل.

جلسث سام إلى جانبي، وشكل شعرها الأشقر عقدةً فوضويةً أعلى رأسها. ربما لم تستغرق أكثر من ثلاثين ثانيةً في تسريحه، لكنها كانت مثاليةً. لوحث لي ليزي من الجانب الآخر للغرفة وهي ترتدي سروال اليوغا وسترةً من الصوف، فبدت مشرقةً رغم قلة الماكياج. كنت بدوري سعيدةً، وقد ارتديت سروالاً ضيقاً، وبلوزةً حريريةً زرقاء باهتةً. رغم تنوع الملابس وتسريحات الشعر، إلا أن الغرفة اتسمت بجو رانج كأنما جرى تحضيره مسبقاً لالتقاط صورةٍ مثاليةٍ للأمهات.

لمحت على خزانة عتيقة قريبة عدة صورٍ عائلية،
فشعرث أنني دخیلٌ تسلل إلى عالم هاري الخاص.
لم يكن يعلم أنه في استطاعتي رؤية صور إجازاته،
وصورة قديمة لتخرجه في الكلية. عند الحائط
المقابل وُضع تلفاز جعلني أتساءل ما إذا كان يجلس
في مكاني وذراغه تطوق جوليا.

- أحمذ الله أن هاري ليس هنا. همست سام.

فابتسمت وأشرث إليها بالموافقة، وقلث:

- ما كنت لأحضر لولا غيابه.

ابتسمت و قلث لها:

- ماذا عنك؟ كيف تسير حفلة الجحيم؟

- جحيم.

- وكيف هي حال جيمس؟

- لا أعرف يا فايذة. إن تلك السلطة الغربية التي
يمارسها والداه عليه تدمر كل شيء. يكفيه التوتر
في وظيفته! ناهيك عن الضغط الذي يمارسه
عليه، كما أن هذا الأمر يؤثر في علاقتنا التي لا
تسير على ما يرام.

لم أسمعها تتكلم هكذا قط إذ كانت سام وجيمس
ضليبين.

- أسفة. يبدو هذا مرهقاً. أخبرني توم أنه سمع عن
تقليص وظائف شركة جيمس. لن يؤثر فيه هذا.
أليس كذلك؟

احمرّ وجه سام فجأة ثم تجهمت، وقالت:

- لم أكن أعتقد أن توم شخص ثرثار. لماذا تناقشان أمر جيمس مع أشخاص آخرين؟

وضعت يدي على يديها وقلت:

- مهلك! أنا أسفة. ليس الأمر كما فهمت. صدقاً يا سام. كان وكيل توظيف توم يحدثه عن جميع عمليات التسريح في المدينة ضمن سياق بحث توم عن وظيفة، فكانت شركة جيمس واحدة من الشركات التي أتى على ذكرها، فحدثني توم بالأمر، وخشينا عليكما لأننا في القارب ذاته. هذا كل شيء.

كان أسلوب رد سام مخيفاً لا يشبهها. أومأ برأسها، وعاد لون بشرتها إلى طبيعته.

- أنا أسفة أيضاً. لقد بالغت في رد فعلي.

- لا مشكلة. هل أنت ...؟

فصاح صوث جوليا فجأة، فقالت:

- «كورا، شكراً لك على تنظيم تاتلر، كما أقنع زوج أخت أنا لاعبة تنيس مشهورة جداً، ودأبت جوليا جانب أنفها، وتابعت: أن تكون راعي حفلنا.

وشمعت للجميع همسات استحسان.

- «سأرسل لك بالبريد الإلكتروني قائمة بالصالونات التي يمكنك الحصول من خلالها على تجفيف للشعر، وماكياج، وعلاجات للوجه، ووصلات للرموش، وأصبغة للأظفار، بل وحتى ... وتوقفت مقهقهة؛ تزيين ...

لم أستطع منع نفسي من الضحك قليلاً، فالتفتُ هامسةً لسام: أليس هذا كريماً لحكة ...

ابتسمت سام، وتثاءبت نادمةً على حضور الاجتماع.

- شكراً سيداتي! أعتقد أننا انتهينا ...

رن هاتف جوليا الذي كانت تحمله في يدها لقراءة ملاحظاتها؛ فنظرت إليه باستنكارٍ، ثم تبسمت وقالت:

-أعتذر لكنّ. إنه زوجي.

بدأت الاخريات الهمس بهدوءٍ، بينما لم أستطع أن أصرف نظري عنها إذ رحت أتخيل ما قاله هاري لها متسائلةً ما إذا كان يتصل بها في كل مرة يسافر فيها، أم أنه يخبرها بوصوله إلى جنيف بأمانٍ وأنه يفتقدها. ربما كان زواجهما مثالياً كما تصفه جوليا دائماً.

أقفلت الخطّ.

-أنا جد أسفة. لقد أُلغيث رحلة زوجي وهو في طريقه إلى المنزل بصحبة زميلٍ له. سأضع لهما الشطائر في المكتب إذ سيعود في أية لحظة، فمعذرةً الآن، وسنكمل القائمة المرجعية عند عودتي.

غادرت جوليا الغرفة بينما ضاقت أنفاسي فجأةً، فنظرتُ إلى سام، فقالت:

-لا بأس عليك! لن يأتي إلى هنا.

- كيف علمت بذلك؟ سيكون هو وإيفان في المنزل حتى لو لم يأتيا إلى هنا. إيفان عضو في فريقى وسيرونى.

قبضت يديّ معاً فلويث أصابعي حتى تأذت، ثم قلت:

- لم يعد بيدي حتى المغادرة الآن، فقد أصادفهما في ممر السيارات. سام ...

- على رسلك! سيكون الأمر على ما يرام. قالت وغيّرت مكان جلوسها إلى جانبي الآخر.

- سأعطيك؛ فإن جاء إلى هنا جلست أمامك فتستطيعين الاختباء ورائي. لقد قالت جوليا إنه سيدير اجتماعاً عبر الهاتف؛ وآخر ما يريده هو مقابلة ثلّة من أمهات المدارس.

نظرت قبل باب الفناء.

- ألا يستحسن بي أن اذهب إلى الحديقة؟

- فائزة؛ توقفي. ماذا ستفعلن في الحديقة؟ ستختبئين؟ اسمعي؛ ربما يمضي هاري في مكالمته مباشرة فلا يدنو منا.

كانت سام على حق. عادت جوليا وقالت إن هاري انزوى في مكتبه المغلق، وأضافت:

- إنه لا يكف عن العمل أبداً.

غادرنا الردهة في مجموعة، وحشرت نفسي في منتصفها متوارية عن الأنظار، وكنت على بُعد خطوات من الباب الرئيس بينما تغطي سام جانبي

الأيمن حين مررنا أمام باب المكتب المغلق وأبقيت
رأسي منخفضاً؛ لكن باب المكتب فُتح فجأة فلم
أستطع تحاشي التحديق فيه من خلال فجوة
صغيرة في حشد من النساء سنحت لي حين تقدمت
إحداهن خطوة، وحدقت لجزء من الثانية في عيني
إيفان مباشرة فنظر إلي مرة أخرى، وتغيرت ملامحه
عندما تعرّف إلي. وضعت أصابعي على شفتي
وهزئت برأسي متوسلةً إليه ألا يقول أي شيء،
فأوماً برأسه وأغلق الباب بينما هرعت إلى سيارة
سام حال خروجنا.



في أثناء القيادة أرسلت إلى إيفان رسالة نصية كتبت فيها: «أرجوك، لا تخبر هاري أو غيره. أعدك أن أشرح لك كل شيء يوم الإثنين.»

فكتب لي: «ولماذا كنت في منزل هاري؟ لماذا تعتبرينه سراً؟»

فأجبت: «صدقني لا شيء. من فضلك احتفظ بهذا الأمر لنفسك. أنا مدينة لك.»

فأجاب برسالة نصية روسية للغاية: «حسن.»

تذكرت أنه كان منزعجاً جداً لأنه لم يحصل على حساب فلاديمير، لكننا أصبحنا أصدقاء منذ ذلك الحين، ولم يكن أمامي من خيار سوى الوثوق به، وأمل ألا يستغل ذلك للتزلف من هاري.

عاد إيفان إلى المكتب يوم الثلاثاء، لكنه كان في اجتماع، ولذا ذهبنا في نهاية اليوم تقريباً لاحتساء القهوة، فجلست إلى مائدة القهوة الخشبية، وقبضت على الكوب الساخن بقوة فحرق إيفان في وجهي وبدأ لي في عينيه فضول وشكوك، فقلت:

- إيفان، أنت لم ...؟

- لا.

- شكراً.

ما كان يجب أن أنتظر ثلاثة أيام لأخبره، لكنني لم أرغب في كتابة أي شيء في نص، فالأمر شديد الخطورة؛ وربما كان الانتظار خطأ من جهة أخرى، فلعله خلاله تخيل كل أنواع السيناريوهات عني: متعقبة، كاذبة، جاسوسة لصالح شركة أخرى.

قررت أن أقول له الحقيقة؛ مهما بدت سياسة المدرسة غريبة لرجل يبلغ تسعة وعشرين عاماً، فالأخطر من ذلك أن يظن أنني أخفي حقيقة كبيرة تحت رداء كذبة، بيد أن علي التأكد من أنه سيصدقني ويبقى إلى جوارِي، فقلت:

- أنا على معرفة بجوليا، زوجة هاري، لأن بناتنا يرتدن المدرسة ذاتها، لكنني حين نلت الوظيفة لم أكن أعرف أن هاري هو زوجها.

- أليدك ابنة؟

فاحمر وجهي خجلاً وقلت:

- نعم، لم أرد أن أقول ذلك لأنها في صف ابنة هاري ذاته.

بدوت مراوغة مشبوهة حتى أمام نفسي. لماذا سيصدق ما أقوله الآن؟ وقال:

- لماذا أخفيت عن هاري أنك صديقة زوجته؟ سيكون ذلك مفيداً لك. أليس كذلك؟

هزئت رأسي، وقلت:

- أنا وزوجة هاري لا نتفق.

- أليست امرأة طيبة؟

- لا. لا بأس بها. كل ما في الأمر أننا لا ننسجم أبداً، فخشيت أن نتحدث عني بالسوء أمام هاري، ما من شأنه أن يدمر فرصتي في ترك انطباع جيد عنده، ولذا لم أخبره.

- أخبريني القصة كاملة. إن كانت امرأة طيبة وتكرهك، فما الذي حدث؟ هل هناك شيء بينك وبين هاري؟ فأنا أراك تخرجين من مكتبه كل صباح.

- إيفان! أتوسل إليك! أنا وهاري أصدقاء لا أكثر، وأنا زوجة سعيدة جداً، كما لم يحدث بيني وبين جوليا أي شيء أيضاً. إنها لا تكرهني ولا تحبني. هذا كل شيء.

- أهي عنصرية؟ تكره الآسيويين ربما؟

- لا! قلت وقد اتسعت عيناى. لا شيء من هذا.

لطالما كانت جوليا تدلي بتعليقات ناشزة قد تُعتبر غير لائقة، لكنها لم تقل قط أي شيء عنصري بصراحة، سواء لي أم بشكل عام. كنت أتساءل في البداية عن سبب رفضها تناول الأطباق الباكستانية التي كنت أعدها مع قهوة الصباح، فتقول بابتسامة المعتذر: «أوه! إنه حار جداً بالنسبة إلي.»؛ فأشعر بعدم الارتياح حين نتحدث عن «الكثير ممن لا يتحدثون الإنكليزية في لندن.» كان هنالك أيضاً مناهضة قوية من السياسيين الذين يدلون بتعليقات معادية للإسلام، ومع ذلك، لم يكن أي من هذا مختلفاً كثيراً عما كنت أسمعه بانتظام في حفلات عشاء لندن الفاخرة، فأقول في نفسي إنه سوء فهم

للثقافة فقط، وليس ضرباً من ضروب العنصرية.

- نفور شخصي فقط، لم يرني هاري. أليس كذلك؟

- لا.

تنفست الصعداء.

- لذا لا يمكنني الآن أن أسمح لهاري بكشف الحقيقة. ماذا سيكون رده إن علم أنني كذبت بشأن معرفتي بزوجه؟

- لا تقلقي. سأكتم سرّك في صدري. ونهض إيفان، فقلّث له:

- شكراً جزيلاً لك. أنا مدينة لك بخدمة.

- بلى. هو كذلك.

فابتسمت له لكنه نظر إليّ مجدداً من دون أن يبتسم.



كانت نائلة قد أرسلت لي رسالة نصية تسألني فيها عن عملي، ومتى لنا أن نلتقي لاحتساء القهوة، فلم أرذ عليها، لكنني أرسلت إليها الآن رسالة قصيرة كتبت فيها: «أسفة؛ لكن العمل جنوني. أمل أن يكون كل شيء على ما يرام»

لو أننا نلتقي كما كنا نلتقي في الماضي، فربما تمكنا من التحدث، لكن يبدو أنني وأصدقائي في عوالم مختلفة تماماً، ومنذ أن بدأت العمل، لم أر سوى سام وليزي مرات عدة، فشعرث أنني أفقد الاتصال مع الجميع.

كنت ذلك الأسبوع في مدرسة أحمد لحضور اجتماع صفي خاص، فأخبرت سيرجيو أن لدي موعداً مع طبيب الأسنان وأني سأتأخر، لكن أحدهم نادى باسمي حينما كنت أهم بمغادرة المدرسة، وقال:

- فائزة!

استدرث فإذا بها نائلة، فقالت:

- مرحباً. لم أكن أعلم أنك ستكونين هنا. لقد دعوا الآباء الجدد أيضاً فجنث.

- رائع.

وتقدمت لتحتضني، فقبلتها على الخدين، وحافظت على مسافة بيننا، ثم قلت:

- من الأفضل أن أذهب إلى العمل.

سارث معي نحو محطة ويمبلدون، ثم قالت:

- ما الخطب؟ أنت لا تردين على رسائلي.

- أسفه. أنا مشغولة في العمل جداً. وابتسمت.

إن قول الحقيقة، وكظم الانزعاج، والتظاهر بأن كل شيء على ما يرام أمر صعب، يتكرر منذ طفولتي حين كنت الشخص الوحيد الذي يحاول التوفيق بين والدي المتشاجرين. كنت في كل خطوة أخطوها أدرك أنني أبتعد عن نائلة وما يربطني بها من صداقة. توقفت وبدأت أتحدث قبل أن أترك الزمام لغريزتي الطبيعية تجنباً لأي شكل من أشكال المواجهة، فقلت:

- لماذا لم تخبريني أنك سجلت في كليسينغتون؟

خفضت نائلة عينيها نحو الرصيف ثم ضغطت عليهما بأطراف أصابعها كما لو كانت على وشك النوم، فانتظرتهما متمنية لو أنني لم أقل شيئاً، بل شعرت كأنني أسير على حافة الهاوية وأريد العودة إلى أرض آمنة. ما الذي سأكسبه من أن أكون عدوانية جداً؟

- أنا أسفه. كان ينبغي أن أخبرك. قالت ثم نظرت إلي أخيراً وقد تجهم وجهها وأخذت تعض على شفتها.

فقلت:

- سمعت الخبر من هنا، وصدمت جداً. لا بد أنك تعرفين ذلك منذ شهور.

سألتنى نائلة ما إذا كنا نستطيع أن نحتسي القهوة معاً في المقهى القريب من المحطة، وكان خوفي من التحدث قد بدأ يتلاشى. لم يحدث شيء رهيب، ولم تكن نائلة مستاءةً بسببي.

- شعرت بالحرَج بعد كل ما قلته لك عن المدارس الخاصة، وحاولت إخبارك مراراً فلم أعرف لذلك سبيلاً، ولكني كنتُ مخطئةً. أنا مدينةٌ لك باعتذارٍ لحكمتك البالغة، وأنا مدينةٌ لك الآن بالاعتذار عن عدم صدقي.

- فلماذا تقدمت بطلبٍ إلى كليسينغتون؟

كان من الصواب وضع الأمور في نصابها الصحيح؛ فقد شعرنا أننا عدنا نتحدث كما كنا دائماً.

- هل تعرفين تلك المحاضرات التي حضرتها في مؤسسة والد ليزي؟ لقد دعيتني بعد أن قابلتها في حفل العشاء الذي أقمته أنت، فأدركتُ أن عادلاً سيستفيد في الفصول الأدنى إذ يواجه صعوباتٍ في المدرسة. وفي نهاية المطاف أخبرتنى ليزي أن هناك منحاً دراسيةً يمكننا التقدم للحصول على إحداها، فقلتُ في نفسي: لم لا؟

نظرتُ إليّ وهي منحنيةٌ وتنهدتُ ثم قالت:

- لم أعرف كيف أخبرك بالأمر. ما زلتُ أشعر بالحرَج قليلاً من إخبار أيٍّ كان عن ذلك. أنا أسفة،

كذلك خشيت، بعد أن فقدتوم وظيفته، أن تضطري
إلى إخراج أحمد، فيبدو الأمر كما لو أننا نأخذ
مكانكم.

تعانقنا بصدق عندما افترقنا، فشرث في القطار
بطفرة في طاقتي، وكنت سعيدة جداً أن قلت لنائلة
ما أفكر فيه؛ وانتابني شعور بالبهجة وتحسن حالي،
لا تدهورها، لأنني قلت الحقيقة.

تمنيث لو أن الأمر مع توم كان بتلك البساطة،
وتساءلت عما إذا كان الحال سيطول بهذه الكذبة
الكبيرة بيننا ...



كنث في مدرسة صوفيا لبيع تذاكر المزداد الخيري
قبل نهاية الفصل الدراسي.

أخبرت سيرجيو أن لدي موعداً آخر مع طبيب
الأسنان وأني سأتأخر، فقال لي غمزاً:

-أتعلمين يا فاي؛ يمكن أن تتأخري لأسباب أخرى
غير هذا. وابتسم ثم أضاف: أعلم أنك تعملين بجد،
ونحن هنا جميعاً بالغون؛ فلا تقلقي.

شعرت بالحرج لأنه خمن أنني أكذب بشأن طبيب
الأسنان، لكنني كنث ممتنة أنني وجدت رئيساً إنساناً
وإنسانياً، وهي سلالة نادرة في المدينة.

وجدت هنالك أيضاً «سام» وعدداً قليلاً من
الأمهات الأخريات، جميعهن كن يذهبن إلى الفصل
لتناول القهوة بعد طرح التذاكر للبيع. كانت معظم
النساء يرتدين ملابس رياضية ويتباهين بأجسادهن
الرشيقة، ونعومة بشرتهن، فارتدت ليزي زي يوغا
وردياً شاحباً، وارتدت سام سروالاً أسود ضيقاً
وقميصاً عليه شعار شركتها، وارتدت جوليا ملابس
سوداء بالكامل متمثلة بسترّة وسروال ضيق وحذاء
رياضي، كالمرأة القطة تقريباً، بشعرها الأشقر
المجدول على هيئة ذيل حصان عالٍ.

عندما توجهت بعد المدرسة إلى المكتب مباشرة،

كنت أرتدي ملابس العمل المكونة من فستانٍ حريريٍّ أسود بلا أكمام، وكعباً أسود عالياً، وقد زججت حاجبي بدقة، وتبرجت قليلاً، وكان شعري مسترسلاً مجففاً، وقد وضعت قرطين باللونين الفيروزي والفضي.

-تبدين زكيةً وأنيقةً جداً. قالت أنا.

أحاطت بي النساء جميعهن، وأبدین إعجابهن بملابسي قائلات كم اشتقن لارتداء ملابس العمل، كما سألتني العديد منهن أسئلةً حول عملي وأخبرني أنهن وجدني شجاعةً جداً، كما سألتني امرأتان إن كان بإمكانني تقديم أية نصيحة لهما بشأن معاودة وظيفتيهما بعد الانقطاع.

-تبدين فائنةً يا فايضة. نحن فخورات جداً بعودتك إلى العمل على هذا النحو. لا أظن أنني قادرةٌ على فعل شيء كهذا الآن. قالت ليزي.

- طبعاً، يمكنك ذلك يا ليزي! فأنت رائعةٌ وتديرين مؤسسة والدك، ومنازل كثيرةً في بلدان كثيرة لا أحصيها! لا يمكنني أن أفعل ما تفعلين أبداً.

رأيت جوليا عند حافة الحشود؛ فكان من الواضح أنها لم تكن سعيدةً بالاهتمام الذي حظيت به. تقدمت إلى الأمام، وقالت:

- شكّلن طابوراً، أيتها السيدات وفايضة. لنكن أكثر كفاءةً. فلنتترك المناقشة إلى حين ميعاد القهوة.

وبينما أنا أحصي النقود وأتأكد من الأسماء إذ اقتربت جوليا وبدأت تسألني أسئلةً حول مكان عملي، فأجبها:

-أوه! إنها شركة تسويق صغيرة في وسط لندن فقط.

ورحث أنظر إلى قائمة الأسماء مرة أخرى كالمحقق منها، فقالت:

- ما وظيفتكم فيها إذن؟ وما اسم هذه الشركة؟

سألت سام جوليا شيئاً عن جلسة بيع التذاكر القادمة لإلهائها، لكنها لم تلتفت، فأجبها:

-إنها في الواقع شركة صغيرة يملكها صديق باكستاني من أصدقاء العائلة.

وسرعان ما بدا لي عدم اكتراث جوليا فوز علمها أنها شركة «باكستانية».

- وتوم؟ هل وجد وظيفة؟

انضمت إلى جوليا اثنتان من صديقاتها، بينما ما تزال ثلاث أو أربع أخريات يقفن في مكان قريب ينتظرن الذهاب لتناول القهوة. كنَّ يصغين جميعهن، أما أنا فلم أعرف ماذا أقول، بل لم أرغب في قول شيء.

- إنه يعمل في مشروع. قلت وأنا ألتقط حقيبتني وأجمع نقود التذاكر.

-أخشى أن تضطري إلى مواجهة حقيقة أنه قد لا يجد وظيفة مرة أخرى، وخاصةً في هذه الفترة وهذا السوق. قالت جوليا كما لو أنها مهتمةً بأفاق عمله ورفاهيته.

تجاهلناها وبدأت أضع النقود في العلبة، ومضيت

أتحدث إلى سام والنساء الواقفات إلى جوارها،
فقلت:

-أسفٌ يا فتيات. لن أتمكن من الانضمام إليكن
لتناول القهوة لأنني مضطرةٌ للعودة إلى العمل، لكنني
كنت سعيدة برؤية الجميع.

جاءت جوليا لتقف أمامي، وقالت:

-أتمنى ألا يزعجك حديثي يا فايضة. كل ما في
الأمر أنني قلقة بشأن الطريقة التي ستدفعين بها
رسوم صوفيا. على أية حال، أتمنى أن يمر الأمر ...

-فلنذهب يا جوليا. لقد حجزت طاولةً لعشرة
أشخاص. قالت ليزي.

عانقتني هي وعددٌ قليلٌ من الأخريات واتجهن معاً
نحو بوابة المدرسة. كنت متأكدة أن النقاش حول
مقدرتنا على تحمّل الرسوم المدرسية، أو تدهور نوم
نحو بطالة طويلة الأجل سيستمر في أثناء احتساء
القهوة.

ذهبت لإيداع النقود في خزانة المكتب فوجدت
«سام» جالسةً إلى الطاولة فجلستُ إلى جوارها،
وقلت:

-أنا أكرهها كثيراً.

-لا تنزعجي هكذا. كيف تجري أمور نوم؟

بعد نقاشي مع نائلة، قررت أن أتحدث إلى سام
بصراحة أكبر، فتنهدت.

-ليس سيئاً. لا جديد على صعيد العمل بالنسبة

إلى توم، ومدخراتنا أخذة في النفاد، ولا أعرف كيف سنخرج من هذا المأزق إن لم ييقوني حتى نهاية العقد. بصراحة أنا قلقة للغاية بشأن وضعنا المالي.

ضمتني سام، وقالت:

- فايضة، أنت تبلين بلاء حسناً، وأنا على ثقة أنهم سيعرضون عليك الوظيفة، ثم إن الحياة ليست سهلة أبداً. أليس كذلك؟

- شكراً سام. شعرت بخفة بعد حديثي معها، وقلت: كل ما أريده هو ألا تتدخل جوليا في شؤوني الخاصة. هذا كل شيء.

بعد يومين اتصلت بي سام وأنا عائدة بالقطار إلى المنزل، فقالت:

- جوليا تدعونا لاطلاعنا على تحديث مبيعات التذاكر على ما أعتقد، وربما تشجعنا على «منح ١٠٪» للجلسة التالية، لأنها الأخيرة.

- لقد بعث الكثير من التذاكر، وأنا متأكدة أنك فعلت الشيء ذاته أيضاً، فلماذا نقضي المزيد من الوقت معها؟

- أنت تعرفينها. دعينا ننتهي من هذا الأمر. هل نذهب بعد ظهر الغد؟ لديك نصف يوم لحفلة أحمد. أليس كذلك؟ وهو يوم إجازتي. وفي الأسبوع القادم ستكونين في أمستردام بينما سأسافر مع جيمس لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، فهو يعمل بلا توقف، وأعتقد أنه من الجيد لنا أن نكون بمفردنا قليلاً. تقول جوليا إنك أخبرتها أنك ذاهبة إلى دبي لرؤية عمك على ما يبدو!

- كان عليّ أن أقول ذلك؛ لأن زوجها سيذهب معي إلى أمستردام! تنهدت. أنا سعيدة لأنك وجيمس ستبتعدان قليلاً.

كانت فكرة جيدة إذ سيعودان إلى المسار الصحيح. حسناً. سأذهب؛ ولكن فقط بعد أن نقسم كعكة الشوكولا، فإن التقينا في الساعة ٢.١٥ مساءً، فإني سأغادر على أبعد تقدير في الساعة ٢.٤٥ مساءً إلى مدرسة أحمد.

عندما وصلت إلى المقهى كانت سام وجوليا جالستين قبلي، فتوقفنا فجأة عن الكلام عندما رأتاني. ربما كانتا تناقشان شيئاً لم ترغب جوليا في الخوض فيه أمامي. احمرت سام خجلاً. لعلها كانت محرجة من فظاظة جوليا.

بدأت جوليا تتحدث وهي تحقق في وجهي للحد الذي جعلني أرفع يدي غريزياً نحو فمي لتنظيف شفتي خشية وجود بقايا طعام عليهما؛ ثم جلست.

- هذه محادثة عسير جداً خوضها يا فائزة. كنت أخبر سام للتو أن ثمانمائة جنيه من أموال التذاكر مفقودة من خزانة المدرسة.

نظرت إلى جوليا ثم إلى سام ثم عبست وانحنيت قائلة:

- يا إلهي! حقاً؟ ما الذي جرى؟

- هذا ما أحاول اكتشافه. قالت جوليا.

كانت تنظر إلي فقط من دون سام حين تكلمت، أما سام فكانت تنظر في هاتفها.

- نحن نعيد تقفي الأثر، ولذا أردت أن أراكما كليكما اليوم. وضعت أنت وسام العائدات في الخزنة بعد بيع التذاكر هذا الأسبوع، وكانت سام آخر من قام بإيداع ١٣٠٠ جنيه إسترليني يوم أمس بعد تسليم التذاكر. لقد أودعت ١٧٠٠ جنيه منذ يومين، فغدا المبلغ الإجمالي ثلاثة آلاف جنيه، وكانت السيدة ويست ستأخذها إلى البنك اليوم، لكنها لم تستطع فعل ذلك على الفور، ولما فتحت الخزنة لم تجد سوى ٢٢٠٠ جنيه، أي أن ثمانمائة جنيه مفقودة.

قلت:

- إنه لأمر فظيغ، هل يمكن أن أحداً استخدمه في المدرسة كمصروفاتٍ نثرية؟

بقيت سام صامتةً لبرهة قصيرة ثم ردت: «نعم. ماذا لو ظنها موظف آخر خطأ على أنها للمصروفات النثرية؟

- لا. هذه الخزنة لا تستخدم سوى لبيع التذاكر.» قالت جوليا. «لقد شرقت الأموال.

هزئت رأسي، وقلت:

- هل تشكين أن السيدة ويست أخذتها؟ قالت سام وجبينها متغضضٌ قلقاً.

- هذا هو التفسير الوحيد، لكني لا أستطيع تخيلها تفعل ذلك.

كانت السيدة ويست هي المؤسسة والسكرتيرة لما

يقرب من خمسة عشر عاماً.

- لا. قالت جوليا، ثم إن ممرضة المدرسة كانت هناك عندما فتحت الخزانة، فأحصت المال معاً.

- لا أظن أننا تركنا الخزانة مفتوحة. أليس كذلك يا سام؟ قلت.

هذا فظيع. كانت المدرسة مكاناً آمناً، فلا أستطيع أن أتخيل أن أحداً في هذا المجتمع يمكنه فعل شيء كهذا؛ فهم أشخاص ثقات.

- لا. لا يمكنك إزالة المفتاح إن لم يكن الصندوق مغلقاً بشكل صحيح.

دست يدها في شعرها مما جعل تجعيد شعرها أكثر جنوناً من المعتاد فكانما هو علامات استفهام حول رأسها. بدت كأنها تشرف على البكاء وهي لم تبك قط في الأماكن العامة؛ كما أنها لا تبكي على انفراد بسهولة أيضاً.

- فلنحاول التفكير في الأمر بشكل منهجي. كم من المفاتيح لدينا؟ قلت.

- ثلاثة. قالت جوليا، مفتاحك ومفتاح كل من سام والسيدة ويست.

- وهي مفاتيح أمنة لا يمكن نسخها. قالت سام.

- لذلك أنا حائرة. قلت.

لم تعجبني الطريقة التي نظرت بها جوليا إلي باستجواب كما لو أن لدي إجابة لهذا اللغز؛ وقد لاحظت سام ذلك أيضاً إذ تحولت عيناها من وجه

جوليا إلى وجهي.

اقتربت النادلة منا؛ لكن جوليا طلبت منها أن تمنحنا بضع دقائق أخرى.

- إنه لأمر محير. ثلاثة فقط يمكنهم الوصول إلى صندوق السيارة. السيدة ويست وسام ... وتوقفت جوليا ثم أردفت: وأنت ...

كان التلميح في صوتها واضحاً. نظرت إلى سام لمعرفة ما إن كانت قد لاحظت ذلك أيضاً، أم أنني كنت أتخيل؟ كانت بشرتي ساخنة وأردت خلع حجابي، لكنني لم أرغب في القيام بأية حركة قد تدينني أكثر في عيون جوليا. كان عليّ أن أبقى هادئة لكنني عجزت عن كبح جماح غضبي لأن عيني جوليا العسليتين ظلتا تنظران في وجهي بثبات.

كنت على وشك إخبار جوليا ما أراه في سلوكها حين قالت سام: «جوليا، لماذا لا نراجع أنا وفائزة قوائمنا؟ التفسير الوحيد هو أننا خلطنا الأرقام، فلا بد أننا ارتكبنا خطأ ما.»

فوقفت جوليا، وقالت:

- نعم، وعلى الفور رجاء، فالأمر خطير جداً، وإن لم نستطع حله، فسأخبر المدير، وأنا أفضل حل هذا اللغز من دون الحاجة إلى إشراك السلطات.

ما إن غادرت جوليا حتى انفجرت.

- ما الذي يجري بحق الجحيم يا سام؟ هل تلمح تلك المرأة الفظيعة إلى أنني سرقت المال؟ لا أصدق أنها حاولت إلصاق ذلك بي! هل رأيت الطريقة التي

حدثت بها في وجهي؟

- أنا متأكدة أن هنالك تفسيراً بسيطاً. فلنستعرض
القائمتين ونعد الفرز. قالت سام.

كانت القوائم لدى سام فراجعتها مرتين، لكن
الرقم ظل كما هو، فجلسنا مجدداً، وقلت دافنة
رأسي بين يدي:

- لا أفهم ...

- ماذا سنقول لجوليا؟

- سام، أعلم أن ما سأقوله قد يبدو غريباً، لكن ألا
تعتقدين أنها تحاول الإيقاع بي؟

حتى أنا قلت ذلك وأعرف أنه قد لا يكون صحيحاً.
قد لا تحبني جوليا، لكن هذا الأمر مبالغه كبيرة
حتى بالنسبة إليها.

- لا. لا أعتقد ذلك. قالت سام.

وسكتنا لبعض الوقت، بينما تنظر سام إلى الطاولة
وتتحدث بصوت لا يتجاوز الهمس، ولكني سمعته
على أية حال، قالت:

- يؤسفني طرح هذا السؤال، ورجاء ثم رجاء لا
تسيئي فهمي. ثم توقفت وابتلعت لعابها، فعرفت
التالي من نظرة في وجهها، وتابعت: أعلم أنك قلقة
بشأن المال، وأنت استنفدت مدخراتك. ولعلك
تذكرين ما قلت في ذلك اليوم ... أعرف التوتر الذي
ترزحين تحت وطأته، وقد يقوم المرء بأشياء غريبة
عندما يكون تحت الضغط. إن فعلت ...

وتوقفت كأنها لا تصدق أنها تقول لي أشياء كهذه. ظهرت بقع حمراء على رقبتها ثم على ذقنها وخديها. لقد خنقتني كلماتها كما لو أنها لكمتني على وجهي فحطمت أسناني وكسرت أنفي.

وخانتني القدرة على الكلام، وارتفعت أصوات كل الشرثرات من حولي كما لو أن أحدهم رفع صوت المقهى. كيف لسام أن تشك في ناهيك عن اتهامي؟ انهمرت من عيني دمعة سقطت على المنضدة الخشبية، فأطلقت لشعري العنان لينسدل على وجهي فيواري دمعتي عن مرأى الناظرين.

-فايزة، لا تغضبي من فضلك. لقد طلبت من جوليا فرصة أتحدث فيها معك أولاً. يمكننا حل الأمور ...

-هل تحدثت مع جوليا عن كوني سارقة؟

دفعته مقعدي إلى الخلف ووقفت، ثم ركضت نحو الباب، فاصطدمت بأناس في طريقي، وفي أثناء مغادرتي، سمعت سام تنادي باسمي، لكنني لم أتوقف.



قدت السيارة إلى مدرسة أحمد ولا أعرف ما الذي يمكنني فعله. كان أحمد يغني على المسرح أغاني باغسي مالون مع طلاب فصله فلم أكن أسمع شيئاً، إذ كان كل ما أفكر فيه هو أن جوليا سبيلغ مديرة المدرسة بشكوكها، فإذا ما استدعوا الشرطة وشرعوا في التحقيق فسيكتشفون ألا مال لدينا سوى قروض البنك ومال أبوي، ثم سيتحدثون مع توم، وتجري مراجعة حساباتنا.

كانت جوليا تتحدث عن كون توم عاطلاً عن العمل، فتساءلت كم سيمضي من الوقت قبل أن تبدأ في نشر الشائعات عن ياسي، أو سرقتي أموال الجمعية الخيرية؟ لن يطول الأمر قبل أن تشيع الأخبار بين أولياء الأمور وفصل الصف السادس وصولاً إلى صوفيا ثم إلى أولياء أمور مدرسة أحمد القريبة.

ثم إنني سأفقد وظيفتي إن فتحت الشرطة تحقيقاً.

لم تكن هنالك من طريقة لإثبات براءتي من سرقة المال، فإن كانت سام ذاتها تعتقد أنني ربما سرقته، فلا بد أن الجميع سيعتقدون ذلك أيضاً. كان عقلي يتأرجح بين كيفية إثبات براءتي وإعادة التفكير في اتهام سام التي كانت أقرب إلي من فرح.

ظلت سام تحاول الاتصال بي طيلة المساء، لكنني

لم أَرَدُ، فأرسلت إلي رسالة قالت فيها:

«أنا جُذُ أسفهُ. لقد كنتُ حمقاء. أخبرتُ جوليا أننا في حاجةٍ إلى إعادة التحقيق من قوائمنا، لكنني لن أحصل على فرصةٍ لذلك قبل عشرة أيامٍ على الأقل لأنني وجيمس سنكون بعيدين، وكذلك أنت. لن تقول أي شيءٍ حتى ذلك الحين. سامحيني من فضلك.»

لكنني لم أستطع مسامحتها، ولازمني الشعور بالقلق إذ لا يمكن الوثوق بجوليا، فربما تقصد المدير يوم الإثنين فتبلغ الشرطة عني.



بمرور الوقت، لم يعد حصول توم على وظيفة جديدة احتمالاً طبيعياً، بل بات احتمالاً بعيد المنال إذ لم يعد يعرف لانتعاش السوق موعداً، وبذا زاد إحساسه بالقلق، وبدأت أسمع مجدداً حفيف بطاقات سوليتير على هاتفه في الصباح إذ كان يستيقظ قبل أن تنطلق صافرة منبه السادسة.

لم تعد محاولاتي لقضاء وقتٍ ممتعٍ مع توم تنجح، فقد أصيب باكتئابٍ يحتاج التغلب عليه وقتاً، فلا تنفع معه نزهة في الضاحية، وعودة لتحضير الطعام للأطفال، أو موعد عشاء سوشي سريع حين مجالسة صوفيا على مضض. كنت أرغب في قضاء المزيد من الوقت معه لكن ذلك كان مستحيلاً؛ فجدولي الزمني يشير إلى أننا لا نكاد نتقابل لنصف ساعة في كل يومٍ من أيام الأسبوع، أما في عطلات نهاية الأسبوع، فكان الأطفال يريدون تعويض الوقت الضائع، وكان عليّ كذلك تفقد والدي.

لم يكن أمامي من خيارٍ سوى مواصلة العمل لساعاتٍ طويلة؛ لأن الحل الوحيد هو الحصول على مكافأتي وتعييني في (HH) بشكلٍ دائم، ثم إن عملي ذا صرف ذهني عن جوليا وسام وكذا عن المسافة التي تفصلني عن توم قبل كل شيء.

فضلاً عن الليالي التي أمضيها في المكتب، كنت

أحضر بعض حفلات العشاء مع العملاء فلا أخبر توم بهذه الجولات لسبب ما، ولم تكن تلك الأمسية التي قضيتها مع هاري والعملاء، وهو رجل أعمال سويدي في مجال تكنولوجيا المال وزوجته - ليلة مختلفة.

كنت أشعر بالذنب عند تناولي الطعام في مطاعم النجوم، وأشعر بالذنب أكثر عند استمتاعي بوقتي مع العملاء، إذ كنت أقابل أشخاصاً مثيرين للاهتمام، واستمتع كذلك بقضاء الوقت مع هاري الذي بات صديقاً لا زميلاً فقط، فحين أكون مع هاري لا نخوض في الحديث عن عائلتنا أو أطفالنا أو هواجسنا المنزلية، كما أننا في مناسبات العشاء تلك لم نعد نتحدث عن العمل كثيراً، بل عن الكتب التي نقرأها أو الأفلام التي نفضلها، وعن وجهات عطلاتنا؛ فكان يخبرني قصصاً طويلة ومثيرة للاهتمام دائماً حول عمله في جميع أنحاء العالم، لكن أكثر المحادثات التي استمتعت بها كانت عن أيامنا في الجامعة، فقال:

- ما زلت أذكر تخرجي. كان والداي متوترين للغاية حيال الحفل والظروف الاقتصادية، لكن المعلمين رحبوا بهما الترحيب اللائق في حفلة الحديقة التي أعقبت ذلك.

أخبرني أنه لا ينحدر من خلفية مميزة أيضاً، فأجبت:

- وأنا كذلك! كان والداي سعداء جداً في ذلك اليوم.

- هل تذكرين كيف شعرت في ذلك الوقت؟ حين كنا على وشك الطيران؟ لقد بدا لي الأمر كما لو كنا

على وشك الانطلاق في مغامرة استثنائية. قال هاري بينما نحن ننتظر وصول العملاء.

تذكرت ذلك الشعور تماماً حينما قال ذلك. منذ ذلك الحين راحت فجوة الاحتمالات تُسوى على مدى سنوات عديدة، وبشكل تدريجي، كعلبة كوكاكولا مفتوحة. ابتسمت له ولتلك الذكرى.

كنت وتوم نذكر فيما مضى الأيام الخوالي، أما الآن فلا. كنا نضحك على أول مبيت وإفطار لنا بعد زفافنا في باث، والذي لم يكن فيه حمام ملحق، بل حجرة حمام قائمة بذاتها في منتصف الغرفة مع تلفاز يجري تشغيله بخمسين بنساً معدنياً وإلا انطفأ. لو حاولت تحسين الحالة المزاجية بالقيام برحلة في الذاكرة، فإن توم لن يستجيب.

كان التحدث إلى هاري بالطريقة الخالية من الهموم، والتي اعتدت عليها مع توم، أشبه بأخذ استراحة ضرورية من الروتين، واستعادة شعور مررت به من قبل. كنت أحتاج إلى كل هذا قبل أن أعود إلى المنزل لأجد الكأبة التي كانت تغمر توم على الدوام تقريباً.

كانت طاولتنا الليلة في زاوية منعزلة من المطعم الصيني، وكنا ننتظر وصول العملاء؛ وكان تركيز هاري منصّباً عليّ إذ نتجاذب أطراف الحديث ونضحك من دون أن يلقي أية نظرة خاطفة على هاتفه الخلوي. كنت أشتاق أصدقائي وما كان يخالطني في صحبتهم من متعة واسترخاء وراحة. كانت نصف ساعة قضيتها أنا وهاري وحدنا قبل وصول العملاء، ربما للمرة الأولى منذ زمنٍ طويل، نسيث فيها كل شيء آخر، حتى أنني نسيث صلته

قررت هذه المرة أن أخبر توم عن ذلك العشاء إذ لم أرغب في أن تكون مواعيدي مع هاري سريةً وإلا فُسر ذلك على أنني أقترف خطأ ما، وهذا خلاف الواقع طبعاً.

في صباح اليوم التالي، وبينما كنتُ أنا وتوم في المطبخ نتناول إفطارنا قبل نزول الأطفال قلت:

-أوه! لقد وصلت في وقت متأخر جداً فلم يكن لدي الوقت لأخبرك. لقد ذهبت لتناول العشاء مع عميل في مطعم صيني غير عادي. وقمت بالحجز من مكنتي.

- مع من ذهبت؟

- إنه الحساب الذي أساعد هاري فيه، ولذا كنا نحن والعميل فقط، وهو رئيس تنفيذي سويدي، وزوجه جميلة جداً. إنهما معاً منذ أن كانا في الرابعة عشرة من عمرهما!

لم يقل شيئاً، وبدأ في إعداد الغداء لأليكس؛ فقلت:

-أتمنى على أية حال أن أتمكن من العودة إلى المنزل في وقت مبكر اليوم؛ فقد مر وقت طويل منذ أن أمضيت الليل في المنزل.

قال:

- هذا إن كان بإمكانك تجنب الأكل الفاخر وألق (HH).

أما أنا فأفضل وعاء السباغيتي الخاص بك على

ضحكت ومشيت لأقبل خده قبل المغادرة لكنه انحنى لإخراج الأطباق من غسالة الصحون حتى لا أستطيع الاقتراب منه.

وقفت هناك لدقيقة رغم علمي أنني قد أفوت حافلتني. أردت أن يلتفت لأقول له: «يا هذا! كنت أحاول تقبيلك. تعال إلي!»

أردت أن أقف على أطراف أصابع قدمي فأبتسم له بإغظة، وأنظر في عينيه وأقبله. أردت أن أقول له: «كف عن غضبك الشديد ذا! أراك الليلة!» فأرى وجهه يبتسم كأنما يقول: «حسناً. سأقبلك إن تركتني أكمل غسيل الأطباق!»

هذا ما كنت أفعله عادةً إن كان في مزاج سيئ. كنت أعرف دائماً كيف أريحه، وكان بالمقابل يسمح لي بذلك دائماً، على الأقل في الماضي.

لكنه استمر في إعداد رزم وجبات الغداء ولم ينظر إليّ ثانيةً.

تناولت حقيبتني وهرعت خارجاً مسرعةً للحاق بالحافلة. حاولت ألا أفكر في كيفية تغير الحال بيننا بشكل لم أتخيله قط.



بعد دردشة مع صوفيا، حرصت على قضاء وقتٍ انفراديٍّ مع كل طفلٍ على حدة، حتى لو كانت نصف ساعة يلعب فيها توماس مع أليكس، أو اصطحب فيها صوفيا لتناول شاي الفقاعات، وأحرص على مراقبة أحمد بشكلٍ خاص. كنت في أول رحلة عملٍ لي، لكنني أردتُ قبل مغادرتي التأكد من أنه بخير إذ لم أراه كثيراً منذ أن بدأت العمل في (HH). تعب توم في مراقبته عن كثب، وتعلم إحدى ألعاب البلايستيشن الخاصة به حتى يتمكن من اللعب معاً، لكن توم لم يكن مع أحمد بشكلٍ يوميٍّ منذ ولادته قبل ثلاثة عشر عاماً تقريباً، ولذا كنت متفوقةً في أنني أستطيع الشعور بأشياء لم يكن لتوم أن يشعر بها؛ كان قلبي يخزني عندما يحدث مكروه لأحد الأطفال.

في عطلة نهاية الأسبوع التي سبقت مغادرتي، اصطحبت أحمد في نزهة في الضواحي.

-كيف تسير الأحوال مع مشروع علم الأحياء؟
قلت له ونحن جالسان على المقعد.

ما أردتُ سؤاله عنه حقاً هو شعوره. باتت جلساته مع الدكتورة كين الآن لمرة واحدة في الشهر، فبدأ بخير، لكنني إذ لا أراه كثيراً، فمن الصعب معرفة ما إذا كان يخفي أية مخاوف.

- أنا بخير يا أمي. لا تقلقي. لدي أصدقاء طيبون جداً الآن، وقد اختلف كل شيء. أعلم أنني واسمي لسنا السبب في جعل هؤلاء الأولاد يتنمرون علي.

أومات براسي محاولة كفكفة دموعي؛ وحدث في البركة أمامي ورحث أراقب البط. بدأ صوت أحمد يغدو أخشن قليلاً إذ نما أكثر خلال الأسابيع القليلة الماضية.

- اعتدت فيما مضى أن أحضرك إلى هنا لإطعام البط. أتتذكر؟

- نعم أمي. اسمعي. هل يمكنني الذهاب إلى حفلة موسيقية في ويمبلي الشهر المقبل؟ سيأخذنا شقيق دان الأكبر إلى هناك. التذاكر باهظة الثمن، ولذا أخبرث دان أنني لا أستطيع الذهاب لأن أبي بلا عمل، لكنه قال ألا مشكلة في ذلك فهو غني وسيشتري التذاكر لكلينا، وسأسدها له ببيع حذائي الرياضي القديم على موقع ديوب. هل يمكنه أن يأتي وينام معنا بعد ذلك؟

كانت هنالك الكثير من الأشياء التي تحتاج إلى المعالجة. عندما بدأ في تناول كعكته ومضى يتصفح سناب شات، فكرث في تغير الأمور؛ فقد أراد أحمد أن يذهب إلى مكان لم يزره من قبل، ورتب للنوم مع صديقه، وتحدث بموضوعية شديدة عن عدم امتلاكنا النقود لشراء التذكرة، فوجد طريقة لسداد ثمنها له. شعرث بسعادة غامرة جعلتني أريد الاحتفاظ بذكرى تلك اللحظة إلى الأبد، وكنت أعلم يقيناً أنني سأذكرها.



في اليوم التالي، سيطير الفريق كله إلى أمستردام؛ وتكون المنافسة كبيرة فإن تم اختياري للعمل على الحساب ضمنث مكافأتي.

سمح لنا بالعودة إلى المنزل مبكراً لحزم حقائبنا فوجدتُ توم يلعب لعبة سوليتير على هاتفه، فلم يرفع رأسه عندما دخلتُ غرفة المعيشة. مكثتُ عند المدخل للحظة، ثم سألتُه:

- ما الخطب؟

- لا خطب. أحاول الاسترخاء وحسب. هل لك أن تتركيني وحدي لبضع دقائق؟

- طبعاً.

وعندما وصلتُ إلى أعلى الدرج كانت دموعي تببل وجهي. بدا الأمر كما لو أن غزاةً فضائيين استولوا على جسد زوجي. عندما أذهب في عطلة نهاية الأسبوع بعيداً مع أصدقائي أو مع فرح، كان توم عادةً يبحث لي في أدلة السفر والمناطق الزمنية فيجد لي أفضل طريق من المطار إلى الفندق، وكان يقول لي دائماً أن أستمتع في أثناء سفري.

تنهدتُ. أعلم أنه لم يعد كما كان. لا بد أنه يشعر بفضاعة تعلقه في هذا الفراغ، بلا عمل، أو شركة أو

تسلية. تمنيت لو أنني أستطيع مساعدته على الشعور
بالتحسن، لكنني بدوت أشعر بالملل أكثر منه. ربما
يكون ابتعادنا لبضعة أيام مفيداً لكينا.

جلس هاري إلى جوارى على متن الطائرة فتحدثنا
عن تخريج دفعة قادمة في أكسفورد؛ وسألني
إن كنت أرغب في مرافقته والاستمتاع بتقليد
البروفيسور هودج، مدرس الأدب لدينا، وهو ما كان
سيفعله توم في الماضي، مما جعلني أضحك كثيراً
حتى نسيث مخاوفي لبرهة قصيرة من الزمن. كان
ذلك هو ما أحتاج إليه تماماً، وعلى وجه الخصوص
بعد ما حدث لي مع سام وتوم. كنت محظوظة أنني
وجدت في هاري صديقاً جيداً.

في الليلة التي سبقت الانطلاق، ذهبنا جميعاً
إلى حانة وسط أمستردام، ثم خرجنا بأدب ساعة
الإغلاق فتأرجحت المباني أمامي وتموجت حينما
حاولت التركيز بعد أن شربت كأسين من الشامبانيا
كاسرةً بذلك قاعدتي بشرب «كأس واحد». لم أكن
ثملةً، لكنني أوهمت الآخرين أنني كذلك لأن هذا الأمر
يسعدهم جداً.

ما زلت أشعر بعدم الاتزان بعض الشيء، بينما
كانت تيريزا وسابين حكيمتين بما يكفي لارتداء
أحذية مسطحة في أمستردام، أما أنا فلم أكن
أعرف ما ينبغي لي أن ارتديه من أجل حفل عشاء
الفريق، فبقيت بحذاء ذي كعب عالٍ جعلني أنزلق
فوق الحصى فوضع هاري ذراعه حول خصري
ليثبتني، فقال ديفيد ضاحكاً:

- لم يخطر لي أنني سأرى ذلك أبداً. لقد بثت رسمياً
واحدة منا الآن.

تظاهرت بشرب النبيذ والكوكتيلات بأسلوب
الدفعة الواحدة، بينما أنا في الحقيقة أسكب
مشروباتي في أواني الزهور إلى جوار طاولة
البلياردو أو أزعم أن كأسى قد أعيد ملؤه للتو.

وضع هاري ذراعه في ذراعي وقال:

- أرى أن من الأفضل أن أتمسك بك. لا نريد أن
تكسري رقبتك قبل أن ترسلي لي الشرائح بالبريد
الإلكتروني.

عبرنا قنوات فوقها جسور صغيرة فكانت مياهها
صافية كالزجاج، زرقاء كالحرير الداكن. ترنح كعباي
بينما تقدم باقي أعضاء الفريق أكثر باستثناء تيريزا
التي كانت تسير إلى جانبنا. واضح أنها لم ترد أن
أنفرد لبعض الوقت مع المدير إن لم تستطع هي
ذلك؛ وعندما اقتربنا من الفندق، رن هاتفها فمشث
قليلاً وهي تتحدث.

ثم عادت وقالت:

- أنا مضطرة للاتصال بابنتي، وعلي أن أذهب.
اتفقنا؟

نظرت إلي وهي تتحدث فتجهمت. إن احتاجت
إلى الاستئذان فعليها أن تستأذن هاري الذي قال لها
مودعاً:

- لا عليك. سأعنى بها.

شعرت بالسعادة عندما غادرث فبقينا نحن؛ الاثنان

فقط. كانت أضواء الجنيات تومض على الأشجار التي تحف طريقنا كجملة من النجوم المتساقطة من السماء. واصلنا المسير في صمتٍ مستمتعةً بالدفع الذي منحني إياه قرب هاري. لم يقترب مني توم منذ أيام، ولا حتى ليحتضني أو يجذبني إليه بينما نشاهد التلفاز، ولذا شعرت بالراحة وأنا أتكئ على ذراع هاري. كان سكري المفترض يعني أن تمام الصواب في أن يقودني هاري إلى غرفتي في الفندق ويفتح الباب أمامي. صبر حتى دخلت ثم قال:

- هل أنت بخير؟

وضع يده على مقبض الباب، وقال:

- نعم. من فضلك يمكنك الدخول و ... وتوقفت مصدومةً من انجراف أفكاره، فاحمض خداه، وهزرت رأسي.

- طابت ليلتك! تناولي بعض حبوب الباراسيتامول. قال مبتسماً، وغادر بسرعة.

بدأت عروق رأسي تنبض. كنت أعرف أن ما أربكني هو الشراب ورد فعل هاري غير المتوقع.

في الصباح التالي، قال لي إيفان عند الإفطار:

- احترسي من هاري.

- معذرة؟

- لقد رأيت كيف كنتما الليلة الماضية، وأمل أنكما لم ... وانحنى إيفان نحوي وحدثني، فثنيت رأسي وارتشفت قهوتي. لم أكن أثق في نفسي لأتحدث.

- هاري رجلٌ لطيفٌ، لكن له «سمعة»، وقد شاع عنه وعن أني التي كانت تقوم بعملك. إنه يحب عادةً أن تكون النساء عنده أصغر سنًا، لكنك فقط ...

وضعت كوبي، وحافظت بمهارة غريزية تقريباً على ترتيب تعابير وجهي بما يتطلبه الموقف؛ فعرف جسدي ما يجب أن يفعله رغم صراخ عقلي. وسعت عيني كالمصدومة ثم انفجرت من الضحك.

- أسفة إيفان! أخشى أنك أسأت فهم الموقف تماماً. قد أكون ثملة قليلاً، لكني أم متزوجة وسعيدة في منتصف العمر، وكان هاري رجلاً مثالي اللطف.

- حسناً، هذا جيد! من الأفضل دائماً عدم التوغل كثيراً في علاقات صداقة مع الرئيس. إذا ما حدث خطأ ما ... وأشار بإصبعه على تفاحة آدم من دون أن يبتسم.

- أتفق معك. من الأفضل أيضاً ألا تسرح بخيالك بعيداً. بصراحة هذا مضحك يا إيفان. لا تقلق. لن يكون هنالك ... وقمت بنسخ إيماءته على حلقي.

- أسف إن كنت مخطئاً. قال وقد بدا راضياً.

استعدت ما فعلته في الليلة السابقة. لا. لم أفعل أو أقل شيئاً غير لائق، ولم يكن في سلوك هاري ما يوحي بأنه كان يدفعني لذلك. على العكس تماماً.

رغم أن إيفان بدا مخلصاً، إلا أني تساءلت عما إذا كان هنالك شيء آخر. لقد كان غاضباً جداً بشأن حساب فلاديمير. كان كأعضاء الفريق الآخرين أصغر

من ذلك بكثير؛ فلعله ظن أن لدي تفوقاً غير عادل
لأنني في عمر المديرين، وأن لدينا قواسم مشتركة
منها دوائزنا الاجتماعية ومدارس أطفالنا. ربما كان
إيفان يحاول دق إسفين بيني وبين هاري، وربما
يجب أن أكون حذرة، لكن من إيفان لا من هاري.



- تخيلت أن لديه واحداً من تلك المنازل العظيمة على قناة كايزرغراخت. قلت بينما كنا متوجهين إلى الساحل من أجل عرضنا، ثم اتخذنا الطريق السريع.

- لا. لقد اشترى على الشاطئ قصراً يعود إلى القرن التاسع عشر. إنه أفضل من أجل هبوط الطائرات المروحية، وأكثر أماناً.؛ أخبرني إيفان.

- هل تعرفه إذن؟ سألت.

ابتسمت، لكنّ الخوف زحف إلى صدري، فإيفان الذي كان روسياً وأكثر خبرةً فاقني، فإن كان يعرف العميل أيضاً، فلا شك أن ميشا سيختاره.

- ليس الأمر شخصياً، غير أن لدينا أصدقاء مشتركين. قال وهو يهز كتفيه ويومئ برأسه على إيقاع فيل كولينز وهو يغني عبر راديو سيارة الأجرة: «لا تتعجل الحب».

ظلت المكالمة التي أجريتها مع توم سابقاً تتردد في رأسي، وكنت قد سألته ما إذا كان وكيل التوظيف قد اتصل به بشأن وظيفة أخرى كانا يناقشان أمرها.

- في أخرى «لم يوظفوني بعد». اتفقنا؟ أسف لأنني خذلتك.

حاولت ألا أشعر بالأذى من طريقة حديثه معي،
كان مستاءً. كان في استطاعتي سماع أليكس
يسعل، فوددت لو أكون في المنزل مع الأطفال
بدلاً من الهدوء العقيم والمكيف في غرفة فندق
أمستردام.

- أسفه يا عزيزي. اسمعني ولا تقلق. أنا متيقنة من
أنك ستحظى بوظيفة أخرى.

- نعم؛ فالناس يصطفون في طابور لتوظيفي. على
أية حال، لا وقت لدي لذلك الآن؛ فعلي أن أعطي
أليكس المضادات الحيوية.؛ قال وهو يغلق الخط
فجأة.

أردت أن أخبره أن أليكس يحتاج إلى النوم على
وسائد، وإلى الكثير من زيت أولباس؛ ففد كان
أليكس رضيعاً لا يستطيع النوم حينما يسعل إلا
متكئاً على صدري وأنا أنام مستندةً إلى ظهر السرير،
لكن توم لم يمنحني الفرصة للشرح. بقيت أفكر
كيف بكى أليكس عندما غادرت إلى المطار وصرخ
في وجهي حين وصلت باب غرفة النوم، وقال:

- اليوم هو اليوم الذي سأموت فيه! لن تري ابنك
مرة أخرى.

لم يحدث قط أن كنت بعيدةً عن أليكس في
مرضه، كما شعرت بخيبة أمل لأن توم لم يحصل
على الوظيفة. لم يكن لديه الحق في التصرف معي
هكذا.

ازداد الريف ظلمةً، فاتخذنا فجأةً منعطفاً حاداً إلى

اليمين، وخشرنا في زقاقٍ هزيلٍ من الطريق بين
سياجٍ طويلٍ من جانبٍ وما يشبه الجدار الحدودي
من الجانب الآخر، فضممت غريزياً ذراعي إلى
صدري، وقال إيفان وهو يعتدل ويصفع فخذه:

- هو ذا.

ألقيت نظرةً خاطفةً إلى الخارج فرأيت مسامير
معدنيةً حادةً تلمع على طول الحائط، فابتسمت،
وقلت:

- إنه أشبه بالسجن منه بالقصر الفاخر. أتساءلُ
ما إذا كان حوله خندقٌ مائيٌّ مملوء بمصرفيين لم
يحققوا لميشا أية نتائج.

لم يجبني أحدٌ.

انحنيت إلى الأمام، ورحت أحرق في المنزل لأول
مرة، لكنني لم أر سوى سحباً من الأشجار تتقدم
نحونا عبر غابة كثيفة. انكشف المشهد في النهاية،
وانتصبت الأشجار المقلّمة كحرس الشرف العسكري
على جانبي الممر الطويل المستقيم الذي ينتهي
بقلعةٍ من ستة طوابقٍ قد أضيئت جميع نوافذها
فبدت كأنما هي قلعةٌ تحترق. توقفت سيارة الأجرة
على الحصى.

قدم لنا كبير الخدم الشمبانيا وأخذنا إلى الطابق
العلوي فانتشرت المحادثات في شرفة الطابق الأول
المطلّة على شاطئٍ خاضٍ من البحر. كان الجدار
الزجاجي المنخفض يوفر مشهداً متصلاً لسماءٍ
حبريةٍ وشريحةٍ من القمر، بينما تم تنضيد الشموع
الخافتة والورود البيضاء على طول الشرفة.

- فاي. تعالي لمقابلة الجميع! لوح لي هاري.

بدا ميشا أصغر من أن يكون أباً للأطفال الأربعة الذين طلب منا إنشاء صناديق ائتمانية لهم، فملابسه تبرز صورة الشباب من خلال سرواله الجينز وقميصه الوردي وساعة باتيك فيليب اليدوية. صافحني ثم استدار ليواصل حديثه مع التنين؛ فحرث ماذا أفعل بعد ذلك، بينما كان هاري في مجموعة أصغر إلى جانب سابين وآخرين قلائل.

أنقذني إيفان بمناداتي وتقديمي إلى بيتر، أحد زملاء ميشا، وقال:

- فاي واحدة منا! وهي تجيد الروسية.

ظلت عينا إيفان تحدقان في ميشا وسرعان ما اعتذر تاركاً لي بيتر الذي بدأ يتحدث معي باللغة الروسية فلم أفهم شيئاً مما قاله تقريباً رغم محاولاتي الأخيرة لتحسين مهاراتي اللغوية من خلال الاستماع إلى الكتب الصوتية خلال رحلتي.

- عذراً، إنكليزيتك أفضل من روسيتي بكثير! قلت وضحك في محاولة لإخفاء رعبتي من أن يكشف كذبي أمام أحد من فريق (HH)، لكن بيتر قال:

- أريد أن أسمعك تتحدثين! قللي أي شيء!

- لاكون صادقة معك؛ لا أذكر الكثير منها.

- أرجوك! هلاً فعلت ذلك من أجلي؟

يبدو أن بيتر بكر في شرب الشمبانيا، وقد بدأ الناس بالنظر نحونا فقبلت قبل أن يغدو أكثر لفتاً للأنظار، فقلت:

- لا أذكر سوى بضعة أسطرٍ من «الفارس البرونزي».

كانت هذه القصيدة الشيء الوحيد العالق في ذاكرتي منذ سنوات الجامعة.

كنت على وشك البدء في مخطط هربي الاستراتيجي لولا أن صرخ بيتر فخنق المحادثات في الغرفة بقوله:

- صمتاً! هذه السيدة سوف تقرأ لبوشكين!

وساد الصمت فوراً فتجمدث. بدا ميشا منزعجاً من تلك المقاطعة، وكان إيفان وتيريزا وديفيد وسابين حوله، ولذا كان في مرمى عرضهم، أما التنين فبدا مستمتعاً بالعرض، بينما أنا لم أجرو على النظر إلى هاري. لقد تحولوا إليّ بأنظارهم جميعهم.

ابتلعت لعابي مرتين وقلت:

- حسناً.

أخذت نفساً عميقاً، وأردت إنجاز الأمر بسرعة، فشرعت بقراءة القصيدة باللغة الروسية بأقصى روية ممكنة، وقلت:

فوق الشيطان، والأمواج القفار

تمدد أون مفعماً بعظائم الأفكار

ركزت نظري على حواشي السراويل والكواحل المحيطة بي، فجف فمي واحترق وجهي، ثم قرأت خمسة أبيات أخرى وتوقفت.

- مرحى! مرحى!

رن صوت بيتر وبدأ يصفق بقوة؛ بينما صفق الآخرون بحماسة أقل ومن دون انسجام. ألقى نظرة سريعة على الفريق فرأيت تيريزا وديفيد يسخران علانية والتنين عابسة. لقد قمث بطقيس احتفالي أمام أحد أكبر عملائنا المحتملين بناءً على طلب رجل جلي الثمالة بدلاً من ترويج ملفي لميشا.

-المعذرة!

وهممت بالابتعاد عن المجموعة للجوء إلى المرحاض لولا أن سد ميشا علي الطريق، ونظر نحوي مباشرة وقال لي:

-كيف تعلمت الروسية؟

-لقد عشت عاماً في موسكو، كما درست الروسية في الجامعة.

وبدأ يحدثني عن موسكو، وسرعان ما رحنا نتبادل ملاحظاتنا حولها.

-أين كنت تعيشين؟

-في شارع زولوتوفسكايا في باترياشي برودي، تلك البركة الضخمة بالقرب من غاردن رينغ. أذكر ذلك بفضل بولجاكوف.

-في أي مبنى منه؟

-الأصفر. هل تعرفه؟

فارتفع حاجباه، وقال:

-لقد نشأت هناك، في ذاك المبنى الأصفر ذي القوس. لا تزال جدتي تعيش هناك!

طلب مني ميشا الجلوس إلى جواره لتناول العشاء حتى نتمكن من مواصلة الحديث عن المبنى الأصفر.

بينما استبدل الخادم كافيارى بطبق السمك الرئيس المزين بشرائح الخضار في طبق من الخزف الصيني الأبيض، استعدت أنفاسي، ورحت أفكر في مدى تغير حياتي. كنت جزءاً من فريق مصرفي أقدم لموكلي البيانات المالية ومعاملات التفاوض، وكل ذلك حول طاولة ومبالغ من سبع أرقام، وعمليات عالمية تثر بشكل عرضي، وأنا أرتدي الكعب، وأطلي أظفاري باللون الأحمر الشبوعي، وملمع الأظافر الفيتنامي، وكان شعري ناعماً مجففاً. كان ذلك بعيداً عما كنت سأفعله بشكل طبيعي قبل عودتي إلى المدينة مساءً، وهو إعداد العشاء، وغسل المعدات الرياضية، والمساعدة في الواجبات المنزلية، قبل تناولي العشاء مع توم وحدنا.

كنت طيلة المساء مدركة أن هاري جالس إلى يميني، وساقه على بعد سنتيمترات من ساقي، وأصابعه الطويلة تربت على مفارش المائدة البيضاء. لقد تقث إلى توم. هذا كل شيء. لقد مرت أيام لم يمسك فيها بيدي، كما أنه لم يعانقني عندما غادرت إلى المطار؛ فلم يكن الأمر متعلقاً بهاري.

أمضيت في الأبحاث المكثفة أسابيع عدة، وحينما سألني ميشا عن اقتراحي، تمكنت من الإجابة عن جميع أسئلته، فقال لي:

- فلنفعل ذلك.

وابتهجت فأضاف:

- هل تعرفين لماذا اخترتك؟

-لأنني عشت في حي جدتك؟ قلت مازحة متحمسة لما ألت إليه الأحداث.

- مضحك جداً. لا، لقد اخترتك لأنك أم.

- فأنت تتفهمين رغبتني في حماية أطفالي، وأن هذا أهم عندي من أية صفقة كانت.

ابتسمت إذ بدا أن الشيء الوحيد الذي لطالما اعتبرته أكبر عائق لي في المدينة بات السبب في حصولي على الصفقة.

عندما غادرنا سألني هاري ما إن كان في مقدوري إضافة بعض التوقعات الإضافية إلى اقتراحنا قبل مقابلة ميشا مجدداً في اليوم التالي، وهذا يعني ساعتين إضافيتين من العمل في الفندق، لكنني كنت متحمسة جداً إلى النوم على أية حال.



انكفأ في السرير، وأطفأ حاسبي، ومنحت عيني هالات سوداء بمسح كحلها بظاهريدي. إنها الواحدة والنصف صباحاً. كان من المفترض أن أطلع شرائح العرض في مركز الفندق التجاري في الطابق العلوي، لكنني كنت في حالة من التعب الشديد. منعتني من ارتداء ملابسي مجدداً لعشر دقائق. ارتديت رداء حمام واسعاً من قماش التريسكوت فتدلى على الأرض تحت قدمي العاريتين. كانت الممرات مهجورة فلا صوت يصدر من وراء الأبواب التي مررت بها.

كان المركز التجاري خاوياً، وبينما الطابعات تنبض بالحياة قبل أن تبدأ طنينها الإيقاعي، لم أستطع إلا أن أريح رأسي على ذراعي إذ كنت أحتاج إلى إغلاق عيني لثانية.

- لا. قلت معترضة حين شعرت بشخص ما يجرنني. «أذهب عني!»

كان الأطفال يعرفون أنه لا ينبغي لهم أن يوقظوني في عطلة نهاية الأسبوع، لكن اليد استمرت في هزي وشد ذراعي بعنف حتى رشح إلى أذني صوت رجل فجلست بسرعة وقلبي ينبض نصف مستيقظ، ثم استرخيت عندما تذكرت مكان وجودي، ورأيت سروال البوكسر المخطط بالأزرق والأبيض على أرجل طويلة متخممة بالعضلات.

- فاي؟

إنه هاري. فركت عيني لأمسح عنهما غشاوة النوم، فشعرت ببلل على جانب فمي فبادرت إلى مسحه سريعاً بظاهر يدي، وأحسست بتنميل في خدي فتحركت أصابعي بشكل غريزي للمسه، فتحسست بصمة خطوط رداء الحمام عليه، وتخيلت أثر خطوطه الحمراء النافرة على وجهي؛ فقال هاري:

- لقد ضبطتك بتهمة النوم خلال العمل.

سلمني هاري أوراقه وجلس إلى جوارى فكان حافي القدمين ويرتدي قميصاً أبيض. لم أستطع خنق تثاؤب التمساح على فمي مما سمح له برؤية حشوات أسناني كلها.

- أسفه! لا بد أنني غفوت ...

شعرت بالحرج فنظرت إلى الأسفل محاولة الاختباء خلف شعري فأدركت أن رداءي قد فُتح فكشف لهاري صدريتي السوداء وبطني. شددت رداء الحمام، وقلت:

- من الأفضل أن أعود إلى السرير. شكراً لإيقاظك لي ...

- لا بد لي من مسح المستندات للعملاء الأمريكيين، فهم لا يعملون سوى وفق المناطق الزمنية للولايات المتحدة.

بدا منهكاً، وغدا شعره فوضوياً يقف كتاج على رأسه. باغتتني رغبة بتحسسه بأصابعي.

وعندما وقفت علق أسفل ثوبي بقدمي فسقطت
فاقدهً توازني، فسندني هاري إذ وقعت عليه،
فابتعدت بسرعة.

- ستصبح عادةً. تتعثرين فأمسك بك.

أعادني ذلك إلى يوم المصعد. تسارعت نبضات
قلبي.

- عليهم أن يصنعوا من هذه الثياب لقصيري القامة
أيضاً. قلت ضاحكةً، ثم ذهبت بعيداً أحمل ثوبي كما
لو أنني أسير على أرض مبللة، بينما ظل واقفاً مكانه
يشاهدني أذهب.

انتهى كل المجهود الذي بذلته لأبدو جيدةً في
المسابقة حينما رأني هاري ملطخةً شعثناء و لعابي
يسيل! ربما كان هذا أفضل.



وعدت إلى لندن. كنت أنا وهاري نعمل على صفقة ميسا، وحين اضطر هاري إلى عمل إضافي في أحد مشاريعه الحالية في الوقت ذاته، فعرضت عليه المساعدة لأنني أردت أن أشكره على دعمه كله، لكنني علمت أيضاً أن «مساعدي له» ستكون في صالحه، سواء بالنسبة إلى العمل الدائم أم حجم مكافأتي.

أصبح مكتبه قاعدتنا لهذا الأسبوع. كان المكان ضخماً ومريحاً فتمكنا من نشر وثائقنا فيه من دون إزعاج باقي أعضاء الفريق. عملنا في إحدى الأمسيات إلى ما بعد موعد العشاء، فكان هاري جالساً إلى جوارني على الأريكة عندما تمتعت بمعدتي بصوت مسموع، فقال لي:

- إنها الحادية عشرة! أنا أسف حقاً.

- أعتقد أنني الوحيدة المدينة بالاعتذار على هذا الضجيج الوقح. وابتسمت.

طلب بعض السوشي من سيكسي فيش، وفي أثناء انتظارنا الوجبة، قال:

- معذرة، سأذهب للاتصال بيناتي وزوجتي، لذا لا تتردي في الاتصال بزوجك أيضاً، فقد يستمر هذا الليل كله.

هرعت للخروج من الغرفة قائلة إنني سأعود بعد

بضع دقائق إذ شعرت بالرعب من أنه قد يضمني،
كما يفعل بعض المزعجين، إلى مكالمته فيقدمني
إلى جوليا.

لم تكن لدي رغبة في الاتصال بتوم، فعندما راسلته
لأخبره أنني سأعمل حتى وقت متأخر جداً، أجابني:
«استمتعي بوقتك.»

أخرج هاري من ثلاثة صغيرة زجاجتين صغيرتين
من الشمبانيا، وتناولنا العشاء جالسين على الأرض
أمام طاولة القهوة. كانت الأضواء العلوية مطفأة
فتمكنا في ضوء المصباح من رؤية ناطحات
السحاب المضيئة خارج نافذة مكتبه الضخمة،
وقلت:

- نحن نأكل السوشي على أصولها، على الأرض.

بدأ يحدثني عن تدريسه اللغة الإنكليزية لبضعة
أشهر في اليابان خلال سنة التفرغ، فقلت له: إن
اليابان كانت على رأس قائمة رحلات أحلامي. أزال
الطرود بينما فتحت الكمبيوتر المحمول واستندت
إلى الأريكة، فقال لي:

- اخلعي حذاءك وارتاحي يا فاي، فسنضطر للعمل
ساعتين آخرين على الأرجح.

خلعت حذائي وجثمت على ساقي بينما خلع هاري
حذاءه وقميصه.

لم أرفع عيني عن شاشة حاسبي بل كنت حذرة
مع هاري منذ وجودنا في أمستردام، ولحسن الحظ
لم يكن الأمر صعباً. أما توم فسيكون طبيعياً عندما
أعود من الرحلة، فيعانقني ويبتهج بالاتفاق الذي

أبرمته مع ميشا؛ ويكون قد سأل أمي عن سر
وصفة كاري الدجاج الخاصة بها فيقوم بطهوها لي
كمفاجأة، ثم نتحدث عن المصادفة المذهلة أن ميشا
كان يعيش في المبنى الأصفر الذي عشت فيه أنا
وتوم أيضاً.

أدركت أن الشعور بالانجذاب نحو هاري في
أمستردام كان نتيجة لعاصفة زوجية مثالية مع توم
تمثلت في شجارنا قبل مغادرتي، وضغوط العثور
على وظيفة، ثم الشعور المندفع بالابتعاد عن كل
شيء. هذا كل ما في الأمر.

انتهيت أنا وهاري في الواحدة صباحاً، فوضعت
ذراعي خلف رأسي ومددت رجلي أمامي فرأيت
هاري يختلس نظرة على أظفاري الحمراء، وساقَي
العاريتين، لكنها لحظة خرجت من العدم واختفت،
فتساءلت ما إذا كنت قد تخيلت الأمر وحسب ...



أرسلت لي سام رسالة نصية قبل أيام قليلة من الموعد النهائي الذي حددته جوليا بأسبوعين، فقالت فيها:

«لنبدأ في استعراض جميع المبيعات من البداية. لا بد أننا أخطأنا العد.»

وافقت على مقابلتها. كانت محقة فهذا هو التفسير الوحيد.

تحسنت الحال بيني وبين توم. لعله غدا أكثر سكيناً بعدما بدأ راتبي يتهاфт إلى حسابنا، وأنا بدوري توقفت أخيراً عن القلق بشأن المال، فقد غطى راتبي والقرض المصرفي نفقاتنا الشهرية المبسطة مؤخراً، ووضعت أموال أمي وأبي في الحساب لتلبية احتياجات توم، ثم إنني كنت كذلك على الطريق الصحيح للحصول على مكافأتي لسداد مال والدي ورغد مدخراتنا.

لكنني شعرت ذات صباح بمزاجه السيئ حالما استيقظت، فعلمت أن الأمر يتعلق برسالة إلكترونية وصلت إلى هاتفه في الخامسة صباحاً، وهو ما يعادل منتصف يوم عمل في مكان ما من العالم.

أردت أن احتضنه قبل أن أغادر إلى العمل لكنه لوح لي من بعيد؛ فقلت بهدوء:

- ما بك عزيزي؟ هل من خطب؟

- أنا عاطل عن العمل يا فائزة. قد لا أجد وظيفة مرة أخرى، ولا يمكننا طبعاً أن نعيش إلى الأبد على راتبك وحده، فمذخراتنا ستنفد قريباً، وقد نضطر إلى بيع المنزل، ولا فكرة لدي عما سنفعله لسداد الرسوم الدراسية فقد نضطر كذلك إلى إخراج الأطفال من مدرستهم، بينما أنت منشغلة بواجبات العشاء وبهجة الرحلات البعيدة!

لم أستطع التحرك، فقد صدمتني كلماته، فحاولت التفكير بعقلانية. ربما لأمني لأنه لا أحد سواي هناك؛ والحقيقة هي أنني لو لم أنفق هذا المال لكنت الآن في المنزل أدعمه خلال هذا الوقت العصيب بدلاً من خروجي اليوم بأكمله، وما كنا لثحشر في مثل هذا الوضع المحفوف بالأخطار. كل هذا خطئي.

ومع ذلك، جاء صوت أخز يدفع هذا المنطق بعيداً، وتمثل في أن توم لم يفكر أو يأسف إلا على نفسه بينما التوتر يطوقنا معاً، وهذا ما لم أكن أتوقعه منه كرجل.

- تباً لك! تتمث وأنا أغلق باب المطبخ حتى لا يسمعنا الأطفال. «لماذا أصبحت هكذا؟ هل تعتقد أنني سعيدة بترك الأطفال طوال اليوم؟ أم تعتقد أنني أحب قلقي على والدي طوال الوقت؟ أم تعتقد أن من السهل علي أن أعود إلى حوض أسماك القرش فألق أحذية الحمقى لكسب عمولتي؟ لا طبعاً؛ لكنني على الأقل أفعل شيئاً، فلا أشعر بالأسف على نفسي ولا أستسلم. لماذا نبيع المنزل؟ لماذا علينا إخراج الأطفال من المدرسة؟ لماذا يبدو أن الآخرين يعملون بينما أنت الوحيد العاطل عن

إن الأذى الذي سببه لي فضلاً عن شعوري بالذنب
اجتماعاً معاً كمكبس جعلاني انفجر غضباً. حتى حين
قلت ذلك الهراء في ظهره، كانت الدموع تنهمر على
خدي حتى أفسدت مكياج مكتبي الصباحي. كنت
أعلم أن ما كنت أقوله كان قاسياً ولا يغتفر، لكن
صوتي علا لشدة تجاهله لي، فقلت له:

- بادز إلى إصلاح شأنك اللعين!



لم يكن توم وصوفيا مساء ذلك اليوم في المنزل عندما عدث من العمل، ولذا كان الأولاد بمفردهم، فقالوا إن توم أوصلهما بعد المدرسة ثم غادرا، فلم يرد توم ولا صوفيا على رسائلي.

وبدأت أقلق لأن صوفيا لم تكن من النوع الذي يختفي. أعرف أن رسائلي كانت تصلها، لكنها لم ترد، ولذا بدأت بالاتصال بها مراراً وتكراراً حتى تلقيت في النهاية رسالة تقول: «لم أمث. سأتأخر وحسب.»

فكتبت لها: «هذا لا يكفي! أنت تعرفين القاعدة: أين، ومع من، ومتى، وماذا. أحتاج إلى التحدث معك عندما تصلين إلى المنزل.

بدا لي أنني فقدت التواصل بصوفيا تماماً. لم تكن لدي أدنى فكرة عما يحدث في حياتها، أما حين سألتها عن حالها فلم تقل أكثر من «أنا بخير.»

توم أيضاً لم يرد على رسائلي، فكانت ملاءات سريرنا على حالها حين تركتها في ذلك الصباح، غير أنه أخذ ساعته ومحفظته. رأيت أن ظهوره على واتس اب كان قبل ساعة، أي أنه على الأقل ما زال حياً، لكنني سأقتله عندما أراه.

عادت صوفيا إلى المنزل في الحادية عشرة ونصف، وركضت نحو غرفتها، وأغلقت بابها ولم ترغب في الخروج؛ فناديتها:

- هل أنت بخير حبيبتي؟

- أنا بخير. دعيني وشأني!

وقفت عند بابها إذ لم تكن تبدو لي بخير.

كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل بكثير حين سمعت صوت سيارة، فاندفعت نحو نافذة غرفة النوم، وإذا بتوم ينزل من سيارة أجرة، فتشبث بالباب مدة ثانية ليثبت نفسه، ثم ضحك وقال شيئاً ما ثم لوح له. عدت إلى الفراش مباشرة وما هي إلا دقائق حتى دخل كأنما هو يوم عملٍ عادي. كان يرتدي بدلةً بمنديلٍ يخرج من أحد جيوبها. خلع ملابسه ونظف أسنانه واستلقى على السرير وظهره نحوي، فقلت له:

- أين كنت؟

- في مقابلة.

- ولماذا لم تخبرني أين كنت؟ ظننت أن خطباً حل بك إذ لم تردّ على مكالماتي.

- ماذا لو خرجت لليلة؟ ها أنت تخرجين دائماً. كان لدي اجتماع نهائي، وأنت من طلب مني البحث عن عملٍ هذا الصباح. أليس كذلك؟ ينبغي أن تكوني قادرةً على فهم مثل هذه الأمور بعد كل أمسياتك مع هاري تلك.

قفزت من السرير وطفقت أغلق باب غرفة نومنا إذ لم يكلف نفسه عناء خفض صوته رغم علمه أنني لا أريد أن يسمع الأطفال جدالنا.

- أنا لا أخرج أبداً قبل أن أخبرك أولاً.

جلس على السرير.

- مثالية أنت يا فايضة. مثالية، أما أنا فلا نفع مني ولا قيمة لي؛ كما أنني لا أتقن ما أصنع. كنت أحاول الحصول على صفقة. اتفقنا؟ صفقة من أجلنا؛ من أجل أن أعود إلى العمل. كانت اللحظة الأخيرة ولم تكن لدي شبكة في النادي، ولذا لم أتمكن من الرد على اتصالك.

- ما أردت قوله ...

- اللعنة!

جفلت إذ نظرت في عينيه.

كانت كلمات توم كلكمة لم أتوقع أن أسمعها من فيه بالذات.

عاد إلى الفراش، فأطفأت المصباح، ورميت بنظارتي وكتابي على الأرض، ثم حدثت في الحائط كمن يمعن النظر في الظلام.

سحبت الملاءة فوق رأسي وفتحت هاتفِي، ثم بحثت في غوغل: «لماذا تبدأ تصرفات الزوج بالتغير؟، فتراوحت الإجابات بين الزنا والمشكلات المالية وصولاً إلى فقدان الوظيفة أو المرض العقلي. حسناً، لقد كان متوتراً جداً. ما كان ينبغي لي أن أغضب كثيراً. ماذا لو كان مكتئباً؟ صادفت عنواناً يقول: «مخاوف من أزمة في الصحة العقلية داخل القطاع المصرفي بعد انتحار جديد في المدينة». لقد قفز رجل من موقف سيارات طابقي، وألقى آخر

بنفسه تحت مترو أنفاق. مصرفي ومحام.

شعرث بانزعاج من انتقاد توم بقسوة؛ إذ يمكن
للتوتر أن يخرج عن السيطرة، وهو لم يكن على
طبيعته قط.



ما إن رأيت توم في صباح اليوم التالي في أثناء إعدادي القهوة في المطبخ حتى اختفى غضبي، وقلت:

- مرحباً!

داعبت ذراعه العارية، فلم يرد، فقلت:

- انظر. أنت لم تكن على طبيعتك في الليلة الماضية. أعلم أنك تمر بوقت عصيب، لكن لا تلمني. علينا أن نتعاضد معاً.

استدار ليأخذ شيئاً من الطاولة.

اقتربت منه لأضع رأسي على صدره، فغدا صارماً. أمسكت بيديه ووضعتهما حول خصري، وقلت:

- أعتقد أنني أحتاج إلى تذكيرك بكيفية فعل هذا. عليك أيضاً أن تضع ذراعيك حولي.

حاولت أن ابتسم.

سحب يديه، ولم ينظر في عيني، فأضفت:

- أرى أن نستشير طبيباً ربما، فقد تنفعل بعض نصائحه. هل يمكننا أن نستشير معاً؟

- لا حاجة بي إلى المشورة، أحتاج إلى الوظيفة

وحسب، وهذا ما حاولت فعله الليلة الماضية. لا تتزلفي لي يا فايضة. أنا غاضبٌ منك لأنك تتصرفين بهستيريا السيطرة على كل شيء ثم أكون فجأة من يحتاج إلى طبيب نفسي إذن؟

لم يكن بوسعي سوى التحديق فيه بصمتٍ محاولةً التوفيق بين توم الذي أعرفه وتوم الجديد الذي تغير وجهه الهادئ وعينه اللتان كانتا تنظران إلي دائماً نظرة خاصة، ثم بات الآن يلوي شفتيه غضباً. كان توم القديم يستمع إلي، فإذا لم يوافقني ذكر السبب ثم قبل جبهتي بلطفٍ لإنهاء شرحه، أما توم هذا فقد رمى بكلماته في وجهي رامقاً إياي بنظرة جعلتني أتجمد. كانت نظرة احتقارٍ واضحٍ وغير مقنعٍ؛ فغضبه لم يكن من الحياة على ما يبدو، بل مني.

توجه نحو الباب ثم توقف للحظة وقال:

- من فضلك، ابقِ بعيدةً عني.

اضطرت إلى ركوب الحافلة والجلوس في قطار واترلو وتناول قهوتي المعتادة ثم الذهاب إلى المكتب، لكن كل هذا غاب عن ذاكرتي. ربما ألقى علي توم بقبلة يدوية من مسافة قريبة.



مع تقدم اليوم بدأت المشاعر في الظهور كأنها الإحساس الذي يعود إلى الأصابع الخدرة، فتراوحت تلك المشاعر بين حزني من قسوة توم المفرطة، ورعبي من أننا قد لا نتعافى من ذلك أبداً. هل كنا سعداء حقاً طوال هذه السنوات، أم أردنا إثبات خطأ الجميع بطريقة سيئة جداً جعلتنا نقنع أنفسنا أن زواجنا كان مثالياً؟

توجهت إلى مكتب هاري أحمل مطبوعات عرضي لصفقة نيويورك القادمة. لم يكن الوقت مناسباً لارتكاب الأخطاء، لكنني فشلت في التركيز.

كان هاري جالساً إلى جوار الحائط الزجاجي مغموراً بنور الشمس؛ فجلست على حافة الأريكة العميقة، ونشرت المستندات على المنضدة الزجاجية، وحرصت أن تكون مرتبة بشكل صحيح لأنه كان عميل هاري، وكنا نطمح في الحصول على حساب ضخم. لقد عملت على هذا الملف لأسبوعين سهرت خلالهما لوقت متأخر لا في المكتب فقط، بل في المنزل بعد أن ينام توم والأطفال كذلك. إذا حصلت على هذا العقد، فسانال مكافأة إضافية بقيمة عشرة آلاف جنيه.

بدأت في استعراض الشرائح، وبحث أشرح له ما سأقوله في عرضي التقديمي، وتمكنت من الإجابة عن جميع أسئلته، فلم يستغرق الأمر مني أكثر من

عشر دقائق، فقال:

- عظيم.

فاتكأت مرتاحة حين قال لي كلمات جعلتني أرفع رأسي:

- ولكن هنالك ملاحظة واحدة. كان عرضك في أمستردام مليئاً بالطاقة والعاطفة، وأعتقد أن هذا ما جعلنا نكسب في الواقع؛ ولذا فإنك في حاجة إلى زيادة المستوى قليلاً في نيويورك بينما تبدين لي أقل حماسة ولهفة بعض الشيء؛ فهل تقومين بتوفير كل الإثارة للعملاء؟

كان مبتسماً، لكنني لمست في وجهه شكوكاً. لقد وثق هاري بي، وعليّ أن أكون على مستوى تلك الثقة.

- سأفعل كل ما تتطلبه صفقة نيويورك؛ لكنني أعاني قليلاً من الصداع اليوم.

- فاي، لماذا لم تخبريني؟ لا بد أن هذا الضوء يقتلك.

وضغط زراً فنزلت بصمت ستائر معتمة كبيرة كأنها الأجفان فحجبت الشمس والمدينة وامتداد الزجاج، وغدت الغرفة غارقة في الظلام حميمة كغرفة فندق منتصف فترة ما بعد الظهر. استغرق الأمر منا بضع دقائق للتكيف مع الظلام، وكنت ممتنة لذلك لأنني لم أستطع مقاومة البكاء بعد لفتة هاري الصغيرة. في الثواني القليلة التي استغرقها في سكب كوب من الماء وإحضاره لي قبل أن يجلس إلى جوارِي، كانت الدموع تنهمر على خدي، ثم قال

لي:

- هيا! تعالي. هل أعطيك نوروفين؟

وتلمس ظهري بلطف لثانية واحدة فقط، فأثار بذلك شجوني، وبدأت في البكاء بلا حسيب أو رقيب.

دفع لي بعلبة المناديل فأشحت بوجهي في محاولة يائسة للتوقف عن البكاء. يا إلهي! لن يثق بذهابي لمقابلة العميل وأنا في هذه الحالة من الانهيار. بدأت أرتجف بعدما خطرث لي هذه الفكرة؛ فقال:

- فاي؛ ما الأمر؟

وربت على ظهري كمدرّب كرة قدم يربت على ظهر لاعب من لاعبيه إذا ما أصيب أو فوّت هدفاً.

- اشربي الماء.

ورفع الكأس إلى شفّتي كأنما كنت مريضة، فرشفت منه رشفةً ثم أخذت الكوب في يدي وقلت:

- أنا أسفةٌ جداً. أنا لا أحب ذلك أبداً. أبداً. ولا أقوم بذلك أبداً.

كان هذا صحيحاً، فتعابير وجهي لم تكشف يوماً إلا أمام توم، وهنا قلت:

- من فضلك لا تطردني.

- لن أطردك. نحن لسنا في وول ستريت. كلنا بشرٌ في النهاية!

حاولت أن أبتسم؛ لكنني لم أستطع؛ فقال لي:

- هل أنت متأكدة من أنه لا يوجد شيء آخر؟ يبدو الأمر أكثر من صداع! فاعلمي أنني هنا إذا أردت التحدث إلي، سواء كمدير أم كصديق.

وانحنى إلى الأمام ففاض عبير عطر حلاقتة المشبع برائحة الليمون والظيب، فحاولت التحرك على الأريكة فاصطدمت ركبتي بركبته ونكصت إلى الوراء فانسكب ماء الكأس على قميصي واتسعت بقعة البلل عبر حريره الأبيض؛ فأخرج منديلاً وبدأ بشكل غريزي بالضغط على البقعة التي كانت على صدري، بل فوق ثديي مباشرة.

أدركت أنا وهاري في الوقت نفسه ما كان يفعله، فأخذت منه المنديل، ولملء الصمت قلت دونما تفكير:

- أعاني من بعض المتاعب في المنزل.

- أسف لسماع ذلك.

رن هاتفه ونظر إليه، فقلت:

- لقد هدرت الكثير من وقتك. أنا آسفة لما جرى ... ومدرجة للغاية. هذا الصداع يقودني إلى الجنون، لكنني لن أكون هكذا أمام العميل.

- ظننت أننا صديقان، يا فاي. يمكنك التحدث معي.

كنت أحتاج إلى التحدث مع شخص ما، لكنني قلت

- كل شيء على ما يرام. فقط، شجار دار بيني

وبين توم ... لا أعرف، الأمر صعب ... إنه يبحث عن عمل، والسوق كساد في الوقت الحالي.

- لا ينبغي له أن يحملك وزر هذا. أرجو ألا تزعجك صراحتي؟

هزئت رأسي.

- أنت امرأة رائعة، يا فاي، فها أنت تعودين إلى ميدان العمل فتجنين المال لأسرتك وتقومين برعاية والديك؛ ثم إنك أم مخلص، ولا يخفى أنك قلقة بشأن توم أيضاً، ولذا عليه أن يشكرك لا أن يتشاجر معك.

- توم طيب جداً، لكنه ليس على طبيعته.

كنت أتفق مع هاري فيما يرى، لكنني كنت ملزمة بالدفاع عن توم حينما انتقده هاري. ولكن، ماذا لو كان هاري مصيباً فيما قال؟ شعرت بالرعب من أن ذلك قد يدمرنا. ربما لم أكن أنا وتوم بالقوة التي تخيلتها طيلة تلك السنوات، وإلا فلماذا فشلنا في أول اختبار لعلاقتنا؟

- لا شك في أنك تعرفينه أكثر مني؛ لكن الأصل أن يكون الزواج الرباط الداعم في الأوقات العصيبة. أليس كذلك؟ قال هاري.

لم أرفع رأسي، فقد كان محقاً، لكنني شعرت بالسوء لأننا تحدثنا عن توم بهذه الطريقة، فقال:

- ولاني سيكون لك دائماً.

- إنه وقت عصيب بالنسبة إلى كل منا.

فأوما برأسه.

- يمكنك التحدث معي في أي وقت إذا كان ذلك يساعدك. عليك الآن أن تترتاحي، ويمكن لسائقني أن يعيدك إلى المنزل.

- شكراً. هذا لطف بالغ منك.

ضممت قميصي أكثر، فنهضت وهاري معاً، فكان عليه أن يبتعد عن الأريكة حتى أتمكن من المرور، وعندما اقتربت منه رأيته يحدق في قميصي الذي كان اثنان من أزراره قد فُكا فبان ثدياي العاريان تحت صدريتي المصنوعة من الدانتيل. أمسكت بقميصي، لكن حركتي السريعة جداً أفقدتني توازني، فمد هاري يده ليحتضنني من جديد، واضطر إلى جذبني إلى صدره ليمنعني من السقوط.

أردت أن أمازحه بأني جعلت نفسي أضحوكة بكل الطرق الممكنة، أو أن أقول له إنه يظنني ثملةً، أو أقول: «عفواً! أسفة»؛ لكنني بقيت صامتةً. شدني بذراعيه فسمح لرأسي بالارتواء على صدره لأنني كنت في حاجة لمن يحتضنني. بدا لي الأمر كما لو أنني أشاهد نفسي من بعيد حين راح يربث على ظهري، وقال:

- ستكون الأمور على ما يرام.

فأومات إلى قميصه، وقلت عند ياقته، وقد رفعت يدي إلى رأسي:

- أسفة. أنا أشعر بالدوار قليلاً.

ظل صامتاً بينما بدأت يده التي كانت بين كتفي

تنزلق ببطء على حرير قميصي متعثرةً بنتوء
صدريتي إلى أن استقرت على خصري، فبقيت بلا
حراك ولا أنفاس ولا ممانعة، كان بارز العظام أكثر
من توم الذي كان أكثر صلابةً وأعرض أكتافاً وذا
عضلات أليفة. غريب أن أكون في أحضان هاري،
ولكنني كنت مرتاحةً في الوقت ذاته.

- فاي ...

وقبل أن يتمكن من قول المزيد سمعنا طرقاً قوياً
على الباب، وصوتاً قال:

- هاري؟ أنا أوليفيا. هل لي بالدخول؟

كانت الغرفة مظلمةً وأنا أقف على مرأى من الباب
ومسمع، وذراعا هاري حولي، وبلوزتي مفتوحة.
كنت أعلم أن أوليفيا ستأتي في أية لحظة فترى
كل شيء. و من دون تفكير هرعت إلى تجويف
صغير لالة القهوة في الجزء الخلفي من الغرفة خلف
مكتب هاري، ثم دفعت نفسي إلى الحائط فتحرك
هاري بالسرعة ذاتها وجلس إلى مكتبه، فلم أعد
مرئيةً على الإطلاق؛ فقالت أوليفيا:

- أواه! المكتب مظلم جداً هنا!

- «نور الشمس الساطع يقع على حاسبي.» قال
هاري.

- كنت أريد منك توقيع هذا الخطاب.

خدش قلم هاري الورقة وابتعد صوًث كعبي
أوليفيا، ثم أغلق الباب.

كان وجهي يحترق إذ لم أكن أعرف كيف أواجه

هاري. ما كان ينبغي لي أن أسمح له بعناقي على هذا النحو، كما لم يكن من حقي أن أتصرف هكذا مع رجل غريب حتى لو كنت غاضبة من زوجي.

كان لسلوك توم مسوغ ما، أما أنا فلا مسوغ لتصرفاتي التي لن تؤدي إلى تدمير زواجي فحسب، بل ستدمر صداقتي بهاري، وقد ينتهي بي الأمر إلى فقدان وظيفتي.

تركث الكوة، وقلث:

-أسفة هاري. لا بد أنك تظنني مجنونة تماماً!

لم أستطع النظر إليه، وحاولت الضحك ثم سرث نحو الباب، فقال لي:

-أنا من عليه أن يعتذر. أمل أنني لم أتخط حدود اللباقة؛ لكني كرهت أن أراك مستاءة هكذا.

-لا. أنا أسفة لاختبائي هكذا إذ خشيت أن تسيئ أوليفيا الظن، بينما كنت في غاية اللطف. أنا في غاية الحرج منك.

-لا مسوغ لخرجك. أفهمك تماماً. اسمحي لي أن أتصل بسائقي.

بدا يفقد الصبر لرحيلي الضروري، فأخبرته أنني أفضل السير قليلاً قبل استقلال سيارة أجرة، وذلك أنني لم أرغب في أن ينزلني سائقه عند منزل على بعد أقل من عشر دقائق من منزل هاري.

حاولت في طريق عودتي التفكير بعقلانية. لقد

عانقني كصديق لأنني كنت أبكي فقط! فلم يكن ذا قبلة، ولا مداعبة، ولا أي شيء مما لا يليق.

ودفعت جانباً كل ما راودني من أفكار حول إحساسي حين دفنت رأسي في صدر هاري وما شعرت به حين مس جسدي جسده. كان رد فعل فيزيولوجي لا أكثر، ولا معنى له أبداً سوى أنني كنت أحتاج إلى راحة أجدها في لمسة ولطف توم اللذين حرمني منهما لأسابيع خلت.

حينما وصلت إلى المنزل ترددت في الدخول إذ لم يكن توم يعلم أنني سأعود باكراً، فقد يبدو ذلك كأنما أتجسس عليه، لكنني قلت:

- مرحباً توم! هل أنت هنا؟

سمعت ضوضاء قادمة من غرفة الغسيل الخلفية، وهي غرفة لم يعرف توم بوجودها حتى وقت قريب.

كان يطوي الغسيل فعانقته من الخلف، وطوقته بيدي حتى استقرتا على حزامه القماشي، ثم أسندت خدي على ظهره، وقبلت عموده الفقري؛ فلم يصدني.

استدار نحوي فبدأ لي أنه عاد توم الذي أعرفه.

- كيف وصلت إلى المنزل؟

- بشق الأنفس، من نيويورك.

- حسن! لقد تلقيت للتو مكالمة طيبة من وكيل توظيف حول وظيفة مهمة.

كان هذا سرنا أنا وتوم؛ فبصرف النظر عن مدى سوء شجارنا نغدو سعداء جداً حين ينتهي الخلاف، فلا نتحدث عنه مرة أخرى. أردت دائماً أن أنسى مشاجراتنا، وقد اعتدت عليها وعددتها مؤشراً على ارتباطنا الوثيق، لكنني أتساءل الآن ما إذا كان ذلك دليلاً على ضعف ارتباطنا، فليس لي أن أتحقق من خطوط الصدع بيننا.

بدأ في تقبيلي، لكنني سحب رأسى للخلف. لو علم أنني قبل أقل من ساعة كنت أحضن هاري لأدى ذلك إلى تدميره، ولذا شعرت برغبة مفاجئة في الاستحمام، فقال لي:

- أنا أحمق. ما كان يجب أن أقول لك مثل تلك الأشياء.

- أنا حمقاء كذلك. ما كان ينبغي لي قول مثل تلك الأشياء.

ضممني بذراعيه وقال:

- رائحتك كعطر ما بعد الحلاقة.

كانت رائحة هاري قد تسربت إلى شعري ومسامي فاشتفها توم في.

- أوه! لعله من ذلك الزير الهرم في مترو الأنفاق. كان يجلس إلى جوارى وتفوح منه رائحة عطر ما بعد الحلاقة فعلاً. في الواقع، أعتقد أن علي أن أستحم بسرعة وإلا فلن أستطيع التوقف عن التفكير في مدى إعيائي منه. أف!

كنت قلقة بشأن رؤية هاري مرة أخرى، لكنه ابتسم لي في اليوم التالي وقال:

- هل أنت مستعدة تماماً لنيويورك؟

فأجبت بابتسامة:

- بل لا أكاد أطيع الانتظار.

لقد عدنا إلى طبيعتنا.



رن جرس الباب في وقت متأخر. كان ذلك في التاسعة مساءً، وكانت السماء تمطر فتبادلنا أنا وتوم النظر بدهشة، ثم ذهب وفتح الباب.

سمعت صوت سام، ولم نكن نلتقي قبل عطلة نهاية الأسبوع فنهضت، وسرعان ما انتابني القلق من أن تكون جوليا قد أبلغت المديرة، وأن سام جاءت لإبلاغي. دخلت الغرفة وفي وجهها بقع كما لو كانت لسعاً من نبات القراص. حدقت بها ورحت أتففس بسرعة فجأة. ماذا لو تم إبلاغ الشرطة؟

- سأصعد لتفقد الأولاد. قال توم وأغلق الباب خلفه.

- أسفة لإزعاجك بهذا الشكل؛ لكنني عرفت مكان المال. قالت.

فاضطررت إلى الجلوس، وجلست إلى جوارى وغطت يدي بيديها كما لو أننا ما زلنا صديقتين، فقلت لها:

- أين هو المال؟

- أنا جد أسفة. إنه خطئي. المال عندي، في منزلي، وقد أخبرت جوليا بذلك.

لم أصدق أنها سرقت المال ثم قذفتني بسرقة.

كان وجهها محمراً ندياً فطرقاً نحو الأسفل.

- هل أخذت المال؟

- لا! حسناً ... نعم. لا. أعني نعم، ولكن من دون قصد.

- لم أفهم. إن كان المال معك، فلماذا تركت تلك البقرة القذرة تتحدث معي بتلك اللكنة؟ ولماذا اتهمتنني؟ ما الذي يحدث يا سام؟

وراحت تنظر إلي.

- إنه لبس فظيع. في ذلك اليوم، وبعد أن بعث التذاكر وهممت بوضع المال في الخزنة، اتصلت بي أمي باكية تقول إن والدها لم يعد إلى المنزل طوال الليل؛ ومعلوم أن جدي متوفى منذ خمسة عشر عاماً. لم أسمع أمي تتحدث هكذا من قبل، ولذا أصبت بالذعر يا فايضة. كان من المروع أن أسمعها تقول مثل هذا الهراء. كنت خائفة مما قد تفعله في تلك الحالة الذهنية. لم أكن أعرف ما إذا كانت قد تغادر المنزل أو تحرقه. على أية حال، أغلقت الخزنة وذهبت إليها مباشرة.

- أوه! سام. هل هي بخير؟

- «نعم.»؛ أومأت سام برأسها. «لقد عادت إلى طبيعتها كشخص أدار مفتاحاً. على أية حال، في غمرة ذعري لم أضع كل الأموال في الخزنة، بل تركت بعضها في حقيبتني من دون أن أدرك ذلك. أنا أستخدم هذه الحقيبة فقط.»؛ قالت مشيرة إلى حقيبتها الزرقاء التي تضاهي حجم عربة الأمتعة. «أستخدمها في أيام إجازتي، وفيها من القمامة ما

جعلني لا أرى المال حتى هذا الليلة إذ كنت أبحث في قعرها عن قلم فأدركت حينها ما حدث، واتصلت بجوليا من فوري، ثم هرعت إليك كالمجنونة، لأنني كنت متأكدة أنك لن تتحدثي معي إذا ما اتصلت بك ... ولا ألومك طبعاً.

حدثت محاولة استيعاب كل شيء، ثم قلت:

- لقد كنت قلقة للغاية، وخشيت أن تنشر جوليا الشائعات عني، وتبلغ المدير، وربما فعلت ذلك فعلاً.

- لا. لم تقل أي شيء.

اقتربت سام، وقالت:

- أهم شيء هو أنني أريد أن أعذر.

كانت عيناها تلمعان في أقرب منظر رأيته لبقائها؛ فقالت:

- لا بد أنني سأجن يا فايضة. أمي من جهة وجيمس من أخرى، ولا أعرف ما إن كنت أستطيع التحمل أكثر! وتوقفت لبرهة قصيرة لاهثة، فتراءى لي أنها تريد إخباري بالمزيد؛ لكنها تواجه صعوبة في العثور على الكلمات. ثم هزت رأسها كأنما تجمع شتات أمرها، وأضافت: «أعني هوسه بإثارة إعجاب والديه الذي يؤثر فينا أيضاً. لا أعرف ما إذا كنت لا أزال راغبة في ذلك كله.»

- مسكينة أنت وجيمس.

لم أفهم كيف ساءت الأمور بينهما.

-الوضع صعب يا فائزة. لقد تغير جيمس ولست متأكدة من قدرتنا على تجاوز الأمر.

ضممها وتنهدت.

-كان والداه من بدأا في فعل الشيء ذاته مع أطفالنا، فهما يمتدحان من يحصل على نجمة الترتيب الأول، ويتجاهلان من لا ينال المرتبة الأولى، وها هو جيمس يفعل الشيء ذاته الآن، فقد تناول في أثناء الأمسية المخصصة للوالدين دفتر ملاحظات لمقارنة نتائج أولادنا بنتائج الطلاب الآخرين في الفصل، فبدأ كمن يتحقق من نتائج استثماراته، وأنا أخشى أن يفسدهم كما أفسده والداه.

-لن يحدث ذلك ولهم أم لطيفة مثلك.

وتحدثنا قليلاً بعد ذلك ثم نهضت، وقالت:

-أنا أسفة. ما كان ينبغي لي أن أستمع إلى جوليا. أتمنى أن تسامحيني.

- فلنس كل شيء. قلت وقد عنيث ما قلت.

كانت سام تمر بوقت عصيب، فأخطأت لكنها اعتذرت؛ ثم إنني فكرت قبلها في أخذ المال. أليس كذلك؟ رغم جرحي وغضبي إلا أنها لم تكن بذاك البعد عن الحقيقة.

كنت قلقة بشأن سام وجيمس، إذ كان من المخيف رؤية مدى سرعة انهيار زواج كزواجهما. شعرت برعشة هذه الفكرة تسري في أوصالي بينما أهم بالنوم.



كان توم مستلقياً على السرير يتصفح الأخبار بينما أنا أحزم أمتعتي إلى نيويورك، فقلت:

- هل تذكر يوم ضللنا طريقنا في سنترال بارك فأنتهى بنا المطاف في عربات تجرها الخيول؟ ثم تناولنا لفائف الكركند في مطعمٍ بالقرب من متجر أبل.

نظر إلى الأعلى وابتسم.

طويث فستاناً أزرق داكناً كنت قد خططت لارتدائه في أثناء العرض، وفستاناً من الحرير الأحمر يناسب تناول العشاء مع العملاء.

- عزيزي، لا تنس أن لدى أحمد معسكر كرة قدم طيلة الأسبوع المقبل وأنا سأأخذه عند دانيال أيضاً.

كان جدول العطلة الصيفية صعباً بالنظر إلى كل تلك الواجبات والألعاب والأنشطة وتوصيل الأطفال جميعهم.

- هل ستكونين وهاري في هذه الرحلة وحدكما؟ قال توم.

- نعم، لكننا لا نسافر معاً.

احمر وجهي، والتفتُ بعيداً وانحنيت لأخرج

الأقراط من الدرج مدركة أنه كان يراقبني. تفحصت
الأقراط في يدي، وتركت شعري يتساقط إلى الأمام.

- إذن، فستذهبين أنت وصديقك المفضل الجديد
في رحلة معاً. هذا رائع!

- إنه ليس صديقي المفضل، بل رئيسي. قلت
مبتسمة، أنت أفضل أصدقائي.

ولما لم يردّ فهمت أنه ربما يشعر بالغيرة، ولكن،
كم مرة غادر مع زميلاته الشابات حين كنت حاملاً،
أو في المنزل مع أطفالٍ صغارٍ متعبةٍ تعباً جعلني
عاجزةً حتى عن حك رأسي؟ لقد شعرت حينها
بما يشعر به الآن تماماً، لكني لم أسخر منه بهذه
الطريقة.

حاولت طمأنته بالذهاب لأخذه بين ذراعي، وقلت:

- لا أظن أنك تشعر بالغيرة. أليس كذلك؟ وضحكت
ثم أمسكت بيده، لكنه سحبها بعيداً، وقال:

- ليس في الأمر ما يضحك. أظهرني مزيداً من
الاحترام لي من فضلك.

- توم. كنت أمزح لأن الفكرة سخيفة. إنه زميل
عملي، وأنا ذاهبة إلى نيويورك بقصد العمل، لا بقصد
الهروب مع رجلٍ آخر!

حتى وأنا أقول هذه الكلمات، شعرت بوخزة
الذنب. لقد شرحت علاقتي بهاري على أنها صداقة
بسيطة في المكتب؛ لكن توم سيفغضب إذا ما علم
أنني وهاري حينما عملنا حتى وقت متأخر جلسنا
متجاورين على أريكته، وأقدامنا على طاولة

القهوة واضعين حاسبينا المحمولين في حجرينا، كما لم أذكر له اليوم الذي ذلك فيه هاري رقبتني عندما تعرضت لتصلب مفاجئ في رقبتني. كنت في مكتبه، وكان باب مكتبه مفتوحاً. لقد كان صديقاً يخفف آلام عضلاتي فقط، لكنه أدخل أصابعه داخل قميصي لتصل إلى الجزء المؤلم من رقبتني. لم يكن توم ليفهم هذا، ولا أنا بطريقة أو بأخرى، لكننا لم نرتكب أي خطأ.

قال توم بينما كنت أغلق حقيبتني:

-أحتاج إلى الوصول إلى أموال الطوارئ في حساب مكتب البريد. أنت تسافرين كثيراً وقد أحتاج إليه في أثناء وجودك بعيداً. هل يمكنك إضافة اسمي إلى الحساب؟

-حسناً. بالتأكيد. قلث وراح رأسي ينبض، سأتولى ذلك حال عودتي من نيويورك.

-تيقني من القيام بذلك من فضلك، فأنا أطلب ذلك منك منذ شهور فتعديني بذلك ثم تخلفين.

لم أستطع النوم طوال الليل. كنت سأعود من نيويورك في غضون ثلاثة أيام بينما لن تصل مكافأتي قبل شهرين، وقد أخبرني مدير البنك أنني قد تجاوزت حد القرض الذي يمكنه منحه لي، ثم إنني حتى لو تمكنت من الحصول على قرض آخر من مكان آخر فلن يكون لدي مبرر لعدم إضافة توم إلى حساب البريد الذي لم يكن موجوداً.

لم يودعني توم عندما غادرث إلى المطار. كانت الرحلة في وقتٍ باكر فتظاهر بالنوم عندما انحنيت لأقبله على خده ومسدت شعره. وددت لو أعود إلى

سريره وانسى كل شيء آخر.
-أحبك. همست له وغادرت.



لم أذهب قط إلى نيويورك من دون توم، إذ كانت نيويورك مكاننا المفضل، وخيارنا الأول للاحتفال بعيد ميلاد أو قضاء إجازة نادرة بلا أطفال. في أثناء جلوسي في سيارة الأجرة، كانت الصورة البالية لهوية السائق المدعو محمد، وشاشة التلفاز الصغيرة التي تتحدث بحمايس عن حريق في بروكلين مألوفين بالنسبة إلي. وضعت راحة يدي على المقعد المغلف بالبلاستيك فشعرت أن من الغريب ألا أجد يد توم فوق يدي بينما نندفع بعيداً عن المطار.

فتحت هاتفي وتفحصت رسائلي على أمل تلقي رسالة نصية من توم يخبرني فيها أنه يحبني أو يتمنى لي قضاء وقت ممتع أو يعتذر، لكن أية رسالة لم ترد؛ فأدركت بصدمة أن هذا لم يعد يفاجئني، ومع ذلك، فقد شعرت بالإنارة عندما اقتربنا من مانهاتن. كنت أنا وتوم نحرص على رؤية مبنى كرايسلر والأفق يتلألأ كما لو كان يرحب بعودتي.

التقطت صورة وأردت إرسالها إلى توم، لكنني تذكرت ملاحظته حول «رحلات عملي الطويلة» ففضلت أن أرسل له رسالة نصية: «لقد هبطت بسلام، وأنا في طريقي إلى الفندق. أتمنى أن يكون كل شيء على ما يرام في المنزل.» ولم أستطع مقاومة إضافة كلمة «أفتقدك.» أجابني مباشرة برمز تعبيري: إبهام للأعلى.

كنت قلقة بشأن احتمال مكوثي وهاري في المكان ذاته، لكنني ارتحت عندما أخبرني مساعده أنه لا يزال يقيم في فندقٍ حصريٍّ بالقرب من سنترال بارك، بينما جرى تدبير إقامة الفريق في فندقٍ آخر وسط المدينة.

في غرفتي، توجهت مباشرةً إلى النافذة لأشاهد حركة المرور المستمرة على الطرق والأرصعة فشعرتُ بالطاقة تسري نحوي في الطابق الثلاثين. جلستُ على السرير وتحسستُ الملاءات القطنية مستمتعةً بالصمت. شعرتُ أن رأسي يدور كشريط التسجيل لعدم وجود قائمة مهام ثابتة أنفذها.

لم أتمكن من التحدث إلى أمي وأبي قبل مغادرتي، ولم يكن أيٌّ منهما يتقن المراسلة النصية في هواتفهما المحمولة. كانا سعيدين برحلتني عندما رأيتهما نهاية الأسبوع الماضي، وقدما لي قائمةً بمسكنات الألم لأشترئها، وبأدوية أخرى لأمراضٍ مختلفة، وكان توم قد أخبرني أنه سيتفقد أخبارهما.

تأخرت طائرة هاري في هيوستن، ولذا لم نتمكن من الذهاب إلى العرض في اللحظة الأخيرة. كان قد أخبرني أنه سيقابلني في مكتب العميل، فإن تأخر كان عليّ تقديم عرضي بنفسني، فأرسلتُ له رسالة:

- وحدي؟

- نعم. ستكونين بخير. هذا أمر!



انتهى العرض، فانفجرت وهاري ضحكاً حين وقفنا خارج مكتب العميل قرب براينت بارك؛ ثم هنأني فوكزته؛ فقال لي:

- أحسنت صنعاً، يا فاي.

كان الطنين لا يزال يلزمني. وصل هاري لحظةً طرحي الأسئلة والأجوبة، ثم قدمته العميل ماكس إلى هاري، من دون أن أقدم هاري إلى ماكس الذي قد باع شركته للتو، وكان لديه الملايين لاستثمارها. ما إن شرعت في عرض الشرائح حتى نسيث الخوف، فأجذث استخدام مهارات المحاكاة متظاهرة أنني كنت أقوم بهذا العمل منذ سنوات.

سألني هاري وهو يفك ربطة عنقه.

- هل أنت متعبة؟

هزئت رأسي نفيًا إذ كنت أرغب في الاستمتاع بالإثارة والنجاح واستعادة الثقة في عملي مرةً أخرى، ولأول مرة منذ سنوات.

شعرت أيضاً أن عبئاً كبيراً قد أزيح عن كاهلي إذ رحلت أحقق الأهداف التي حددتها لنفسي وصولاً إلى نيل المكافأة، فقد كنت أتوق إلى إعادة المال إلى والدي، فقلت مبتسمة:

- لست متعبةً على الإطلاق!

- وأنا كذلك. فلنتناول الشراب احتفالاً بالمناسبة.
سيكون من الجيد تدوين بعض الأشياء التي
ذكروها للتو حول خططهم الاستثمارية.

لم أكن أريد أن ينتهي الاحتفال أيضاً، ولأنه كان
احتفال عمل، فقد استرخيت إذ كنت أعلم يقيناً أنه
كان سيفعل الشيء ذاته لو أن إيفان أو ديفيد كان
رفيقه في هذه الرحلة بدلاً مني.

في الفندق الذي يقيم فيه، قادني هاري إلى غرفة
بلا نوافذ فكانت ذات إضاءة خافتة وأرائك مخملية
حمراء، ولها جدران تعكس بضابية صورة أي شيء
يقع عليه نظري، وكانت في إحدى أركانها امرأة
تعزف البيانو فترن نغماته مهتزة في جميع أرجاء
الغرفة. كانت المرأة تتأرجح في أثناء عزفها بشعر
كستنائي وصدر أبيض تحت ثوب أحمر، فقلت:
«واو!» متعجبةً أتلفت حولي إذ قادتنا المضيئة إلى
طاولة في الجزء الخلفي من الغرفة رغم أن البار
كان فارغاً تقريباً.

- كعادتك، يا هاري؟ قالت.

- شامبانيا من فضلك، يا ماغي، نحن نحتفل. هل
يناسبك ذلك، يا فاي؟

- سأخذ كوباً واحداً فقط. شكراً لك. بعد ذلك،
فليكن كوكاكولا زيرو إن كنت لا تمانع، فقد تناولت
حدي من الشراب مع ماكس، ولكن نظراً لأنها
مناسبة خاصة ...

كنت أرغب في تناول شيء ما أيضاً؛ فقال لي كأنما

يقراً أفكارى:

- وماذا عن بعض رقائق البطاطس؟ أو أي شيء
تفضليه؟

- البطاطس المقلية ستكون رائعة، فأنا جائعة جداً،
لكني كنت محرجة جداً من طلب ذلك!

- لا أحد يحصل على فرصة بتناول الطعام بشكل
صحيح في اجتماعات العمل تلك. شيبس وشراب
إن.

- هل تسمح لي بلحظة؟ أريد تفقد الأطفال في
لندن قبل فوات الأوان.

ذهبت إلى الردهة، وشعرت بالارتياح للحصول
على إشارة، فاتصلت بتوم وذلك حوالي الساعة
الحادية عشرة. لم أستطع الانتظار لأخبره كيف
دخلت بمفردي وكيف نجحت في عرضي، فقلت:

- مرحباً! كيف حالك؟

- بخير. بخير. لماذا تتصلين من هاتفنا الخلوي
الشخصي وأنت تعلمين أن ذا يكلف ثروة؟
استخدمي هاتف العمل.

- أنت على حق، لكن تلك البطارية نفدت، وأردت
حقاً أن أتحدث إليك عن العرض التقديمي الذي سار
على نحو جيد يا عزيزي! لقد تأخر هاري فاضطررت
إلى الاعتماد على نفسي، لكن العملاء أحبوا ذلك
وحصلت على الحساب! هاري يقول ...

- رائع.

تحدث من دون عاطفة كما لو كان يتوق لإنهاء
المكالمة.

بدأت أشعر بالغضب؛ فقلت:

- ينبغي أن تكون سعيداً من أجلي.

- أنا سعيد جداً. اتفقنا؟ أتمنى أن لدي الوقت
لمناقشة ما قاله هاري، لكن الوقت قد تأخر، وأنت
تهدرين المال باستخدامك هذا الهاتف.

- لماذا أصبحت بهذا القرف؟

أغلقت الخط، والدموع في عيني. كم من الوقت
يجب أن أستمّر في المحاولة والمحاولة معه؟ ما
الفائدة؟ أي زواج ذا الذي ينهار بهذه السرعة؟ كنت
جالسة على ذراع أريكة في الردهة ولم ألاحظ أن
هاري قد دنا مني، فأملت ألا يكون قد سمع شيئاً،
لكنه قال:

- أسف. لقد سمعت رغماً عني. هل كل شيء على
ما يرام؟

- هل لنا ألا نتحدث في الأمر من فضلك؟

حاولت تهدئة نفسي.

- بالتأكيد. بالتأكيد. أعتقد أن هنالك زجاجة
شامبانيا عليها اسمانا. نحتاج أيضاً إلى وضع خطتنا
الاستراتيجية، فلدي غداً مقابلة مع ابنة أخ صديقي
لي من أكسفورد، والتي تريد إجراء فترة تدريب
داخلي، فهل تعتقدين أنك قادرة على تخصيص
ساعة لهذه المقابلة معي؟

- طبعاً بكل سرور. أجبته ونحن عائدان إلى الحانة.

بدأت أشعر بمزيد من الثقة والسيطرة باعتباره
يواصل الحديث عن اجتماعاتٍ قادمةٍ في لندن.

حاولت أن أنسى المكالمة الهاتفية، وشعرت
بتحسنٍ بعد أول رشفةٍ من الشمبانيا. عادةً، لا يسمح
لي جزئي الباكستاني بشرب أكثر من كوبٍ واحدٍ،
لكني لم أمانع في ذلك المساء من شرب كأسٍ آخر
سكبه لي هاري رغم أنني كنت أشعر بالدوار أصلاً بعد
كأس النبيذ مع العملاء.

وصلت النادلة ومعها وعاء من البطاطس المقلية
على البخار.

- ما رأيك إذن في استراتيجيتنا الشاملة الخاصة
بماكس؟

أكلنا البطاطس المقلية، وبين رشفات الشمبانيا،
فكرنا في خيارات الاستثمار؛ ولما انتهينا استندت
إلى الكرسي المخملي وأغمضت عيني فانتابني
شعورٌ بفتور السلام، كما لو أن عقلي انطفأ، فقلت:

- يا له من يوم!

- لا أقصد التطفل، ولست ملزمة بالإجابة؛ ولكن
هل كل شيء على ما يرام في بيتك؟

نظرت إليه.

- نعم. لا. أوه! لا أعلم! إن كل محادثاتنا تنتهي
بالشجار هذه الأيام. أعلم أن ليس لتوم ذنب فيما
يجري، وأعلم أنه متوتر للغاية، ولكن أنا كذلك ...

لم أستطع أن أخبره أن قلبي ينفطر كلما تحدثت مع توم في الآونة الأخيرة، وأن خوفي من انفراط عقد زواجنا يزداد، وأني فيما مضى كنت أظن أنه لا توجد ريح يمكن أن تهزنا، وأني تحدثت طفولتي وتشاؤم أختي فرح بشأن إمكانية نجاح زواجنا، فماذا لو كان ما ظننته انسجاماً وقرباً كان احتكاًكاً لطيفاً فقط. كنا خلاله مشغولين بالأطفال فلم يمسننا سوء قبل الآن؟

تساءلت ما إذا كان توم مهتماً ومحباً فقط؛ لأنني لا أدخر جهداً لأكون مثالية. عندما كان يعود من العمل يجد الأطفال قد أطعموا وأشربوا وخلت مشكلاتهم على يدي، ثم أكون مستعدة بأحمر الشفاه وإكسسوارات أكوا دي بارما الإيطالية، وعشاء لشخصين، وورود من الحديقة، وشمعة للاسترخاء، فأتجاهل معظم الخلافات، وأسعد بالاستسلام له؛ فلم نكن نتشاجر قط كوالدي لأنني لم أتح الفرصة للشجار قط. حتى الآن.

- إنه يبدو شخصاً مختلفاً الآن. قلت.

- اسمعي؛ قد أكون مخطئاً تماماً، لكنني ملزم كصديق أن أخبرك. هل تعتقدين أنه على علاقة بأخرى؟ فهذا ما حدث لصديقي الذي خدع زوجته ثم راح يوغل في انتقادها لجعلها تشعر بالذنب دائماً.

- لا! ما كان توم ليفعل ذلك بي أبداً.

هزرت رأسي مرات عدة نفيًا، لكنني في قرارة نفسي لم أكن متأكدة. لم يكن توم القديم، تومي أنا، يفعل هذا أبداً، لكنه أذاني مؤخراً بطرق لم

أكن أتخيلها قط، ولذا لم أكن واثقةً من ذلك رغم
تظاهري بالثقة.

تحركت فانزلق ذيل ثوبي الحريري قليلاً كاشفاً
فخذي؛ فوقعت عينا هاري عليهما، ثم نظر في
وجهي، وقال:

- جيد، لأنك لا تستحقين هذا، فأنت من أروع من
قابلت على الإطلاق.

ابتلعت لعابي بينما جابت عيناه وجهي بالكامل،
وشعرث بأطراف أصابعه تداعب بشرتي، فنظرث
نحو الأسفل، وقال:

- ربما تكونين على حق. وتنهد، لعله يتصرف هكذا
تحت وطأة التوتر، وأنا أفهم ما قد يفعله التوتر
بالزواج؛ فابنتي أمبر تعاني من اضطراب في الأكل
منذ عامين، فلم نحسن أنا وجوليا التعامل مع الأمر
لينتهي بنا الأمر إلى الشجار حول كيفية التعامل مع
الموقف، وبتنا كالأعداء فجأة بدلاً من التضاfer.

- أنا جد أسفة. كيف حال أمبر الآن؟ سألته.

فاستطعت أن أرى الألم محفوراً على وجهه في
هيئة لم أرها فيه من قبل فكانما خلع قناعاً ووضع
جانباً. كنت أعرف شعور العجز هذا من حالة مرض
أحمد. كان على وشك الرد على سؤالي حينما
بدأ هاتفني في الرنين، فنظر كلانا إليه، فكان توم
المتصل؛ فقال هاري:

- تفضلي. أجيبني.

اعتدل في جلسته قليلاً، وأدار حزام ساعته؛

فهزئت رأسي، وقلت:

- يمكن تأجيل ذلك.

ربما كان توم يتصل من أجل أن يقدم اعتذاراً شكلياً، لكنني لم أكن مستعدةً لسماع ذلك بعد أن أذاني، فقد كان العرض الذي قدمته نجاحاً كبيراً بالنسبة إليّ، وكان يعلم مدى توتري وصعوبة ما كابدت للوصول إليه.

تذكرت كم اتصل بي على مر السنين ليخبرني عن عقد فاز به، أو ترقية نالها، أو عرض عمل ما فأصرخ بسعادة، وأخبره بفخري به، وأسرّ به كما أسرّ لنفسي، أما هذه المرة، فلن يمر الأمر بسهولة. توقف الهاتف عن الرنين، ثم بدأ مرةً أخرى حتى توقف.

ظهر نص: «اتصلي بي.»

- أسفهٌ حيال ذلك! قلت.

أطفأت الهاتف وألقيته في حقيبتي.

من يظن توم نفسه؟ قبل نصف ساعة، كان «الأوان قد فات» لاتصالي به، وعندما شعر بالرغبة في التكفير عن عذاب ضميره بدأ في مضايقتي.

التفت إلى هاري، فقال:

- الزواج، أليس كذلك؟

- فعلاً! هل تعلم أن عشرين عاماً من زواجي تعادل حكماً بالسجن مدى الحياة؟ ألا أستحق الخروج لقاء حسن سلوكي؟ ولو لإجازة؟ قلت مبتسمةً في محاولة لتحسين حالتي.

-أعتقد أنني أحتاج إلى إجازة أيضاً. لقد تزوجنا منذ خمسة عشر عاماً. تزوجنا وكانت أمبر في ربيعها الثاني وأنا أتهياً لإنهاء إجراءات طلاق زوجتي الأولى.

لم تأت جوليا قط على ذكر زوجة سابقة، ولا أعتقد أن أحداً يعرف أن هاري قد تزوج من قبلها.

- لكن كل شيء سار على ما يرام؛ لأن أمبر كانت زهرتنا. قال مبتسماً للذكرى.

-كيف حالها؟ لن أخبر أحداً طبعاً.

سكت للحظة كأنما يقرر ما إن كان سيبوح بشيء، ثم قال:

-أعلم ذلك، يا فاي، فأنا أثق بك، لكن الحديث عن الأمر مؤلم بالنسبة إلي. لقد غدت أفضل حالاً، لكن أحداً لا يستطيع أن يخبرنا بما يخبؤه المستقبل. لا أعرف ما إذا كانت ستتمكن من الذهاب إلى الجامعة أو العثور على وظيفة أو الزواج أو الإنجاب.

ضاق صدري. يا لها من ابنة مسكينة. لم أعرف ماذا أقول، ولم تكن لدي أية فكرة عن هذا، ولا أظن أن صوفيا أو الفتيات الأخريات يعرفن أيضاً.

قام هاري بتدوير هاتفه على الطاولة، وأسبل جفنيه حتى مست رموشه السوداء خديه، ثم قال:

-لم أخبر أحداً بذلك قبل الليلة، ثم إنني لا أريد إفساد احتفالك.

-لا بأس عليك.

وضعت يدي فوق يده لأطمئننه، وقبل أن أتمكن من سحبها بعيداً أدار يده حتى تلامست راحتنا كفيماً، ودس أصابعه بين أصابعي وضغطها بسرعة وقال:

- شكراً لك.

حان وقت فصل يدينا وانقضى من دون أن يتخذ أيّ منا المبادرة لذلك، ثم نظر إليّ فشعرث بارتعاش الشعر على ذراعي.

جاءت النادلة فوضعت يدي في ججري، فقالت وهي تزيل أكوابنا الفارغة:

- لدينا عرض ضوئيّ ليزريّ على السطح سيبدأ خلال بضع دقائق إن كنتما مهتمّين.

- أحب ذلك! قلث وأنا أنهض.

لم أكن أرغب في إبعاد يدي وهذا أخافني، ولذا كان من الأفضل أن نترك الطاولة.

- عرض الليزر إذن. ابتسم هاري، أنت تتحمسين لأغرب الأشياء.

- أنا أَرْضَى بسهولة. قلث مبتسمةً، وأضحك على نكاتك. أليس كذلك؟

- ماذا!!

وضحكنا ونحن نسير نحو المصعد، ومرت اللحظة فأخذت نفساً عميقاً ممتنةً لتمكّني من الهروب بأعجوبة.

عندما أغلق باب المصعد تحرك هاري للوقوف

أمامي، فتراجعت إلى الخلف قليلاً ونظرت إلى الأسفل؛ فلما تحدث كان صوته أعمق دون أدنى أثرٍ لابتسامة، وقال:

- فاي، نحتاج إلى التحدث عما حدث للتو.



كان عليّ أن أرفع نظري وقلبي ينبض بسرعة. لم أجد ما أقوله. كانت البقع الخضراء في عينيه تومض فنظرتُ إلى يدي اللتين كانتا مشتبكتين معاً حين واصل الحديث فقال:

- عندما أمسكت بيدك للتو لم أرغب في تركها. لا أقصد أن أكون غير محترم، لكنني أعتقد أنك شعرتِ بذلك أيضاً. لقد أحببت الوقت الذي نقضيه معاً. لا أجد نفسي مضطراً للتظاهر حين أكون معك، بل يمكنني أن أكون على سجيتي، هذا ناهيك أني شعرتُ بالرضا عند حديثي أخيراً عن أمبر. أنا معجب بك حقاً.

أخذ يدي وأمسك بها، وكنتُ أعرف أن عليّ سحبها، لكنني شعرتُ كأنني مشلولة، وأني بحالة جيدة، وتمنيث لو أن شعوري هذا لا يتوقف. لقد كان لطيفاً للغاية إذ وثق بي بما يكفي ليخبرني عن ابنته. وحين راودتني الشكوك كنتُ أدفعها. إنها لحظة فقط، لحظة واحدة فقط خلال عشرين عاماً.

أحسستُ بمغصٍ في معدتي فلم أعرف ما إذا كان ذلك بسبب صعود المصعد إلى السطح أم لأن هاري يمسك بيدي بشدة. لا بد أن ذا هو السبب. لقد أدركتُ مدى افتقادي للعاطفة والاهتمام الذي حرمني منهما توم. كان حبّه سعادتي ومأمني وملاذي وكل شيء، بل كان خبز جزء من يومي هو

النوم إلى جواره ورؤية وجهه عندما أستيقظ. أما الآن فقد ذهب كل ذلك ورحلت أتساءل ما إذا كان كل ما بيننا متيناً كما اعتقدت. عندما أمسك هاري بيدي تلاشى من رأسي حزني على توم. أحسست ببشرة هاري في بشرتي ونسيث كل شيء سواه.

فتحت أبواب المصعد مباشرة على الشرفة، وغمست قدمي في الظلمة الدافئة، ولما بتنا وسط الحشد حرك هاري يده إلى ظهري فوق خصري مباشرة، ثم تباطأت أصابعه وراحت تداعب ظهري، أما أنا فرفضت التفكير فيما يحدث، لكنني كنت أتنفس بشكل أسرع، وأحسست بامتنان للضوء والظلام اللذين منعاه من رؤية ذلك.

بدأ العرض، وظهرت شذرات النيون الوردية والأزرق والأخضر تشق عباب السماء كما لو أنها تتقاتل فيما بينها، وكانت الموسيقى تُعزف على قدم وساق وهاري يضع ذراعه حول خصري مغنياً مع أغنية لديفيد بوي. كان يعرف كل كلمات الأغاني، وطلب مني الانضمام للغناء معه، وسرعان ما رحنا نغني بأعلى صوتينا شاخصين بأبصارنا نحو الأضواء أعلاه، ثم إلى ناطحات السحاب المتلألئة في الأسفل. شعرث كأنما نحن على متن سفينة فضائية أخذتنا بعيداً عن الواقع.

هبت موجة مفاجئة من الناس خلفنا، فشد هاري ذراعه حولي.

- فلنعد إلى الخلف قليلاً. قال بصوت أعلى من الموسيقى وسحبني بعيداً عن الحشد وهو ممسك بيدي بينما انسحبنا ووقفنا في ركن بعيد عن الآخرين، ثم قال:

- لم أقابل شخصاً مثلك قط، يا فاي، أعتقد أنني أقع في حبك.

- هاري، أنا معجبة بك أيضاً، لكننا أصدقاء ...

- أعلم. أعلم، لكن قل لي بصراحة، ألا تشعرين بالتحسن عندما نقضي الوقت معاً؟ لا يمكنني التحدث بهذه الطريقة مع أحد سواك، ولا حتى جوليا. أعلم أنك شعرت بالشعور ذاته هناك في الأسفل، فكم كانت احتمالات أن نلتقي أنت وأنا يوماً ما ونقترب بهذا الشكل؟ إن كنت وتوم على ونام، فلماذا أنت معي هنا؟

كان على حق في كل ما قال. لقد جعلني أشعر بتحسني فعلاً، بل رحت أطلع إلى رؤيته في كل يوم من دون أن أعرف ما أفكر فيه. عدت خطوة إلى الوراء حتى اتكأت على الجدار.

تقدم ليقف أمامي ويضع يديه على الحائط على كلا جانبي، لكنه لم يحاول أن يلمسني. شخصت ببصري نحو عينيه فلم يتحرك. تنفست بسرعة وأنا أراقب فمه الذي بدأ يدنو بوجهه من وجهي كما في العرض البطيء. بدا لي وجه توم، وتخيلته يراني مع هاري. لا شك في أن ذلك سيفطر قلبه. لقد أحببت توم. أعلم ذلك. ابتعدت واضعة يدي على صدر هاري.

- ماذا دهالك؟ هل تريدان الذهاب إلى غرفتي؟ همس وهو يتنفس قرب وجهي، ويداعب شعري ويدفعه إلى الخلف برفق محدقاً في عيني.

- أنا أسفة، لا يمكنني فعل هذا. قلت وأنا أهز

برأسي.

دفعته بعيداً وسرت نحو منتصف السطح.

- ماذا؟ قال وقد بدا مرتبكاً.

- أنا أحب زوجي يا هاري. همست وغطيت وجهي بيدي.

- إن كنت تحبين توم، فما الذي حدث بيننا إذن؟ أنت تعلمين أنك ما كنت لتقبليني لولا أن شيئاً ما يخالجك نحوي، فاي، أريد أن أكون معك وأعلم أنك مثلي في هذا. لا يمكننا تجاهل ما نشعر به.

فتحت عيني فأضاءت الأضواء الساطعة من عرض الليزر وجهه ورأيت أنه يبتسم. تلمست أصابعه خدي فأخذت خطوة إلى الوراء فسحب يده وتجهم.

- أنا متزوجة، وما نفعله عين الخطأ، وقد يتسبب في قتل توم إن اكتشف الأمر. لا أستطيع فعل هذا يا هاري. أظن أن كلينا انجرف بعيداً بلا وعي.

اختفت ابتسامته وحقق في وجهي، وصرخ بصوت أعلى من صوت الموسيقى، لكنني أعتقد أنه كان سيصيح حتى لو كنا في غرفة هادئة فقال:

- لقد تزوجنا أيضاً منذ خمس دقائق، ألم أقبلك! ما الذي تغير فجأة؟

كان الأمر كما لو أن ملامحه قد زتبت من جديد فبدا على غير ما كان حين تلفظ بكلماته.

- كنت تمزحين معي؟ ظننتك مختلفة، لكنك لست أكثر من ...!

استدرث وركضت فكان المصعد قاب قوسين أو
أدنى. انتظرت وضغطت على جميع الأزرار بشكل
متكرر متمنية ألا يتبعني، فلم يتبعني.



قفزت داخل سيارة أجرة والخوف ما زال يلزمني من أن يظهر لي هاري. لقد تحدث معي باحتقار، فلا بد أنه كان ثملاً. أليس كذلك؟ وإلا لما وصفني بتلك العبارات، ثم إنه محق في غضبه، فقد أمسكت بيده وقبلته، وجذبت جسده إلى جسدي، ولولا أن فكرت حينها في توم، أما كنت لأمضي إلى غرفته، فهكذا تحدث الأشياء.

رغم أنني أحببت هاري، إلا أنني لم أصدق قيد أنملة أنني كنت من الخيانة ما جعلني أخالف كل معتقداتي وما علمه لي والداي وما علمته لأولادي بدوري. إلام تحولت؟ كنت على استعداد لخيانة توم بارتكاب الزنا؛ بل وقبلت رجلاً آخر وخدعت توم مرة أخرى. كانت أنفاسي متقطعة بالبكاء بلا دموع.

لم يكن ليحدث أي من هذا لو لم أبدو كل ذاك المال. لقد قادتني كل أكاذيبي تلك إلى هذا المنعطف فلم أعد أعرف نفسي. لقد تفوهت بالكثير من الأكاذيب حتى بث كذبة تكذب. لم أعد أعرف من أكون حقاً. اضطررت إلى وضع حد لكل هذا والعودة إلى توم.

في سيارة الأجرة، أخرجت هاتفي وقمت بتشغيله فقد كنت أحتاج إلى استعادة زواجي، ولم تكن تلك السبيل الصحيحة لذلك. أردت أن أسمع صوت توم فيعتذر لي وأعتذر له عن نعتي إياه بالقذارة ثم

أغلق الهاتف. لا ينبغي لأحدنا أن يخسر الآخر.

ما إن شغلت الهاتف حتى رأيت مجموعة من المكالمات الفائتة من هاتف المنزل وهاتف توم. أطلق الهاتف رناتٍ عدةً وانبثقت العديد من الرسائل على الشاشة، الواحدة تلو الأخرى، وكلها من توم.

«هلاً اتصلت بي رجاء؟ يجب أن نتحدث.»

ثم: «أين أنت؟ لقد اتصلت بمكان إقامتك في الفندق ولم أتلّق ردك، فاتصلي بي حال تلقيك رسالتي هذه.»

وأخيراً، رسالة أخيرة أرسلت قبل عشرين دقيقة:

«عزيزتي، اتصلي بي حينما تتلقين هذه الرسالة، ولا تقلقي بشأن الوقت في لندن. أحبك.»

تحسست الهاتف وسألت مجيبةً عن الرسالة الأولى:

«ماذا هناك؟ ما الخطب؟»

«إنه أبوك يا فايضة.»

لم أرغب في سماع أي شيءٍ آخر؛ بل حبست أنفاسي وأردت أن يتوقف العالم.

«إنه ما زال حياً في العناية المركزة بسانت جورج. إنها أزمة قلبية، لكنه يتلقى أفضل رعاية، ومن الأفضل أن تعودى إلى المنزل في كل الأحوال.»



صليث لأبي طيلة رحلة عودتي إلى المنزل وقد جافى الكرى جفني. ركبت سيارة أجرة مباشرة من مطار هيثرو إلى المستشفى، وكان ذا في وقت مبكر من الصباح، فألفيث توم ينتظرني خارج الجناح.

أخذني بين ذراعيه وربت على ظهري وقال لي وففه عند شعري:

-استقرت حالته، وتحسن قليلاً، أخرجوه من وحدة العناية المركزة، ونحن الآن في انتظار الطبيب.

مسحت دموعي، لكن بعضاً منها ظل عالقاً هناك. قبلني على رأسي، فقلت:

-لا أستطيع أن أفقد أبي يا توم.

رايث أمني جالسة على كرسي بلاستيكي إلى جوار سرير أبي، والطبيب يقف في مكان قريب.

كانت عينا أبي مغمضتين ووجهه متوارباً تحت قناع الأكسجين وإلى جواره شاشة تطلق صفيراً متقطعاً ثم تصمت، وكانت الأنابيب والأسلاك تخرج من جسده كله بعد أن أزيحت بلوزته عن أحد كتفيه.

لم تعد بي رغبة في المضي قدماً، ولا أريد أن أصدق ما جرى. أغمضت أمني عينيها وهي تحرك

شفتيها وتصلي بصمت فتعدّ خرزات سبّحتها
الفيروزية بيدين مرتعشتين. تفضن وجهها عندما
رأتني فأنحيث لأضمها بين ذراعي.

ثم أجبرت نفسي على الالتفاف لرؤية أبي، اقتربت
من سريره وأمسكت بيده حذرةً من لمس القسطرة،
فوضع توم ذراعه حولي واتكأث عليه.

قادنا طبيب القلب، إلى الرواق، وقال:

- يحتاج إلى جراحةٍ لتغيير شرايين القلب، ولكنه
مسنٌ فعليك تقويم المخاطر. إنها عملية قلب
مفتوح، ومن دونها قد يتعرض لنوبةٍ قلبية قاتلة،
وهذه جلطةٌ نسميها «صانعة الأرامل».

نظرث نحو أمي، ثم عدث إلى الطبيب مستاءةً من
تلك العبارة، فقال توم:

- حسبث أن جراحة القسطرة اليوم يمكن إجراؤها
من خلال إحداث ثقبٍ كثقب المفتاح.

- نعم، لكنني أخشى أنه لا يمكننا ضمان ذلك على
نفقة خدمة الصحة الوطنية البريطانية، كما أن هناك
قائمة انتظار، لكننا سنبدل قصارى جهدنا ونراقبه
في الوقت الحالي.



عندما عاد أبي إلى المنزل، أخذته إلى جراح متخصص في جراحة القلب، ويمكنه إجراء عملية جراحية له في غضون أسبوع، لكن أبي لم يكن مستعداً للدفع، فقال:

- لدينا أفضل خدمة صحية في العالم رغم مشكلاتها. سأفعل ذلك على نفقة خدمة الصحة الوطنية.

فقالت أمي:

- لقد سألت عن ذلك ابن السيدة خان، وهو طبيب قلب، فقال لي إن عليك إجراء جراحة ثقب المفتاح تلك، والتأكد من أن تكون على يد مختص متمرس. لا يمكنهم ضمان ذلك على نفقة خدمة الصحة الوطنية؛ وسنخبرهم أننا عائلة فنطلب تخفيضاً.

- نعم أبي؛ ثم إن قائمة الانتظار طويلة جداً إذا لم تذهب إلى طبيب خاص.

- أخشى أن الأمر ليس بهذه البساطة، فحتى لو أردت إجراء عملية جراحية عند طبيب خاص، وهو ما لا أريده، فليس لدي المال لذلك.

امتلات عيناى بالدموع ونظرت إلى يدي، وقلت:

- أبي، لديك ما يكفي من المال للعملية. اتفقنا؟ لقد

باتت سنداتي مستحقة منذ أسابيع عدة، لكن الوقت لم يسعفني لإعادة الأموال إلى حسابك. سأعيدها غداً.

قد تشكل هذه العملية الفرق بين الحياة والموت بالنسبة إلى أبي، كما لم تكن هنالك مطالبات بالمال ولا شكاوى من عدم تلقيها. علي أن أعيد المال حتى يتمكن من إجراء الجراحة.

عندما وصلت إلى المنزل شعرت فجأة بعدم الارتياح إذ لم أكن أعرف ما إذا كان كل المال لا يزال في حسابنا، فأنا أعلم أن راتبي لم يُغَطَّ كل شيء، وكنت أمل ألا يكون توم قد أنفق بعضاً منه بعد.

حاولت تسجيل الدخول إلى موقع الخدمات المصرفية عبر الإنترنت، لكنني لم أستخدمه من قبل فلم أستطع تذكر اسم المستخدم الخاص بي، قمت بعدة محاولات خاطئة، ولم تكن هنالك طريقة للتحقق من الرصيد في تلك الليلة.

في صباح اليوم التالي، كنت أول شخص ظهر عند شباك البنك، فأدخلت بطاقة الخصم الخاصة بي في الجهاز وطلبت رؤية الرصيد، فكتبه أمين الصندوق على قطعة من الورق ودسّه لي من تحت الحاجز. لم يتبقَّ شيء في الحساب.

ابتلعت لعابي بعسرٍ، وأجبرت نفسي على الكلام، وقلت:

- لكن فيه أكثر من خمسة عشر ألف جنيه!

- «أسف. هذا هو الرصيد الحالي. قال لي أمين الصندوق ناظراً إلي بارتياحٍ من دون أن يعرف ما

الذي سأفعله.

- من فضلك؛ أريد بيانات الأشهر الثلاثة الماضية.

حين استلمت البيانات، علمت أن تحويلاً بقيمة خمسة عشر ألف جنيه جرى لحساب آخر قبل أربعة أسابيع.

- هذا حساب التوفير الخاص بك. لا شيء يدعو إلى القلق. لقد جرى إعداد الخصم المباشر لتحويل ثلاثة آلاف إلى الحساب الجاري في الثلاثين من كل شهر.

- إذن فالمال لا يزال موجوداً ويمكنني استخدامه. أليس كذلك؟

وقمّ بتحويل الأموال إلى حساب والدي فبات جميع حساباتنا فارغة الآن.



أوما السيد تشانغ، الطبيب، لأبي من وراء الحاجز
الزجاجي، وقال:

- ما فعلناه عين الحكمة. لو انتظرنا لفات الأوان.

وما إن رحل حتى اتكأث على الحائط، فكان
كاحلاي يرتجفان وهما الوحيدان اللذان كانا
يحملانني. سقطت محفظتي على الأرض مجلجلة.

«لو انتظرنا لفات الأوان.»

لم يعرف أحد بالخطر الذي زججت فيه أبي
بأخذي ماله. من حسن حظي أن كل الأموال كانت
لا تزال في حسابنا. لو أنفقناها قبل ذلك ما كان لي
أن أعيدها، ولبقي أبي على قائمة الانتظار التي
ستستغرق اثني عشر أسبوعاً، فما كان ليتجاوز
الأمر.

اشتريت لأمي من كافتيريا المستشفى فنجاناً
من الشاي وكرواسون قبل ذهابي إلى العمل،
وكانت نائلة تنوي الحضور للاطمئنان على أمي
بعد ظهر ذلك اليوم. طويت وشاحها على شكل
مربع، ووضعت الوسادة خلف ظهرها على الكرسي
البلاستيكي، وقلت:

- لقد راسلت فرح، وهي قادمة يوم الخميس.

كنت قد أخبرث فرح أن علينا التوقف عن لوم والدينا في تدمير حياتنا، وأن علينا أن نحفل أنفسنا المسؤولية عن ذلك. لقد علمت أن أبي قد أشرف على الموت ثم نجا، فكانت في طريق العودة إلى المنزل، وقد جاء حبيبها السابق شاهد لرؤية أبي في المستشفى، فأرسلت لها رسالة نصية أخبرتها فيها أن شاهداً سأل عنها، وكتبت لها: «شاهد لا يزال يحبك...»

قبل مغادرتي المستشفى، فركت ساق أبي تحت الملاءة البيضاء. أنا جڈ آسفة.

انحنيت لتقبيل خد أمي المتجعد برفقي، وقلت لها بلغتنا:

- في حفظ الله يا أمي.

- أنت فتاة طيبة. قالت أمي وقبلت يدي حين هممت بالمغادرة. «لقد أنقذتنا أنت وتوم. هل تعلمين أنه كان يأخذنا إلى توتينغ كل أسبوع، وأنه أعاد ستارة مطبخنا حين سقطت؟ كما أنه سيحضر لي الغداء لاحقاً. هل تعرفين يا فايضة؟ توم ليس صهري، بل ابني...»

ركضت أعبر متاهة الممرات وأنا أفكر في أن توم كان يصطحب أمي وأبي للتسوق فيحمل حقائبهما وربما يصنع لهما كوباً من الشاي. لم يخبرني بذلك قط. إذن فتوم لم يتغير، بل لا يزال اللطيف الصلب المهتم الذي عرفته دائماً. كنت أنا من أفسد الأمر إذ كنت أقبل هاري بينما توم يعنى بأبنائنا وأبوي.

في الخارج، بدأ المطر يتساقط، وحين وصلت إلى ساحة انتظار السيارات كانت الرياح قد نثرت شعري

وخذرت وجهي، كما اشتد المطر في أثناء قيادتي
السيارة عائدةً إلى المنزل، فشغلت المذيع، لكن ما
من نقاش أو جدلٍ سياسيٍّ يمكن أن يخمد الصخب
في رأسي.

الآن، وبعد أن ضاعت أموال أبي، ولم يعد راتبي
في الحساب بعد، فإن البنك سيرسل إشعاراً إلى توم
عندما تُرد دفعة الرهن لاحقاً، وقد يصل في أي يوم.
كانت يدي متعركةً فوق عجلة القيادة. يجب أن يعلم
بأمر صندوق الطوارئ، والحساب البريدي، وأموال
أمي وأبي التي أخفت أثري. فزملت فجأةً إذ تحول
الضوء إلى اللون الأحمر.

كانت ماسحات الزجاج الأمامي تقول لي بصري:
أخبريه، أخبريه، أخبريه. لكني إن أخبرته شيئاً
واحداً وجب عليّ أن أخبره بكل شيء. أطلق السائق
خلفي بوقه فأقلعت.

لم أتخذ عند الدوار منعطف منزلي إذ لم أستطع
حمل نفسي على القيام بذلك، فانعطفت بشكلٍ
دائريٍّ مراراً ففاتني الخروج مراتٍ عدة قبل أن
أحسم أمري وأتجه إلى المحطة. لم أستطع مواجهة
توم.



كان موقف السيارات في المحطة فارغاً، والمطر ما زال يهطل بغزارة، فاضطررت لركوب القطار للذهاب إلى العمل رغم أن الوقت كان باكراً جداً لذلك. بدأ صوت المطر في تهدئة أفكاري. لم يكن أحد يعرف مكاني، ولذا شعرت في شرنقتي المؤقتة البعيدة عن الجميع بطمأنينة وأمانٍ افتقدتهما منذ شهور. كان بإمكانني أن أكون في أي مكان في العالم.

ارتطمت قطرات مطر كبيرة بالزجاج الأمامي ثم اختفت فكانها مليون قبلة مائية صغيرة. أسندت رأسي إلى النافذة الجانبية فانساب المطر على الزجاج الأمامي كشلالٍ دموعٍ لا تنضب، فذكرني ذلك برحلاتي إلى مغسلة السيارات مع أبي في طفولتي، وتخيلت أبي يكتشف كذبي للحصول على ماله، ثم يكتشف ما تبقى من فصول كذبي الأخرى.

لقد خذلت أبي، بل خذلت كل من أحبني ووثق بي واعتقد أنني شخص يمكن الاعتماد عليه، من توم إلى والدي فأولادي ... فشوهت كل ما هو جميل. أغمضت عيني واستمعت إلى همس المطر الملحاح. لم يبق لدي ما أقدمه لهم.

بدأت أرتجف. ما زلت في توقيت نيويورك وأمضيث أمسياتي أصلي ليتعافى أبي، ونهاراتي مع أمي في المستشفى أشاهد شاشة مراقبة قلب أبي. كان جسدي يؤلمني رغم خدره. أغلقت عيني فكنـت

أرغب في البقاء في السيارة إلى الأبد، أو الاختفاء، وفكرت في صوفيا وأحمد واليكس. لا، لا يمكنني الاستسلام. استعدت رباطة جأشي، ومسحت وجهي. لا تزال أمامي فرصة لإعادة حال أطفالي إلى نصابها الصحيح.

كنت على موعد مع هاري وسيرجيو في مكاتب غلوبالكورب في العاشرة، أي بعد ثلاث ساعات، وهو العرض الذي سيقرون فيه ما إذا كنت سأمنح المنصب الدائم أم لا. إن أراد الرئيس التنفيذي لشركة غلوبالكورب أن أدير محفظته، فهذا يعني بالنسبة إلي عامين آخرين على الأقل من العمل في (HH).

أخرجت دفتر ملاحظاتي وقلمي محاولة تذكر الخطوط العريضة لعرضي التقديمي، ولكني كلما حاولت استحضار المعلومات ابتعدت عني. ربما يمكنني التركيز بشكل أفضل في المكتب.



في المحطة، قصدت الطرف البعيد من الرصيف، فهو أسرع للوصول إلى واترلو من هنا. كنت أخفض رأسي أحتمي من الريح التي تصفع وجهي. حاولت أن أتذكر تفاصيل محفظة غلوبالكورب، لكن كل ما تبادر إلى ذهني هو وجه توم عندما سيري رصيد البنك.

بدأت لوحة الإعلان تومض معلنة تأخر جميع قطارات واترلو. قد لا يكون لدي الوقت حتى لطباعة تقريرتي. لن أفوز بالعرض ولن أحصل على الوظيفة. سمعت صدى يتردد في رأسي مراراً وتكراراً: «لقد دمرت كل شيء.»

دفعث يدي داخل جيبتي، وتوقفت لدقيقة محاولة تهدئة دقات قلبي المتسارعة، فوقعت عيناى على القضبان أمامي. وقع كيس من رقائق البطاطس المقلية بالملح الأخضر والخل المفضل لدى أحمد بين القضبان الفولاذية، ولما واصلت النظر رأيت المزيد والمزيد من الأشياء تحضرني كما لو أن عيني تحاولان تعديل وضع الظلام، فرأيت تذكرة قطار، وكومة من الأربطة المطاطية البيضاء، وقلم حبر جاف، ومربعاً بلاستيكيّاً أزرق بحجم راحة اليد، ثم لفت انتباهي أنبوب أصفر وأحمر صغير. إنه مرطب الشفاه الذي استخدمته صوفيا، وتذكرت أنني قرأت أن خطوط السكك الحديدية تكون حية تصعق

لا تزال القطارات متأخرة، ولن أصل في الوقت المناسب للتحضير للاجتماع. أصبح عقلي فارغاً كما لو أن أفكاري قد تبددت وأن كل شيء يتسرب من بين أصابعي.

سرت إلى المنصة المقابلة التي قفز منها المنتحز في مايو الماضي، وتفحصت الحصى على المسارات الأخرى فلم أر له أثراً، ولا حتى ذرة غبار؛ وبينما أنا أبحث عن أدلة بين الحصى زاع نظري فجأة بفعل وميض أزرق وأحمر لقطارٍ مر بجانبني، فشعرت لشدة قربهِ مني بذبذبات القطار السريع في فكي، ولم يعد الوقت كافياً لتراجعي، ثم إن قوته لسعت عيني ودفعت شعري للوراء كما لو كان أحدهم يشدني منه إلى الورا.

اختفى القطار في ثانية، وعادت المنصة إلى هدونها وسكينتها من جديد. مر الأمر كما لو أنه لم يكن. ربما لهذا السبب يختار الناس هذه المنصة وهذا القطار للانتحار إذ سينتهي كل شيء في ثانية، فما من داعٍ لانتظار ذوبان الأقراص في المعدة وتسربها إلى الدم، كما أن لا فوضى أو عدم دقة في تقطيع الشرايين فيغدو الألم رهيباً، كما أنك لن تجد غريباً حسن الطوية يقفز في نهر التايمز المتجمد لإنقاذك إن ملكت أصلاً من الشجاعة ما يكفي للقفز من جسر لندن. لقد توصلت إلى أن القطار هو الخيار الأفضل. صحيح أن السكة المعدنية ستؤذيكَ عند سقوطك بقساوتها وبردها، لكنها ثانية فقط تقضيها قبل أن يعانقك القطار ... فينتهي أمرُك وتقضي نحبك.

«يرجى الابتعاد عن حافة المنصة رقم ستة، فالقطار التالي لن يتوقف وفق المخطط عند هذه المحطة.»

أذيع التحذير عبر مكبرات الصوت. كان من المقرر وصول القطار السريع التالي في غضون دقيقة. رأيت بزاوية عيني حرساً كانوا في حالة جنون من أن يوجد شخص ما فوق هذا الرصيف حينها. عدت إلى المنصة الخامسة قبل أن يطلب مني ذلك.

تم تحديد موعد وصول قطاري أخيراً. إنها عشر دقائق وحسب. سمعت هدير القطار السريع يمر خلفي دون توقف فعدت إلى المنصة السادسة بعد أن اختفى الحرس.

فكرت فيمن وقفوا في المكان ذاته. كانت مسافة الأمان بين الخط الأصفر على حافة المنصة والسكة حوالي قدمين. هذا كل ما أحتاج إليه لإيقاف كل شيء، وبلوغ السلام.

تومض في ذهني صورة لي ولتوم، وأنا مطلقة وحيدة. وقد تركت أطفالي من دون حماية، وكان من الممكن أن يموت أبي بسبب أكاذيبي. لقد خذلت الجميع، ولم أكن نافعة لأحد، وفقدت فرصتي في تصحيح الأمور من خلال الحصول على وظيفة دائمة، ثم لاحت لي فكرة تمثل حلاً: ما زلت أستطيع ترك التأمين على حياتي، فيحصل عليه توم، وبه يمكنني إعادة ما سرقته.

ظهر القطار السريع عند المنعطف، وتلاشت كل الأصوات وأنا أشاهد مقدمة القطار تقترب صلبة ثقيلة قاسية، فارتعش صدري وبدأ قلبي يخفق،

ووقفت على الخط الأصفر. كان عليّ أن أركض إلى الأمام إذ القطار يقترب. كان عليّ أن أفعل ذلك الآن. لكن قدمي لم تتحرك. وتمر القطار هادراً فأطرق رأسى. لم أستطع أن أفعل ذلك حتى من أجل عائلتي ... كان من المقرر أن يصل قطار أخز في غضون دقيقتين، وكانت دقائق قلبي في سباق محموم.

بدأ هاتفى بالرنين والاهتزاز والطنين في جيب معطفي. إنها صوفيا التي لم تكن تتصل قط، مما جعلني أشعر بالقلق على الفور. أطفالي! بدأت أرتجف ثم انسحبت خطوة وراء الخط الأصفر.

«أمى، أخبرى أبى أن يسمح لى بتناول الكوكو بوبس أيام الجمعة! فهو يقول إن علىّ أن أكل العصيدة.»

إنه أليكس.

- أليكس؟ لماذا تتصل من هاتف صوفيا؟

- أنا أختبئ من أبى وصوفيا فى الحمام، وأعرف رمز هاتفها! هل يمكنك إخبار أبى أنى أستطيع تناول الكوكو بوبس؟

جلست على مقعد فعدث إلى رأسى أصوات المحطة، وثرثرة أطفال المدارس فى الصباح الباكر، وإعلانات مكبرات الصوت عن وصول القطارات، وضرورة التنبيه إذا ما رأيت أى شىء مريب فى القطار؛ فشعرت أنى كمن يستعيد وعيه بعد إغماء. كيف خطر لى أن جسدى المشوه المحطم على خط سكة الحديد قد يحسن بأية حال من الأحوال وضع أطفالى؟ بدأت أرتجف مجدداً، وراحت أسناني

تصطك حينما تمكنت أخيراً من قول:

- حسناً.

- انتظري. هل يمكنك إخبار أبي الآن!

أغلقت الخط، وألقيت نظرة على السلام المؤدية إلى المخرج. كنت أحتاج إلى توم. بدأت في الصعود، ثم توقفت فشتمني شخص حين اصطدم بي. عدت إلى المنصة الخامسة لأستقل قطار فوكسهول للقاء سام إذ كنت أحتاج إلى من يحتضني ويحميني؛ وكنت أعلم أنها ستتصل بتوم.

كان قطار واترلو قادماً فهرعت نحوه غارقة بين الحشود. لم تكن هنالك حاجة لإخبار أي كان بالأمر، بل لم يكن هناك ما يقال على أية حال. كانت ثانية جنون جزاء كل هذا الضغط فقط. شعرت بالبرد رغم الحرارة الرطبة لعربة القطار الذي ظلت صورته تتحرك أمام عيني فوق السكة. تسلل الخوف إلى صدري وفكي ونهايات أعصاب وجهي. كانت شفتاي مخدرتين.

لن يخمن الناس من حولي ما خطر لي في جزء من الثانية قبل بضع دقائق. عضضت شفتي. كيف خطر لي أن ترك أطفالي، و بهذه الطريقة؟ الانتحار خطيئة، وكنت أعرف هذه الحقيقة، وما كنت لأنعم بالسلام أبداً إذ لن يغفر الله لي، ولا العبيد.



وصلت إلى المكتب فجلست إلى مكتبي، وشغلت حاسبي، وحاولت النظر في وثائق غلوبالكورب، لكنني لا أزال مخدرة. كان باب هاري مفتوحاً، وكان علي أن أخبره أنني لا أستطيع تقديم العرض. لم أره منذ أن هربت منه بعد تقبيله في نيويورك، لكنه راسلني فور علمه بأمر أبي:

«لقد أسأت تفسير الإشارات، يا فاي. أنا أسف لما قلته. لقد كنت مخموراً بشكل رهيب، لكن هذا ليس عذراً. هل يمكننا أن ننسى ما جرى في نيويورك من فضلك؟ أمل أن يكون والدك في حالة أفضل. لا تقلقي بشأن العمل. أمل أننا ما زلنا أصدقاء. هاري.»

أرسل لي هذه الرسالة منذ ذلك الحين ليسأل عن أبي، وتحقق مرات عدة من بعض التفاصيل المتعلقة بحساب غلوبالكورب. كانت نصوصه محترمة ودودة جعلتني أقول في نفسي إنني إن أخطأت في تقبيله، فربما أخطأ الخطأ ذاته أيضاً. كنت ممتنة لأن ما جرى لم يؤثر سلباً في عملي، كما شعرت بالحرَج غير أن روعي سكن إذ تجاوزنا ما جرى في نيويورك.

طرق بابي، فقال:

- أهلاً! لقد أتيت باكراً هذا اليوم. كنت سأرسل لك بريداً إلكترونياً حول الشرائح. كيف حال والدك؟

وقفت في المدخل غير قادرة على الكلام، فسألني:

- هل حدث له مكروه؟

قادني إلى أريكة إلى جوار النافذة، وجلس على كرسي ذي ذراعين أمامي، ثم انحنى إلى الأمام وهمّ بامساك يدي، لكنه ضم يديه معاً أمامه، وقال:

- فاي؟

ابتلعت لعابي؛ وقلت:

- والدي بخير. شكراً لك.

واصلت النظر إلى الأسفل ويدي ملتويتان في حجري كما لو كانتا منفصلتين عني. أردت أن أصرخ:

- لا أستطيع تقديم العرض.

لكني واجهت صعوبة في نطق الكلمات؛ فهاري لا يزال مديري، ولم يكن لي أي عذر مقبول في خسارة عرض مهم كهذا. ربما كان عليّ تقديم استقالتي، فقال:

- لا مشكلة. أستطيع فعل ذلك نيابةً عنك. أرسلني إلي بالبريد الإلكتروني فقط. أعلم مدى صعوبة عملك على هذا المشروع، فلا تقلقي بشأن اجتماع اليوم، فأنا أكثر قلقاً عليك. ماذا هناك؟

تومض سكك القطار في رأسي فأرى الخط الأصفر ويرتفع كتفائي، فنهض هاري وعاد بكوب ماء؛ وقال:

- انظري. لقد مررت بأسبوع عصيب، لكن والدك

سيكون بخير. هل أنت قلقة بشأن ما حدث في
نيويورك؟ إن كنت كذلك فلا تقلقي، فالحق معك.
كانت لحظة جنون. إنها لعنة رجال الأعمال. لقد
أصبح ما جرى وراءنا، فدعينا ننساه؛ وأعدك أنه لن
يؤثر في منصبك هنا.

طاطات رأسي، فأضاف:

- ما الذي دهالك؟ يمكنك إخباري بأي شيء، وأنت
تعرفين ذلك.

لم أكن أعرف إن كان ما يقوله صحيحاً، فكان
رئيسي وزوج جوليا، ويعرف في مدرسة بروكود
الثانوية أبناء غيري ممن يعرفونني، ثم إنه وضع
يديه على ثديي، ويمكن أن يستخدم ضدي كل
ما أقوله له إن قرروا منحي الوظيفة، لكن لا خيار
أمامي. علي الإفراج عن الكلمات من سجن صدري.

ولذا أصبح مكتب هاري بإطلالته على سانت
بول، وأرائكه المصنوعة من الكتان الرمادي كرسني
اعترافي، فقلت:

- حاولت الانتحار اليوم.

كان ما قلت همساً. انحنى هاري إلى الأمام كمن لم
يسمعني، فأحسست بارتياح إذ من الخطأ أصلاً قول
ذلك بصوت عالٍ. لقد نطقت بالكلمات وهذا كافٍ.

- ماذا جرى؟ ماذا فعلت؟

كان الأوان قد فات. علي الآن أن أكمل. أخذ بيدي
المتجمدة وفركها بخفة، فقلت:

- عذراً. ربما أسأت التعبير. لقد مرت بي لحظة

جنونٍ لجزءٍ من الثانية، ولكني لم أفعل شيئاً ولم أتأذ. لقد خطر لي أن بإمكانني القفز أمام القطار السريع القادم في أثناء انتظاري على الرصيف، وقد روعني ذلك. ربما كان ذا بسبب ضغوط جراحة والدي وعدم نومي منذ عودتي.

ترك يدي ووقف، ثم قال بصوت عميق:

- هل أنت بخير؟ سأتصل بتوم. أعطني رقمه.

عندما ذكر توم، أجهشت بالبكاء، وقلت:

- لا، من فضلك. لا أريده أن يعرف! أنا خائفة لأن فكرة الانتحار خطرت لي. لن يؤثر ذلك سلباً في وظيفتي الدائمة. أليس كذلك؟ أرجوك ... أرجوك لا تطردني.

- طبعاً، لن أطرده، ولا نحتاج إلى الاتصال بتوم إن لم ترغب في ذلك. أنا سعيد لأنك أخبرتني؛ فقد يكون سزناً؛ ولكن لماذا فكرت بإيذاء نفسك وأنت المخلصة لعائلتك وأطفالك؟ ما الذي جرى؟

وجلس إلى جوارِي وانتظر جوابي.

حينها أخبرته باكية بكل شيء.



- ساضع خمسين ألف جنيه في حسابك. قال هاري عندما انتهيت.

والتقط هاتفه ونهض؛ فتحول قبولي المبدئي بتدفق هذه الأحداث إلى هوة عارٍ باردة الآن. انهمرت الدموع على وجهي وعنقي فقد كان مبلغاً ضخماً. ما الذي يريده في المقابل؟

جلس أمامي مرة أخرى وقال:

- فاي؟ أفعل هذا كصديق؛ لا لغاية أخرى. اتفقنا؟

فتساءلت ما إن كنت قد عبرت عن هواجسي بصوت عالٍ. لا أعتقد ذلك.

- أسف لسلوكي في نيويورك، لا أحد منا يريد المخاطرة بزواجه، ولا أريد أن أفقد صداقتنا، فاسمح لي أن أفعل هذا من أجلك.

- هاري، لا يمكنني قبول مثل هذا المبلغ من المال منك. هذا كثير. أنا ...

- لدي المال، وأنت تعرفين ذلك، بل لدي أكثر من ذلك بكثير. لا يمكنني أن أجلس مكتوف اليدين، وخاصةً بعد ما حدث اليوم.

مرر لي منديلاً كان على طاولة القهوة فمسحت

وجهي، وكان لمكيف الهواء أزيز. لم أطلب منه المال. هو من أعطاه لي، وكنت لأفعل مع صديقي لي ما فعل. أليس كذلك؟

- أعطيني تفاصيل حسابك وحسب. سيتم تحويل المال على الفور.

كان هاري بطلي وصديقي منذ أن بدأت العمل. لم يكن ترددي إلا بسبب ما جرى في نيويورك، لكنه بدا نادماً بمقدار ندمي. لقد أخبرته كيف خدعت زوجي، وكيف سلبت والدي مدخراتهما، ورويت له كل ما خطر لي في أثناء انتظاري على المنصة رقم ستة، فما كان منه إلا أن واصل التربيت على ظهري بلا هوادة، كما لو كان يهدد طفلاً. فكرت في الأطفال، فقلت في نفسي: «يمكن لأموال هاري أن تضمن مستقبلهم.»

كانت لهجته حادة حين أضاف:

- لا ينبغي لك أن تتعاملني مع الأمر بمفردك. دعيني أساعدك.

دسست أصابعي في شعري، ونظرت إلى الأعلى، وقلت بصوت أجش:

- سأسدها لك، أعدك يا هاري. سأسدها حالما أحصل على مكافأتي. شكراً جزيلاً لك!

فزفر كما لو أنه كان يحبس أنفاسه، وقال:

- لست في عجلة من أمري. تريثي حتى تقفي على قدميك من جديد، أما الآن فأعطيني تفاصيلك المصرفية.

نقر على التطبيق المصرفي في هاتفه فباتت الأموال في حسابي في غضون دقيقة كالسحر؛ الأموال التي قضيت شهوراً في السعي وراءها، والتي كادت أن تدمر زواجي وتسلبني راحة البال، بل وتجعلني أفكر فيما لا يمكن تصوره في ذلك الصباح. لقد كانت رهن إشارة هاري في لحظة.

كل ما فعلته لا يعادل نقرةً من إصبعه على شاشة هاتفه ... وقال:

- المال في حسابك الآن.

شعرت في الآن ذاته بالحرية والضياع، وبخفة في رأسي، وغاب ما يثقلني من قلق أسرني شهوراً. كنت أحتاج إلى أن أكون وحدي، وأسامح نفسي، وأسير ببطء نحو حمام السيدات متشبثةً بالجدران وأنا أشق طريقي إلى أسفل القاعة حاملةً حقبتي في إحدى يدي.

أخرجت حقيبة الماكياج الخاصة بي، ونظرت إلى نفسي في المرأة، فكان جفائي أكبر بمرتين من المعتاد وقد ظهرت عليهما آثار الكحل كالخدوش السوداء؛ وكانت شفتي قد بلغت ذقني فشقت كأنما لكمني أحدهم. كان علي طمس آثار دموعي قبل وصول الآخرين، وكانت يدي ترتجف وأنا أحاول فك حقيبة الزينة، فاستسلمت وتشبثت بجوانب الحوض ممسكة بالسيراميك البارد، ثم انحنيت إلى الأمام، ونظرت إلى نفسي في المرأة، كانت عيناها تحدقان في وجهي، فقلت لمرأتي:

- هذا صحيح. إن ما حدث حقيقة.

أغلقت عيني فتغلغل الواقع الجديد في رأسي،

واتسع وانفجر ثم انتشر في وجهي ونزل إلى
صدري فذراعي فساقي مذيأ التوتر الذي أحرق
في نهاية كل عصب على مدى شهور. لقد عاد إلى
جسدي ألّقه ففتحت عيني وابتسمت، وقلت «شكراً
لله» في سري، وعاهدت نفسي على تلاوة صلواتي
عند عودتي إلى المنزل.

* * *

عندما عدت إلى مكتبي وضع هاري أمامي طبقاً
من أرز كريسي من تيريزا، فكانت فوقه طبقة
سميكة من السكر، فقال لي:

- كلي هذا كالفتيات الطيبات.

- شكراً لك هاري. اسمع! أنت تعلم أنني لا أستطيع
إخبار توم بذلك، لكنه إذا ما علم بذلك فسيكون
ممتناً لك جداً أيضاً، فقد كنت من اللطف ما يجعلني
عاجزة عن تصديق ما جرى حتى الآن. أشكر لك
صنيعك هذا.

- إنه وعاء من أرز كريسي فقط، يا فاي. وغمز لي
فضحكنا.

لن يكون الآخرون هنا لساعة، ولذا بدأت بالعمل
على العرض؛ وكنت في أثناء استعراض الشرائح
أعرف بالضبط ما أحتاج إلى إضافته، فشعرت
بنشوة الإثارة عندما كتبت الأرقام. كان العرض جيداً
وقد قررت أخيراً المشاركة فيه رغم أن هاري هو
من سيقدمه. بدا كل شيء ممكناً الآن بعد أن أصبح
المال في الحساب.

وبعد عشرين دقيقة، كنت أطبع الشرائح حينما

خرج هاري مرتدياً معطفاً واقياً من المطر فناداني
إذ مر بمكتبي، وقال: «سألتقي بك وبسيرجيو في
غلوبالكورب. أما الآن فلدي اجتماع آخر.»

لوحث له مودعة فمشى حتى بلغ الباب ثم عاد
بسرعة، وقال:

- اللعنة، لقد نسيث بعض الشرائح التي أحتاج إليها
لهذا الاجتماع، وقد أطفأت حاسبي وكان تطبيق
(Uber) الخاص بي موجوداً عليه، فهل تمانعين في
البحث عنها في حاسبك من فضلك؟
- بالطبع. أجبته.

أعدت المستندات التي يحتاج إليها إلى سطح
الشاشة، بينما هو يقف خلفي، يمسح الأرقام
بالماسحة.

- هنالك أشياء كثيرة يجب تدوينها. هل تمانعين
في إرسالها لي بالبريد الإلكتروني؟ ما عليك
سوى وضع «معلومات من غاي - سرية» في حقل
الموضوع حتى أتمكن من العثور عليها بسهولة.

أرسلتها إليه بالإيميل بالسرعة الممكنة، وقد
فوجئت من طلبه بتسميتها «سرية»، لكنني لم أجد
الفرصة لسؤاله عن السبب، فقلت:

- تم الإرسال.

فشكرني وغادر.

انتابني ارتياح أنني لم أشعر بأي حرج أو انجذاب
بيننا عندما كنت في مكتبه، فكل ما شعرت به نحوه
اختفى حالما عانقني توم في المستشفى. لم أرغب

في أي شخص آخر قط. لقد افتقدت توم والحال التي كنا عليها من قبل.

أخرجت هاتفي وأرسلت إليه رسالة نصية: «أحبك».

جاء إيفان في الساعة الثامنة والنصف، وبدأ يخبرني عن خروجه مع تاندر الليلة السابقة، فضحك عندما أخبرني كيف ركلت الفتاة ركلة قوية عن طريق الخطأ في منطقة حساسة في أثناء لعبة الركل تحت الطاولة، وأدركت عند مغادرته لإعداد الشاي أنني تمكنت لأول مرة منذ شهر من التحدث إلى شخص ما من دون التفكير في صندوق الطوارئ في الوقت ذاته.

في وقت لاحق من تلك الليلة فتح توم ذراعيه لي واحتضنني فاستقرت يداي على ذراعي وربت عليهما برفق فانسابت من عيني دموع سقطت على قميصه، فقال:

- سيكون على ما يرام. قال الأطباء إنه سيعود إلى المنزل قريباً.

- أعرف. أحبك جداً جميعاً. هذا كل ما في الأمر.

- هذا جيد لأننا نحبك أيضاً!

وابتسم ثم تنحى جانباً والتقط جهاز التحكم بالستيريو، ووضع أول أغنية أسمعني إياها في اليوم التالي لزفافنا وهي (Heartbeat) لفرقة (Pet Shop Boys)؛ فتذكرت الإثارة التي شعرت بها في أثناء استيقاظنا معاً متزوجين فنجحنا وتغلبننا على كل الاعتراضات والتوقعات المتشائمة.

إنه اليوم على طبيعته. لقد مررنا بالكثير منذ أن
فقدتوم وظيفته، ولكن ها نحن مستلقيان معاً
نستمع إلى (Pet Shop Boys) بعد عشرين عاماً.

غفوٲ ولم أستيظ حتى انطلقت صافرة المنبه
في صباح اليوم التالي.

* * *

ما إن نهض أبي حتى أخذت الأطفال لرؤيته فكان
يتعافى تعافياً جيداً في المستشفى. وجدناه جالساً
في السرير وأحمد على كرسي إلى جواره يلعبان
لعبة الرومي، فقال أبي:

- لقد اعتدت فيما مضى أن ألعب هناك مع جدي،
فأنا ألعبها منذ سنوات، لكن دماغك فتي وسريع،
وستهزم جدتك!

- أخشى ذلك يا جدي. قال أحمد مبتسماً.

- انظري إلى هذا الفستان يا جدي. إنه رائع. قالت
صوفيا.

كانت أمي تجلس على كرسي، وصوفيا تجلس
على أحد ذراعي ذلك الكرسي، وفرح على الذراع
الأخرى، وكانت صوفيا تعرض لهم في هاتفها
فساتين زفاف وجدتها في حساب إنستغرام لمصمم
باكستاني. ذهب شاهد وتوم وأليكس إلى توتينغ
لإحضار طعام جاهز لنا للاحتفال لاحقاً بموعد
الزفاف الذي حدده شاهد وفرح، فقالت صوفيا:

- ستبدو خالتي فرح رائعة بالفستان الأحمر. كيف
ستصفين شعرك؟

مشت أمي وأمسكت بيد فرح، وقالت:

- أنا سعيدة جداً أن أباك لا يزال على قيد الحياة
لرؤيتك تتزوجين.

ابتسمت فرح؛ فقلت:

- أمي، من الجيد أنه لا يزال على قيد الحياة، لنا، لا
لأجل الفرح وحده.

وضحكنا جميعاً، وقالت أمي:

- هل بدأت أنت وتوم في التوفير من أجل زفاف
صوفيا؟ إنها مسؤوليتكما. حفلات الزفاف لدينا
باهظة الثمن كما تعلمان.

- صوفيا نصف إنكليزية يا أمي. ربما يمكنها أن
تقبل حفل زفاف مدني صغير بدلاً من حفل زفاف
باكستاني كبير، وبذا نستخدم أنا وتوم ذاك المال
للذهاب في إجازة!

وبينما نحن نتبادل المزاح، نظرت حولي ممتنة أننا
وصلنا إلى هنا بعد كل ما حدث.

لكن ذلك لم يكن ممكناً لولا كرم هاري، وسأظل
ممتنة له دائماً.

حاولت تجاهل حقيقة أنني ما زلت كاذبة، فتوم
ما زال لا يدري من أين حصلت على المال، لكنني
سرعان ما سأحصل على علاوتي فأعيد أموال هاري
ويعود كل شيء إلى طبيعته. إنها مسألة أسابيع
قليلة وحسب.



- هل ستحضرين حفلة عيد ميلاد ليزي؟ قالت سام.

غضّنت أنفي، وهزّزت رأسي. تمكنا من أخذ القطار نفسه عائدتين من واترلو، والأعجب أننا وجدنا مكانين معاً.

- أود ذلك حقاً، لكنني لست متأكدة.

- هيا! هذا مفيد لكما، ثم إن نائلة وطارق قادمان فيكون لتوم صديق هناك. أنت وتوم تعزلان نفسيكما، وحيان وقت عودتكما.

- حسناً، لقد أخبرتني نائلة أنه علي أن أكون «السمراء الثانية» فلا يثقل رأسها ورأس طارق عدم التنوع في الحفلة، كما قال ستيوارت أنه سيعرّف توم إلى بعض الأصدقاء عسى أن تكون لديهم وظيفة شاغرة في شركاتهم، ولذا فهو متحمس للغاية.

- جيد جداً. فلتأتيا إذن!

عرضت علي كعكة من جيبها، فقلّث:

- ممم! هناك شيء أخز يقلقني وهو أن هاري وجوليا سيكونان هناك.

كنت قد أخبرث سام بما جرى في نيويورك، لكنني
كتمت عنها قرض هاري الأموال لي. لم يعد هناك
سبب للتفكير في صندوق الطوارئ مرة أخرى، ثم
إني أردت أن أنسى ما حدث، فقلت:

- إن في وجودي مع جوليا وهاري مخاطرة كبيرة.
سيكتشفان أنني أعرفهما كليهما، وأني أخفيث ذلك
عنهما.

- حسن. لا بد أن يعرفا ذلك عاجلاً أم آجلاً،
فأطفالكم في المدرسة ذاتها، بحق السماء.

هزئت رأسي، وقلت:

- ليس هذا فقط، فحتى لو لم يعرف توم أنني قبلت
هاري بالخطأ، فإن تقديمهما معاً لن يكون عادلاً
بالنسبة إلى توم، بل سيبدو الأمر مهيناً له إذ نعرف
أنا وهاري ما حدث بينما توم غافل عن هذا تماماً.

- آه! فهمتك. قد يكون الأمر محرراً، لكن عليكما
أنت وهاري أن تنسيا الأمر، ثم إن شيئاً لم يحصل
أصلاً. أليس كذلك؟ وهذا سبب إضافي كاف
للتصرف بشكل طبيعي تماماً كما لو كانت نيويورك
رحلة عمل عادية فقط. ماذا لو اكتشفت جوليا أنك
تعملين لدى زوجها؟ إنها ليست جريمة.

- حسناً. سنأتي. جيمس في المدينة؟ سيكون من
الرائع رؤيته أيضاً.

- نعم. هو قادم وسيكون شقيقه الرهيب روبرت
معه أيضاً، لكننا نأمل في أن نستطيع تحاشيه إذ
سيكون هناك عدد كافٍ من الناس.

فقلت وأنا أبتسم:

- يمكننا تشكيل طوق بشري حولكما.

- قد لا تكون فكرة سيئة!

ما زال الشعور بعدم الارتياح يلازمي، ولكن الأمر قد يغدو أيسر إذا ما عرفت جوليا وهاري بصلتنا؛ وحالما يلتقي توم وهاري سيثبت ألا شيء فظيلاً جرى في نيويورك، وبذا يتبدد كل قلقي مرتبط بالحادثة. لقد رحلت أرمي عن كاهلي السُرّ تلو السُرّ كي أمسي أخفّ حملاً وأنعم بالآ.

كان علي أن أجد طريقة أخبر بها هاري بأنني سأكون في حفلة ليزي أيضاً فلا يُفاجأ برويتي كثيراً هناك، فأنا لما أخبره بعد أني أعرف جوليا.

في اليوم التالي كنت في العمل جالسة في مكتب هاري فقلت له:

-العالم صغير جداً. لم أكن أدري أنك تعرف صديقتي ليزي وزوجها ستيوارت، فعندما اكتشفت أنني أعمل في (HH)، قالت لي إن أحد أصدقائها مدير فيها!

وعندما حلت لحظة الحفلة الحاسمة وأدركت جوليا أنني أعمل لدى هاري، واكتشف هاري أنني أعرف جوليا، لم يكن علي سوى التظاهر ألا فكرة لدي حول الصلة بينهما حتى تلك اللحظة، ولات حين تراجع.

بالنسبة إلى هاري الذي أراني صورة جوليا، كان من المعقول تماماً أنني لم أنتبه، فأنا حينها أقابل مديري

للمرة الأولى، والذي اتضح أنه الرجل الذي غازلني
في المصعد، فلم أكن لأتفحص بالضرورة تفاصيل
صورة سيدة أعمالٍ شقراء. لقد خططت لردود
فعلي في أثناء الحفلة، كسعادتي ووجهي المتفاجئ
وإيماءات رأسي وصيحة السعادة من قبيل: «واو!
هذا رائع! لا أصدق أنك متزوج من جوليا. لم تكن
لدي أدنى فكرة!»



سبتمبر

سأتوجه إلى الحفلة من العمل مباشرة، ولذا عرض علي هاري أن يوصلني، فأحضرت ملابسي إلى المكتب في ذلك الصباح، بينما ذهبت صديقاتي إلى متجر الفراشة، وأغرقن واتس اب خاصتي بالصور يطلبن مني اختيار فستان لهن، وحاولن إقناعي بالانضمام إليهن، لكنني قاومت رغبتني لأن شيئاً ما تغير في داخلي. كان وجود مالنا في البنك يسعدني أكثر من إنفاقه على فستان جديد. كان شعوراً غريباً، لكنه جيد.

بدلاً من الذهاب للتسوق، أخرجت من فساتين أمي فستاناً كانت ترتديه عندما كانت حاملاً بي منذ أكثر من أربعين عاماً، وهو من الدانتيل الأحمر، كما وجدت بلوزة حمراء قديمة تناسبني جداً. ما كنت لأرتدي عادةً هذه البلوزة في حفلة من حفلات صديقاتي البيض، بل كنت لأختار فستاناً من ويستلز أو جوزيف، لكن ارتداء هذا الفستان يعني أنني لم أنفق فلساً، وبات مقصدي الآن أن تعرف صديقاتي جيداً أنني لا أشعر بالخجل من ارتدائي فستان الساري ذاك. ما تزال هنالك فرصة لذلك، لكن بعض من رأي من الضيوف الذين لم يقابلوني من قبل اعتقدوا أنني من أولئك الأصوليين الدينيين رغم أن بلوزتي عارية الظهر وحملتيها اللتين لا تكادان

أخبرتني التنين أن بإمكانني استخدام مكتبها لارتداء ملابس، فلما خرجت مرتديةً فستان الساري وبدوث أطول بكثير بسبب صندل جيمي شو العاري سمعت ترحيباً وهتافاً وتصفيقاً، فاستحييت لكنه خيارى الوحيد. كان عليّ أن أمر أمام المكتب المفتوح. ضممت الحقيبة إلى صدري ونحيت شعري للخلف بعيداً عن وجهي بعد أن قمّت بتقليده بنفسه بدلاً من إنفاق المال على مجففات الشعر، فحاولت ترتيب وجهي بما لا يكشف في انزعاجاً.

كنت أرغب في الخروج من دون أن يلاحظني أحد. كان توم الشخص الوحيد الذي لم أستطع الانتظار لأظهر له بفستان الساري الذي لم أرتده منذ سنوات، فأردت رؤية وجهه عندما ألقاه في الحفلة، وأن أجعله يساعدني في خلعه في وقت لاحق. شعرت كأنما تهنا عن بعضنا في نزهة بمدينة أجنبية، فلم نجد بعضنا إلا بعد بحث محموم، فما عدت أرغب في إضاعته مرةً أخرى.

- لا بأس به في اعتقادي. قال إيفان وقد هز كتفيه ثم ضحك، تبدين فاتنة جداً.

- شكراً يا رفاق. قلت له ولباقي أعضاء الفريق الذين كانوا ينظرون إليّ.

- أعجبنى فستان الساري هذا. قالت سابين واقتربت تتحسس الدانتيل بين أصابعها. هو فرنسيّ. أليس كذلك؟

- بلى!

ولتشتيت انتباههم رحت أقض عليهم خبر الساري، وكيف اشتراه أبي لأمي من باريس قبل ولادتي، وبينما أنا أتحدث شعرت بحركة ورائي فالتفت وإذا به هاري يقف متخفياً في الزاوية يراقب بصمت، وعيناه كحجرين. التفت إليه محرجةً إذ كان شعري الطويل قد انسدل إلى الأمام على جانبي وجهي فبات ظهري عارياً تماماً تقريباً، فقلت:

- أنا أسفة هاري. أرجو ألا أكون قد أطلت انتظارك؟

تغيرت تعابيره، فابتسم وقال:

- لا. أبداً. كنت أجري مكالمةً جماعيةً.

كانت سيارة المرسيدس السوداء تنتظر حين فتح روب، سائق هاري، الباب لي. ما كدت أصل السيارة حتى تلاشت كل مخاوفي حيال وجودي مع جوليا وهاري وتوم في الغرفة نفسها. حاولت إبطاء تنفسي، وقلت في نفسي إن عليّ أن أبقى هادئةً، وإن الحال ستتحسن وستتجاوز هذه العقبة. كنت على الأقل أعرف دون سواي ما قد أضطر إلى مواجهته، وبذلك يمكنني الحرص على التزام الهدوء.

لم تكن الشمس قد غابت تماماً حين كنا نسير على طول الحاجز، ورحت أشاهد الجسور على طول نهر التايمز بينما كنا نعبرها. انعطفنا قبل جسر ألبرت الذي انتشرت فوقه أضواء صغيرة كأنها الأحجاز الكريمة تتلألأ فوقنا. عندما كنت طفلةً أسميته جسر الحكاية الخيالية، ولطالما طلبت من أبي عبور نهر التايمز من هذا المكان عندما كنا نقصد لندن. كان

غروب الشمس مشوباً بصباغٍ وردِيٍّ أبرز من بعيدِ
ناطحات السحاب في المدينة، والتي كانت «شازد»
ناطحة السحاب بارزة أكثر من غيرها.

كتبث إلى توم:

«لا أطيق صبراً على رؤياك»

وابتسمت عندما أجابني مباشرة: «أحبك.»

كان هاري يشاهد ذلك؛ فقلت له:

- عذراً. أردت فقط إخبار توم بأننا قادمان.

- ندمت على ذكر توم. كنت في نهاية اليوم لا أزال
في السيارة مع رئيسي.

- سألتقي بسيرجيو في غلوبالكورب مرة أخرى
الأسبوع المقبل. قال لي إنني «ربحت مكافأتي!»؛
وسأبدأ برد أموالك حالما استلمها.

- لا أريد أموالك.

بدا غريباً فحدقت من النافذة في صمت. ربما كنت
في حاجة إلى التوقف عن مضايقته بشأن سداد
ديوني. ضغط زراً على بابه فانبثق الحاجز الزجاجي
الملون بيننا وبين السائق؛ فسألته:

- هل كل شيء على ما يرام؟

- لا!

بدا غاضباً لسبب كنت أجهله، فسألته:

- هل قلت لي ما بك؟ هل أستطيع مساعدتك؟ هل

حدث شيء في العمل؟

- نعم، ونعم، ونعم. الثلاثة. بل لا أحد يستطيع مساعدتي سواك.

بات الجو في الخارج أكثر عتمةً، وكان وجهه في الظل. نظرت من النافذة لأعطيه وقتاً للرد فلم أراه يتحرك، وقبل أن أدرك ما يحدث مَدَّ يده إلى جسدي، فبدأت أصرخ:

- توقف! ابتعد عني يا هاري!

حاولت دفعه بعيداً لكن ذراعه كانت لصلابتها لا تتحرك. فخدشت بأظفاري ظاهر يده؛ لكنه واصل الضغط بقوة أكبر حتى خلته سيمزق فستان أمي، فقلت:

- توقف يا هاري! هل جنت؟ سأقول للسانق!

لا يمكن للسانق رؤية أي شيء إلا إذا فتح الحاجز، ولذا انحنيت إلى الأمام، وخبطت على الزجاج صارخة:

- روبن! هلاً أوقفت السيارة من فضلك؟

كنا على طريق (A3)، لكننا نبعد عن منزل ليزي عشرين دقيقةً. ضغط هاري على زرٍّ، وتحدث بالأنترفون، وقال:

- لا عليك يا روبرت. واصل القيادة، لقد غيرنا رأينا.

حاولت دفع نفسي بعيداً عن يده، لكنني لم أستطع الإفلات، وكنت أخشى أن تمتد يده إلى أبعد من ذلك؛ فقلت:

- سأتصل بزوجي ثم بالشرطة؛ وسأخبر سيرجيو.
أوقف هذا!

وبصقت بعد كلماتي إذ تحول خوفي إلى غضب.
كيف يجروني على فعل هذا بي؟

وأخيراً سحب يده بعيداً، فارتجفت غضباً وخوفاً
بالمقدار نفسه، ثم وضعت حقيبتني في حضني.
خلت أنني سأمرض وأتقيأ على الأرضية، لكن شيئاً لم
يخرج. أردت أن أتقيأ على طول هذا اللقيط. أظهرت
رقم توم عندما اقتربنا من الباب؛ فقال:

- اتصلي به. سأكون سعيداً بإخباره كيف منحتني
القبلة الفرنسية على السطح، وكيف ضاجعتني في
غرفتي بالفندق.

- هذا ليس صحيحاً!

- لكن جزءاً منه صحيح. أليس كذلك؟ هل أنت
متأكدة من أنه سيصدقك ويكذبني؟

ابتلعت لعابي، وقلت:

- إن أخبرت توم، فسأخبر زوجته.

هز كتفيه، وقال:

- افعلي ما بدا لك. لا مانع عندي، فلدينا ترتيب،
ولن تكون هذه المرة أول مرة تسمع فيها عن علاقة
غرامية.

- توم سيصدقني أنا لا أنت.

- حقاً؟ لقد قبلتني على السطح. لا يمكنك إنكار

ذلك.

كنت أعلم أن توم سيدمر بسماع خبر نيويورك، بل
سنُدمر جميعاً، فقلت:

- هاري؛ لا أعلم ما الذي حدث لك. أنت لست هكذا.
ماذا تريد؟

- أريد أن تنامي معي. أريد أن أنهي ما بدأته أنت،
وإلا سأخبر توم بكل شيء.

جمدت، فأضاف:

- وسأحرص كذلك على طردك وعدم تمكنك من
العمل في المدينة مرة أخرى.

- لا يمكنك طردي لأنني رفضت أن أكون لك.
سأقاضيك في المحكمة إن حاولت ذلك؛ ثم إن
سيرجيو أخبرني أنني سأحصل على منصب دائم
بفضل أدائي. لا بد أنك فقدت عقلك!

- لقد سهّلت لي اختراق سرية معلومات الشركة،
فالمعلومات التي أرسلتها إلي بالبريد الإلكتروني في
ذلك اليوم معلومات سرية لا ينبغي لك أن تكشفها
لي. هذا ما سأقوله للمديرين، وسأقول إنك قلت
لي إنك ستكذبن عليهم فتقولين إنني طلبت تلك
المعلومات، بينما أنا لم أطلب منك ذلك، ثم طلبت
مني ٥٠٠٠٠ جنيه إسترليني للتكتم على الواقعة، فأنا
إن ضحية احتيال وابتزاز.

- هذا ليس صحيحاً!

تحولت قدمي إلى قطعة من الجليد، وطارَت يدي
إلى فمي فتلطخت بأحمر الشفاه، فأضاف:

- هذا ما سأقوله لهم إن لم تتعاوني. أمنحك فرصة حتى الإثنين لاتخاذ قرارك، وهو قرار لن يكون صعباً في ظل هذه المعطيات.

سيكتشف توم كل شيء. غدت أموال هاري التي وضعت في حسابي أموالاً قذرةً بالنسبة إلي، لا شريان حياة لإنقاذ زواجي كما تخيلت. إن أخبر هاري سيرجيو عن إمارة السرية تلك، فسأطرد من العمل فلا أجد وظيفة أخرى وينهار كل شيء. إذ سيكتشف أطفالي حقيقتي وأني كنت كاذبةً مخادعةً، فقلت:

- لماذا تفعل هذا بي؟ ماذا فعلت لك؟ كان صوتي تأوهاً ووخزاً من ألم اخترق عيني، وبدأ رأسي بالخفقان.

- لأنك مومس مخادعة؛ ولأنك تركت وراءك عملاً غير مكتمل في نيويورك. لقد كنت على استعداد لمنحك المزيد من الوقت عندما عدنا إلى لندن، لولا أن أخبرتني بكل هذا الهراء عن حبك لتوم. كما رأيتك الليلة إذ تتأنقين أمامي نصف عارية وأنت تعلمين يقيناً أننا ذاهبان إلى الحفلة معاً؛ فلا يمكنك التصرف على هذا النحو ثم لا تفعلينه.

بدأت أرتجف. إن قص أكاذيبه على مسامع توم فسيسألني عما حدث في نيويورك، وهو الذي كان يتضايق أصلاً كلما ذكرت اسم هاري أمامه. ماذا لو صدق توم هاري وكذبني أنا؟ إن علم بخيانتني الملفقة المفترضة مع هاري، أو حتى القبله، فقد لا يغفر لي، ثم إن هاري سيخبره كذلك بكل ما بحث له به بخصوص مالنا وأكاذيبني.

- خذي دقيقة للتفكير في كل هذا. أنا أقدم لك معروفاً يا فاي. أنت عالقة في زواج غير سعيد، وقد تصرف توم بشكل بغيض نحوك. عندما يتواصل الناس كما تواصلنا لا يمكنهم تجاهل ذلك. أنا راغب فيك، وسنكون معاً في أحسن حال. أنت تريدين أن أفعل هذا بنفسني حتى لا تشعرني بالذنب كزوجة صالحة وصورة مثالية، فكفي عن التظاهر. رغبتك في مضاجعتي توازي رغبتني فيها، وها أنا ذا أمهد لك الطريق.

نظرت من النافذة محاولة ألا أبكي. مهما حدث الآن فإن توم سيتأذى وينتهي زواجي إذا ما نفذ هاري تهديده، إلا إن سمحت له بمضاجعتي. بدأت أرتجف. لقد هاجمني بالفعل، وسيهاجمني مرة أخرى حتى لو أخبرته أنني لن أنام معه أبداً.

توقفت السيارة أمام منزل ليزي وستيوارت فكانت الشموع مشتعلة على طول الممر المؤدي إلى الباب الأمامي المغطى بالورود الحمراء؛ فقال هاري:

- أمهلك حتى يوم الإثنين.



كان توم يقف هناك حين ابتسم وهو يساعدي
على الخروج، فضممته.

همس في أذني فقال:

- تبدين رائعة.

- شكراً لك. فلندخل.

أمسكت بيده، لكن هاري قدّم نفسه لتوم وصافحه
قبل أن يتمكن من التحرك، ثم وصلت نائلة وطارق،
وبينما نحن نلقي التحية ونائلة تعانقني، رأيت هاري
يمشي بعيداً ثم استدار وابتسم لي.

مضيت وتوم عبر حشد من الناس نحو الخيمة
البيضاء التي أقيمت في الحديقة الخلفية. كانت
قواعد اللباس بالنسبة إلى النساء «الأحمر للحب»،
وكان السرادق الضخم يحتوي على شمعدانات
بيضاء ريفية معلقة فوق طاولات مستديرة مزينة
بالورود الحمراء البرية والشموع الصغيرة. كان يبدو
كحفل زفاف.

بدا مألوفاً ذاك البحر من النساء الشقراوات
الطويلات بأطرافهن النحيلة المسمرة، واللاتي كنّ
ناضحات بمقدار معين من الثقة، وقد أوقفتني
بعضهن لينطرين على فستان الساري وإلقاء التحية،

فأرد التحية ملوحةً وأبتسم تلقائياً، لكنني أواصل
المسير. شبكت يدي بيد توم مدركةً أنني لا بد من
أنني سأواجه جوليا وهاري وجهاً لوجه في أية
لحظة.

بعد أن هنأت ليزي وستيوارت، شعرت بأنفاسي
تتسارع إذ صفعتني بشدة صورة ما حدث في
السيارة مرةً أخرى.

أخذني توم جانباً، وقال:

- ما بك؟ هل أنت بخير؟

- نعم. لا، في الواقع لا. لدي صداغ فظيغ.

فكرت في إخبار توم بأني مريضة وأن علينا
العودة إلى المنزل، بيد أن عليّ قبل ذلك أن أخبر
أصدقائي بما فعله هاري.

- أسأل ليزي ما إذا كان لديها بعض أقراص
الباراسيتامول؟

- معي بعض منها وسأتناول الآن واحدة. أمهلني
دقيقة. سأعود حالاً.

دفعته الحشود إلى أن رأيت نائلة بقميصها
الحريري الأحمر المتلألئ في الحشد؛ فقلت لها:

- هل لي بالتحدث إليك؟

اقتربت مبتسمة، فقلت:

- أحتاج كذلك إلى إيجاد سام يا نائلة. هل بإمكانك
مساعدي؟

وضعت نائلة يدها على ذراعي، وقالت لي بالهندية:

- ماذا وراءك؟ هل من خطب؟

لم أكن أرى وجهها بوضوح إذ اغرورقت عيناى، فأومأث فقالت:

- أعتقد أن سام قد صعدت إلى الطابق العلوي.

أمسكت بيدي المتجمدة في يديها، وصعدنا السلم المنحني المصنوع من خشب البلوط، والذي زين درابزينه بمزيد من الورود الحمراء. لم تطرح نائلة أية أسئلة أخرى. رأينا سام تخرج من الحمام فاندفعنا نحوها فقالت نائلة لسام:

- تعالى.

ودخلنا معاً إلى الحمام وأغلقت نائلة الباب وغطاء المرحاض وقادتني إلى هناك كما لو أنني لا أستطيع تدبّر أمري بنفسى، ثم أجلستنى، فقالت سام:

- ما الأمر؟

فهزت نائلة كتفيها ورأسها، وراحتا تنظران إلي بعيون مليئة بالقلق، فقلت:

- لقد وضع هارى يده ... فى السيارة.

- ماذا؟ قالت نائلة.

- ماذا تعنين؟ قلت أن حادثة نيويورك كانت خطأ؟ هل عاودتما ذلك؟ قالت سام.

- لا! لقد وضع يده فى أماكن حساسة، لكنه أخبرنى أن على أن أكون له، كما نعتنى بالفاظ

تخدش الحياء، وظل ...

بدأت ألهم عاجزة عن قول المزيد.

وضعت سام ذراعها خلفي وفركت ظهري، فقالت نائلة:

- انظري إلي يا فائزة. تنفسي معي. شهيق: واحد ... اثنان ... ثلاثة؛ والآن زفير: واحد ... اثنان ... ثلاثة.

نظرت إليها محاولة التركيز في عينيها وهي تعد. توقف قلبي عن النبض في صدري.

- علينا الإبلاغ عما جرى. إنه اعتداء. هل أخبرتك توم؟ رن صوت سام بسخط لم يعد بإمكانني الشعور به أو التعبير عنه. شعرت أنني مراقبة من وراء ستار.

- لا! لا أستطيع أن أقول أي شيء لتوم لأن هاري سيخبره أنني سلمت نفسي إليه في نيويورك.

- سنقول لتوم بأنه يكذب، فيصدقك توم ويكذب هاري. قالت نائلة.

- لكنني قبلته. أليس كذلك؟ لقد سمحت له بلمسي، ولا أستطيع أن أنكر ذلك. أليس كذلك؟

فصمت صديقتاي فجأة.

- قال إنه سيطردني، وإني أرسلت بالبريد الإلكتروني بعض المعلومات التي لم يكن من المفترض أن يتمكن من الوصول إليها، لكنني لم أكن أعرف ذلك، وقال إنه سيخبر المديرين الآخرين أنني ابتزته فأعطاني ٥٠٠٠٠ جنيه إسترليني، كما هدد

بإبلاغ سلطة السلوك المالي بأني غصبته ماله.

جثمت سام أمامي وأمسكت بيدي، وتكلمت بهدوء كطفل مريض، فقالت:

- لا أفهم. لماذا أعطاك كل هذا المال؟ لماذا يفعل ذلك بحق الجحيم؟

كان هناك جسر من الشكوك في صوت نائلة حين قالت:

- لماذا أخذت هذا المال منه؟

شخص ما قرع الباب، وقال:

- معذرة. هنالك طابور في الخارج!

- أنا آسفة، لكنني قد أتأخر، ولن يكون في صالحك أن تعودني إلى هنا ثانية! استخدمني دورة مياه أخرى من فضلك. قالت نائلة من وراء الباب.

اندلع وابل من الشتائم ثم تلاشى.

كانت صديقتاي تنتظران حين نظرت إلى الأسفل وقلت:

- كنت يائسة، وكان المال قرضاً أرده حين أحصل على مكافأتي في نوفمبر. عندما فقدتوم وظيفته قال إن علينا استخدام صندوق الطوارئ الذي أسسناه على مدى سنوات، وهو كل ما تبقى لدينا من مال، لكنني كنت قد أنفقت هذا المال على مدى الأيام، وعندما تحققت من الرصيد فيه اكتشفت أنه كان فارغاً. آلاف وآلاف نفدت فلم يتبق منها شيء للرسوم المدرسية وعلاج أحمد والرهن العقاري ...

ولا لأي شيء، ولذا لم أستطع إخبار توم أنني قد أنفقت كل شيء لأنه لا ريب سيهجرني، فما كان أمامي من بد سوى محاولة استعادة هذا المال مراراً وتكراراً، فوجدت الوظيفة التي تعرفانها، لكنها لم تكن كافية، وتوم سيكتشف ما فعلته، ولذا أقرضني هاري المال وكان هذا هو الحل لكل شيء.

- اللعنة! قالت نائلة.

- أنت فتاة غبية! صاحت سام وهي تجلس على حافة الحمام.

- كنت أعلم أنك ستظنينني غبية، ولهذا لم أخبرك، لكنك على حق. لقد كنت غبية.

- لست غبية لإنفاقك المال يا فايضة. اللعنة. فيم تفكرين؟ قالت سام، قصدت أنك غبية لأنك لم تخبرينا بالأمر! كان بإمكانني إقراضك بعض المال. لماذا قصدت ذلك الثعبان؟

- لكنك علمتني قاعدة مفاذاها ألا أخلط أبداً بين الصداقة والمال. أنت قلت لي ذلك! لقد كنت خائفة جداً من إخبارك على أية حال، وذلك أنني لم أستطع تحمل كشفني لحقيقتي وما أنا عليه.

وضمتني أربع أذرع كسترة نجا، ومسدت نائلة شعري، وربت سام على ذراعي.

- علينا جميعاً أن نفكر فيما يمكننا فعله لإيقاف هذا اللقيط، ولكن أولاً، رتبي نفسك وعودي إلى توم قبل أن يبدأ بالتساؤل عن مكانك.

فتحت نائلة حقيبتني وسلمتني فرشاتي وأحمر

شفاهي، ثم تناولت منديلاً، ورفعت لي ذقني
ومسحت برفقي أسفل عيني.

توقفت سام عند باب الحمام وقالت:

- سأسأل جيمس عن وجهة نظر القانون في هذه
المسألة. لن أقول له إنها قضيتك طبعاً، بل قضية
إحدى أمهات تلاميذ مدرسة إد. سأوافيك في
الطابق السفلي بعد عشرين دقيقة.

* * *

نزلت مع نائلة ورحنا نبحث عن هاري فلم أره في
أي مكان.

أرسل توم رسالة نصية تفيد بأنه في الحديقة
خارج المدخل المظلي مباشرة، وهذا هو المكان
الذي وجدته فيه. كان أطول الموجودين، وكان
يبتسم ويومئ برأسه من حين لآخر فتنتشر خطوط
ابتسامته على جانبي عينيه. كان النسيم ينسف
شعره برفقي فكانما يهمس في أذنه. إنه يرتدي
قميصاً أبيض من دون ربطة عنق، وسروالاً كحلياً
من الكتان. لقد بدا سعيداً.

كان يتحدث مع ليزي وستيوارت وأنا، ثم انضم
جيمس إليهم فلوحت لي ليزي التي تضع وروداً
حمراء صغيرة في شعرها، وكانوا جميعاً يضحكون
على شيء قاله توم الذي أخذ بيدي وعصرها، ثم
تناول كأس عصير من صينية عابرة وأعطاني إياه.

اصطحب ستيوارت توم لرؤية أصدقائه، وابتعدت
ليزي وأنا، بينما بقيت لأتحدث مع جيمس. هممت
بإرسال رسالة نصية إلى سام لأخبرها أن جيمس

معى، ولكن رجلاً بدا لى مألوفاً انضم إلينا قبل أن أتمكن من ذلك. توقف جيمس عن الكلام فى منتصف الجملة، فقال الرجل:

- مرحباً أيها الأخ الأكبر.

فأدركت أنه روبرت. كان شبيهاً بجيمس لكنه بدا أكثر عدوانيةً بشعره الأشقر المائل إلى الحمرة وأسنانه المبيضة وبذلة الكتان الفاتح.

بدا لى أن جيمس قد تجمد، فتذكرت وعدي الذى قطعته لسام بحماية جيمس من أخيه، فمددت يدي وخطوت خطوةً فصرت بينهما، وقلت:

- مرحباً. أنا فايضة، صديقة سام وجيمس.

صافحني لأقصر وقت ممكن، ثم تركني واقترب من جيمس، وقال:

- لقد بلغني ما حدث لك. الجميع يتحدث عنك فى المدينة. يا لسوء حظك!

- روبرت ...

بدا جيمس كما لو أنه يحذره. لقد غدا وجهه أحمر يكاد يداني الأرجواني.

شعرت أنى كنت طفيليةً، لكنى علمت ألا ينبغى لى أن أترك جيمس وحده، فقال روبرت:

- أنت أضحكة الجميع.

كانت كلمات روبرت باردةً، لكن ابتسامته كشفت أنه كان مستمتعاً بما يقول. كانت قبضتا جيمس

مشدودتين حين واصل روبرت حديثه، وقال:

- لقد فات أوان ترقيتك، وأنت محكومٌ بأن تظل شريكاً صغيراً فيما تبقى من عمرك أيضاً. سمعت أنهم حولوا طاولة مكتبك إلى خزانة قرطاسية! يمكنني التحدث معهم إن أردت فأطلب منهم الاحتفاظ بك كحالة إنسانية خيرية.

- أيها اللقيط! قال جيمس بصوتٍ بدا كالهسهسة.

لم أكن أعرف ما إذا كان روبرت مصيباً. إن كان الأمر كذلك فلا بد أن جيمس قد ذمر، فوظيفته هي كل ما يملكه. تساءلتُ ما إذا كانت سام تعرف هذا، لكنها بدت لي لا تعرف، فقد كانت تقول دائماً إن جيمس مشغولٌ جداً بالعمل.

- انظر. لا أعتقد أنه المكان المناسب ... قلت.

فتجاهلني روبرت، وقال:

- هذه ليست الطريقة المثلى للتحدث مع من يحاول مساعدتك. هل أخبرتك والديك؟

بدأ جيمس بالتعرق، وقد حل الرعب محل الغضب في عينيه، أما أنا فخلتُ أنني رأيت الدموع فيما بدا لي كمطارٍ لا فرصة أمامه للهروب.

استدار جيمس وتوجّه نحو المنزل بينما ابتعد روبرت فرأيتُه يشرب وينضم إلى مجموعةٍ أخرى تتبادل التحية والقُبْل.

قمتُ بإرسال رسالة إلى سام لأخبرها أنني احتاج إلى رؤيتها، وأني في الحديقة، فاقترب توم مني وأخبرته بما حدث، وقلتُ له:

- هل لك أن تتفقد حال جيمس من فضلك؟ أخشى أن يصاب بنوبة قلبية. سأحاول العثور على سام.
- لكنني لا أعرفه جيداً. قال توم ثم نظر إليّ وأضاف: «حسناً».
- وجدت نفسي وحيدة فجأة. نظرت حولي أخشى وجود هاري في الجوار، لكنني لم أره هو وجوليا.
- ربت سام على كتفي فاستدرت، وقالت:
- لقد رأيت رسالتك للتو. أين ذهب جيمس؟ هل رأيت هاري مرة أخرى؟
- لا، لكن جيمس كان يتحدث معي حين جاء روبرت فتحدثا معاً، وأعتقد أن عليك الذهاب لرؤية جيمس. أخوه حقيز!
- قالت سام وعيناها ترمشان بسرعة وذعر:
- ماذا فعل؟ ماذا قال؟ هل جيمس بخير؟
- كان في عينيها الذعر نفسه الذي بدا لي في عيني جيمس، فقلت:
- لقد أرسلت توم في إثره. كان يقول أشياء عن عمل جيمس وإخباره والديه بذلك.
- أرسل لي توم رسالة نصية يقول فيها إنه وجد جيمس في المكتبة، فأخبرت سام التي تعثرت بكعبها وهي تحاول الركض.
- تلقيت رسالة أخرى من توم.

كان جيمس في حالة سيئة، وهو يبكي.

لا بد أن هنالك خطباً جلاً. صحيح أن شقيق جيمس كان لنيماً، لكن رد فعل جيمس وسام كان مقلقاً.

كان علي الذهاب لموافاة توم إذ لم أشعر بالأمان وحدي.

مشيت في الظلام تحت أضواء الأشجار المتشابكة، ثم دخلت المنزل.

- أحتاج إلى التحدث إليك.

إنه هاري. كدت أصرخ عندما سمعت صوته وراني؛ فابتسم كما لو أنه يحييني بسرور، فارتجفت وقلت:

- عذراً. أنا ذاهبة لرؤية زوجي. لا أستطيع.

- الخيار خيارك، لكنني أنصحك بالاستماع إلي.

لم أستطع تجاهل التهديد في صوته. إن كانت لديه رصاصة أخرى ينوي توجيهها إلى صدري فخير لي أن أعرف ذلك، ولذا قلت:

- حسناً، قلت وأنا أخطو نحو الطريق خطوة والنادل يحمل زجاجات الشمبانيا على طبق فضي.

- ليس هنا. تعالي معي.

بدأ يبتعد عن الحفلة متجهاً نحو درج في الجانب البعيد الغارق في الظلام؛ فقلت:

- لا. فلنتحدث هنا.

واتخذت خطوةً إلى جانب الرواق الكبير، فاستدار
وهز كتفيه وعاد نحوي فانتقلنا للجزء الخلفي من
الغرفة بعيداً عن الطريق، لكننا ما زلنا على مرأى من
الآخرين، فهناك لن يستطيع فعل أي شيء بي.



- ماذا وراءك الآن؟

رفعت ذقني وحدثت فيه راجية أن يرى
اشمنزاري، وتساءلت ما إذا كانت أمامي فرصة
لإقناعه بالتخلي عن الأمر والعودة إلى العقلانية.
لقد كان ضعيفاً للغاية عندما تحدث عن ابنته؛ كما
ساعدني مرات عدة في العمل، وكان يستمع إلي
عندما بكيت بين ذراعيه. سرت القشعريرة في
ظهري فتساءلت ما إذا كان كل هذا جزءاً من خطته،
فهو يعرف ما كان يفعل عندما حصل مني على
بيانات العميل؛ أما قصة ابنته فربما هي محض
وسيلة لملاطفتي ومداعبتي.

جابت عيناه جسدي، وقال:

- تروقينني جداً في هذا الثوب. إنه غريب يثير
الشهوة ...

كانت كلماته عدوانية كأفعاله، لكنني حافظت على
ملامح وجهي، وقلت مقاطعة إياه:

- ماذا تريد؟

- اسمعي! لا حاجة لأن تكوني هكذا. أنا أسف لقول
تلك الأشياء، ولكن، لماذا لا تعترفين بالأمر؟ كوني
صريحة. لقد أردت ما أردت تماماً، وما زلت أذكر

الطريقة التي قبلتني بها فلا أستطيع التوقف عن
تذكر طعم لسانك في فمي. أنت تعرفين أنك ...

وغرقت كلماته في موجة صراخ امرأة تقول: «أيتها
الباكستانية العاهرة!»

وفجأة ظهرت جوليا إلى جواره مرتديةً فستاناً
أحمر بلا حمالات، وقد انساب شعرها الأشقر
المسترسل فوق عظام ترقوتها البارزة؛ وهنا بدأت
غريزيا أسيز مبتعدةً عنهما نحو الغرفة.

واصلت الصراخ فرايث توم عند أبواب الشرفة،
وسرعان ما كان بجانبه وأخذ بيدي، وقال:

- ما القصة؟

وبدا أناس آخرون يتوافدون إلى الداخل فسرى
حفيف من همسات تخللتها شهقات، فقالت ليزي
وهي تقف في مواجهة جوليا:

- لا يمكنك إخبار فايضة بذلك.

- من تكون هذه المرأة؟ قال توم. هذا غير مقبول.

وتجهمت بينما لا أزال أحرق في جوليا. لم أصدق
أنها نادتنني «الباكستانية». لقد صعقتني كلماتها التي
كانت في قوتها كموجات انفجار نووي؛ فقلت:

- كيف تجرئين أن تقول لي هذا أيتها العنصرية ...

لم تدعني أنهي كلامي، بل اقتربت مني وراحت
تصرخ في وجهي قائلة:

- أعلم أنك تقضين الوقت مع زوجي!

- جوليا!

وأمسك هاري بذراعها ودفعها إلى الخلف.

أخلت يذ توم سبيل يدي فهزئت له رأسي.

ظهرت نائلة وليزي إلى جواربي؛ ووقف طارق وستيوارت بجانب توم، وأزاحت جوليا يد هاري عن ذراعها، وقالت له:

- وأعلم أنك أعطيتها خمسين ألف جنيه! لقد تحققت من هاتفك أيها الوغد! أعرف كل شيء!

ثم التفتت نحوي، وكأس نبیذها يتقاطر بعنف كما لو أنها ستلقي بمحتواه في وجهي في أية لحظة وقالت:

- كم مرة ضاجعته لتحصلي على هذا المقدار من المال؟ أيتها العاهرة! لماذا لم تخبريني أنك تعملين مع زوجي؟ أعلم أنكما كنتما في نيويورك معاً، وأنك نمت في أحضانه أيتها المومش البغي!

بدأت الغرفة تتأرجح بي فأتكأث على نائلة التي وضعت ذراعها حولي.

أمسك توم بيدي فلم أجد أية راحة في ملمسها، لكنني تركته يقودني بين الضيوف الذين راحوا على مضض يفسحون لنا ممراً.

بطريقة ما كنت في سيارتنا نبتعد. كان العالم في الخارج مظلماً وأدركت أنني أبكي فاستغرق رفع رأسي الكثير من جهدي بعد أن سمحت لذقني أن تغوص لتلامس صدري تقريباً. كان توم يقود بسرعة كبيرة فلا يخففها حتى في المنعطفات.

أطلقت سيارة ما بوقها بغضبٍ عندما مررنا بجوارها
عند أحد المنعطفات، فأصابتنا مصابيحها الأمامية
بالعمى، لكن توم واصل المسير بالسرعة ذاتها.
أغمضت عيني. فليكن ما يكون أياً كان ...



ركن السيارة إلى جوار بركة في زقاق جانبي من ضاحية لا أضواء في شوارعها ولا شيء آخر سوى سكون الأشجار القاتل في الليل الحالك والظلام الدامس. لم يلمسني أو ينظر إليّ بل قال بعد دقيقة أو دقيقتين بصوت خافت لم أكد أسمعه:

- هل نمت مع هاري؟

- «لا»؛ قلت والتفت إليه ناظرة في عينيه. أقسم لك. أنا أحبك، وما كنت لأفعل هذا أبداً ...

- فلماذا قالت زوجته إنك ضاجعته؟

- أنا لا أعرف بصراحة. كنت أتحدث معه حين بدأت بالصراخ واصفة إياي «بالعاهرة الباكستانية». حباً بالله. ربما رأتنا نتحدث و...

كانت يدا توم مشدودتين على عجلة القيادة. حرق في الظلام بصمت، ولم يسألني عن الخمسين ألف جنيه. لعله لم يسمع بها. كانت جوليا تصرخ بل تكاد تصب جام غضبها في وجهي. عجيب أن لم ينتبه لهذا سواي أنا وهاري.

لمست ذراع توم، لكنها ظلت متصلبة، فقلت:

- عزيزي، لا يمكنك أن تتخيل أنني قد أخدعك. أقسم لك إنني ...

لكنه قاطعني بصوت تهشم في الهواء، فقال:

- ما قصة الخمسين ألف جنيه؟

كانت الإجابات المحتملة تتسابق في ذهني. أنكر علمي بها؟ أم أقول إن جوليا كانت في حالة سكر؟ أم إنها خلطت بيني وبين شخص آخر؟ أم أدعي أنني لم أقابلها من قبل؟ كنت على وشك تقديم عذر مناسب عندما التفت إلي توم واضعاً عينيه في عيني. إن الوجه الذي يحدق بي وجه أحببته عشرين عاماً وعاماً. لم يكن توم يستحق المزيد من الأكاذيب. أغمضت عيني وأطرق برأسي.

ونُحِث له بكل شيء.



لم يتحدث على الإطلاق عندما أخبرته بأمر صندوق الطوارئ وأكاذيبى بشأن مكتب البريد. أخبرته أنى بعث مجوهراتى، وحصلت على قرض وبطاقة ائتمان جديدة، وأنى خدعت والدى ليعطينى كل مدخراتهما. أخبرته أنى كذبت عليه بشأن المال خلال الأشهر الستة الماضية، بل وأكثر من ذلك. لم يظهر أية عاطفة نحوي حين حدثته عن صباحي ذاك على المنصة السادسة، وعن إعطاء هاري المال لي ثم ابتزازي بأن يخبر المديرين إن لم أنم معه.

حين قلت كل ما قلت ضمت لفداحة أكاذيبى للمرة الأولى. أردت أن أتوقف، فما أقوله لا يطاق، وأنا أعلم أن سماعه سيؤذيه؛ لكنى تحملت على مواصلة سرد حقيقة كل شيء حاولت جاهدة إخفائه فيما مضى.

شعرت بحرارة تجتاحني من تلقاء وجهه، ورأيت في ضوء القمر الباهت تصلب فكيه، فأخبرت توم أخيراً أن هاري قبلني، فدفعته بعيداً عني، ثم مكث جزءاً من الثانية وقبلته بدوري، فلم تكن إلا قبلة لدقيقة واحدة فقط، وأنى سرعان ما صحوث من غمرتي، وندمت على فعلتي.

- أنا أسفة جداً.

توقفت عن الكلام. كان يجز النفس بصعوبة جلية،
وقد طأطأ رأسه وتشبث بعجلة القيادة.

لم أستطع إجبار نفسي على كشف التحرش في
السيارة أمام توم لأنه قد ينهار أو يهاجم هاري.
سأخبره بذلك لاحقاً، فأنا في ذلك الوقت بحاجة
لإخباره بما فعلته أنا. كان علي أن أخبره بكل شيء.

-أسفة جداً لكذبي عليك بشأن المال. لقد ارتكبت
خطأ فادحاً، لكنني كنت أحاول إصلاح ما أفسدت
لأنني لم أستطع تحفل فكرة أن تكرهني أو تتركني
إذا ما اكتشفت ذلك؛ فخیل لي أننا سنعود كما كنا
إن استطعت تعويض المال. هذا كل ما أردته.

أدار السيارة دون أن ينبس ببنت شفة، وتوجه إلى
منزل فايرود لين ٣٠ ذي الرمز البريدي الصحيح
والحديقة المثالية، والذي اشتريناه بحماس بالغ
لقربه من أفضل المدارس، كي يتمكن أبنائنا من
مزاولة كرة القدم والألعاب البهلوانية، أما الآن فلم
يعد مفيداً لي في شيء هذا المنزل الذي قمث
بتزيينه بصور لعائلتنا، ورسومات مدرسية لا حصر
لها، ومصابيح مورانو وسطوح الرخام، واللوحات
الجدارية الزيتية، والأرضيات المفروشة بخشب
البلوط والسجاد الحريري الفاره. لا خططنا ولا
ذكرياتنا ولا أحلامنا ولا بناؤنا الدقيق له من أجل
حياة مثالية سيحمينا في النهاية.

خلت أن المال سيكون حصنا المنيع ضد صروف
الدهر والمنون، ليتبين لي في النهاية أنه عديم
الفائدة.

الحق أقول، لو أن توم هو من كذب علي لأشهر،

وأنفق كل مدخراتنا، وقبل امرأة أخرى، كنت طرده من السيارة، وأخبرته ألا يعود أبداً. يمكنني أن أستغفره من كل ما بدا لي، لكنني أعلم من نفسي أنني ما كنت لأغفر له، فكيف له أن يسامحني؟

لم أرد المنزل ولا ما حوى. كل ما كنت أريده هو «نحن»؛ لكنني كلما اقتربنا من منزلنا بث أدرك أنني سأفقد كل شيء.



تخبطت نوم وهو يفتح الباب الرئيس، وترنحنا في الممر المظلم . أشعلت الضوء ورأيت عينيه تلمعان كبلورتين فوضعت يدي على ذراعه لكنه دفعها بقوة تعثرث لها قليلاً، ثم ابتعد قاصداً غرفة المعيشة فأردت أن أركض خلفه، لكن شيئاً ما في طريقة مسيره جعلني أتوقف لأنتظر بضع دقائق.

خلعت نعلي وتركتهما عند الباب الرئيس، ثم سحبث نفسي صعوداً إلى الطابق العلوي. كانت ساقي تؤلماني كما لو كنت في سباق ماراتون، وكانت ذراعي مصابتين بكدمات. مررت أمام غرف الأطفال الفارغة ممتنة أن صوفيا مكثت عند ميغ في عطلة نهاية الأسبوع، وأن الأولاد كانوا في ضيافة والدي. كنت قد رتبث لقضاء ليلة رومانسية بمفردنا، أما الآن فلم أعد مضطرة للتظاهر بأن كل شيء على ما يرام، بل لا أعتقد أنني قادرة على ذلك بعد ما جرى.

توقفت عند نزولي أستمع السمع فسمعت لتوم جلبة في المطبخ إذ يخرج كوباً ويفتح صنبور الماء. سمعت كذلك صوت احتكاك كرسي المطبخ بالأرض، ثم خبا ذلك الصوت.

خلعت فستان الساري ولففته في يدي ثم رميته على السرير وخلعت بلوزتي وتنورتي وطرحتها

أرضاً. على منضدتي المجاورة للسريـر لمـحـث شـمـعـة
مـسـك الـروم الـتي كـنـث قـد وـضـعـتـها هـنـاك ذـلـك الصـبـاح
بـالإـضـافـة إلـى زـجـاجـة مـن زـيـت التـدليـك.

ارـتـديـث سـروالاً أسـود ضـيـقاً وقـميصاً، ثم عـقـصـث
شـعـري علـى هـيئـة ذـيـل حـصـان، وركـضـث نـحو الطـابـق
السـفـلي.

لـم يـنـظـر نـحوي عـنـدما دـخـلـث علـيـه المـطـبـخ. كان
يـجـلـس إلـى المـائـدة مـحـدقاً فـي كـأسـه، بـيـنـما كان
وعاء الثـلـج علـى المـنـضـدة وبـجـانـبـه مـكـعبـا ثـلـج ذائـبان.
أعـدـث مـلء الوـعاء وأعـدـته إلـى الثـلاـجـة، ثم مـسـحـث
الـمنـضـدة بـمـنـشـفـة المـطـبـخ قـبـل أن أـتـنـفـس بـعمـق
وأـتـجـه إلـيـه.

بـدا كـأنـما فـقـد وعـيـه بـلـكـمـة فـلا يـزال يـهـتـز مـن
السـقـطـة. كـانـت كل غـرائـزي تـدفعـني لـلتـقـدم مـنـه، ودفـع
شـعـره عـن جـبـيـنـه، وعـناقـه، لـكن ذـلـك لا مـعـنى لـه الآن،
فـالأنـى الـذي أـحـدثـه لا يـشـفى بـاحـتـضـان هـنا أو قـبـلـة
هـنـاك.

- تـوم. أنا أسـفـة حـقاً علـى كل شـيء. لـقد كـنـث غـيـبـة
جـداً. لا أعـرف ماـذا حـدث، أنا فـقـط ...

نـظـر إلـي فـأجـبـرـث نـفـسي علـى عـدم الإـشـاحـة بـنـظـري
عـنـه، فـبـداً بالصـراخ:

- سأخـبرـك بـما حـدث! لـقد سـرـقـت كل أـمـوالـنا
وتـسـبـبـت بـأفـلاسـنا. اللـه وـحـده العـالـم بـما صـنـعت بـكل
هـذا المـال! ثم كـذـبـت علـي وعـلى والـديـك وخـنـنـا
جـمـيعاً!

- عـزـيـزي، أقـسـم لك إنـي لـم أرـغب فـي حـدوث أي

من هذا أبداً. أقسم إنني كنت أنوي إعادة المال. أعلم
أنني أخطأت إذ كذبت عليك؛ ولكن ...

توقفت عندما رأيته نظرتة إذ قال:

- كنت مع رجلٍ آخر. لقد وثقت بك تمام الثقة
طيلة تلك السنوات ثم خدعتني من حيث لم أعتقد
قط أنك قادرةٌ على فعل ذلك بنا. لقد كنت الأحمق
المخدوع.

كان صوتي أجش حين قلت له:

- أعلم أن تقبيلي لهاري كان ذنباً جسيماً غير مبرر،
لكنني أقسم لك إنه لم يدم لأكثر من ثانية واحدة
فقط. لقد دفعته عني فوراً، وأدركت أنني ارتكبت
خطأً فادحاً. توم، لا بد لي من صفحك! لا بد، فأنا لم
أخنك، ولم أكن لأخونك قط، فأنا أحب ...

- إنه مليونير. أليس كذلك؟ لا كزوجك؛ فأنا لا
أجني من المال ما يكفيك. أليس كذلك؟

- أنت تعلم أن هذا ليس صحيحاً.

تحدث بهدوءٍ رغم حدة صوته لأن الحق إلى
جانبه إذا ما صرخ في وجهي. جلسَتْ أمامه.

- هاري حقيز. لقد ابتزني، فأنا الحمقاء لا أنت.

كانت يده على الطاولة إذ أردت أن ألمسها لكنني لم
أجرؤ.

- لماذا أعطاك الخمسين ألف جنيه تلك؟ من ذا
الذي قد يمنح أحداً هذا المقدار من المال دونما
غاية؟ هل تخاليني غيباً؟ قل لي الحقيقة ولو

لمرة واحدة. هل نمت معه؟

شعرتُ أنني أختنق حين قلتُ:

- ألا تصدقني؟ قلتُ لك إنني لم أنم معه.

تفحصت عيناه وجهي الذي لم أعرف كيف سأرتب ملامحه لأقنعه أنني لا أكذب.

- هل بعته تلك المعلومات إذن؟ للحصول على هذا المال؟ أهو يقول الحقيقة؟

- كيف لك أن تصدق هذا؟ صرخت.

دفع كرسيه للخلف فوقع على الأرض، ثم اقترب مني بوجهٍ محمّرٍ، وعينين زرقاوين داكنتين جداً، ثم أدنى وجهه من وجهي، وزفر بأنفاسه الساخنة عند خدي، وقال:

- كيف لي أن أميز الآن بين الصدق والكذب؟ لن أستطيع تصديقك مرةً أخرى.

جلسْتُ في مقعدي، وواجهت صعوبةً في سماعه حين أضاف:

- لم أعد أعرفك بعد الآن.

- بلى. أنت تعرفني يا توم! طبعاً أنت تعرفني. ما فعلته لا يمثلني. إن كان إلا خطأً غيباً فظيماً.

وخرج من المطبخ، فتبعته، فقال:

- لا تقتربي مني!

واخذ مفاتيح سيارته من درج الطاولة فركضت

نحوه، وقلت:

-توم؛ أرجوك، أتوسل إليك. لا تذهب. دعني أشرح لك. لم أقصد أيّاً مما جرى قط. ابق وتحدث من فضلك.

مشى نحوي قابضاً كفيه، فأدركت فجأةً طوله والغضب الذي اجتاح جسده، لكنني طردت أفكاري تلك بعيداً فهذا توم الذي وثقت به وعهدت إليه بحياتي.

- فيم أنفقت كل ذلك المال؟ في إفساد الأطفال بأشياء تافهة؟ في الملابس والأحذية والمنزل؟ لتتألي إعجاب صديقاتك؟ هل جازفت بكل شيء من أجل هذا؟ أخبرتك ألا تلمسي هذا المال، لكنك لا تكثرين بي أو بالأولاد، وإنما بنفسك وحدها.

لم أستطع تحمل الكراهية في عينيهِ، فنكصت إلى الخلف لتجد يدي حافةً تستند إليها، ثم قلت:

- هذا ليس صحيحاً! سأفعل أي شيء من أجلك وأجل الأطفال. أعلم أنك غاضبة، لكن لا تقل لي ذلك الكلام من فضلك. ما بين كلينا حبٌ متبادل.

فتح الباب الأمامي ثم التفت محدقاً وقال:

- أنت مقرفة.

عندما أغلق الباب اهتزت إطارات الصور السوداء التي اشتريناها معاً من روما، صور أبنائنا حين كانوا صغاراً، ثم راحت سيارته تخدش الحصى مبتعدةً.

التوث ركبتاي وانهرت على الأرض كأنما سال عمودي الفقري فتساقطت قطرات، حتى استلقيت

على الأرض وضممت ركبتي إلى صدري.

«أنت مقرفة.»

دارت الكلمات في رأسي بصوت أعلى فأعلى. أنا أيضاً شعرت بالقرف من نفسي بعد أن كذبت عليه كل تلك الأشهر قائلةً في نفسي إنها كذبة صغيرة فقط، وإني كنت أحميه، حتى بث في وقت لاحق غير قادرة على ملاحظة مدى كذبي، أما الآن فقد أيقنت أن الخداع تغفل في كياني وما عدت أطيع ما أصبحت عليه.

وضعت يدي على أذني، وأغمضت عيني، ورحت أبكي بصمت وعجز عن النهوض ...

لا بد أنني قد نمت فاستيقظت متكورة عند الساعة الواحدة.

صعدت إلى الطابق العلوي وارتقيت السرير لكنني لم أستطع النوم فراسلت توم لكن أياً من رسائلي لم تصل لأن توم لم يكن متصلاً بالإنترنت.

«عد الى المنزل لو سمحت. أستطيع النوم في الغرفة الأخرى. تعال الى المنزل وحسب.»

وبعد ذا:

«حبيبي، أعلمني فقط أنك بخير.»

اتصلت به، لكنني لم أكن أتلقى سوى مجيبه الآلي. في الثالثة صباحاً بدأت أشعر بالقلق، وكنت أعلم ألا فائدة من مراسلة طارق أو بيتر، شقيق توم لأنه لن يخبر أحداً بما حدث في الوقت الحالي على الأقل. رميت الملاءة، ووقفت إلى جوار نافذة غرفة النوم

أحدق في الممر. بحثت في غوغل عن «حوادث السيارات في جنوب غرب لندن»، ولكني لم أعثِر على أي شيء. لو تعرض لحادثٍ لاتصلت الشرطة بي على أية حال.

ارتسمت في بالي صورة توم في سرير في فندق مع امرأة أخرى؛ فإن كان يصدق أنني خنته مع هاري فقد يرى في هذا إعادة توازناً لزواجنا. كان من الممكن أن يقصد حانة فيثمل فيها ويصطحب منها امرأة إلى الفراش.

بدأت أزرع المساحة الصغيرة بين النافذة والسرير جيئةً وذهاباً. لم يكن يعني كل ما تفوه به. إن كانت إلا فورة غضبٍ وألم لا أكثر. صليت أن أكون محقةً في تأويلي هذا.

عدت إلى سريري ملتقطةً هاتفِي، متكئةً على الوسائد حتى نمث مرةً أخرى واستيقظت في السادسة صباحاً في حالة ذعرٍ إذ لم أتلُق أي ردٍّ من توم الذي لم يكن متصلاً بالإنترنت منذ أن غادر المنزل. ركضت إلى غرفة الضيوف ثم إلى غرف الأطفال عسى أن يكون نام هناك، لكن جميع الغرف كانت خاويةً. كما لم يكن فيها ما يشير إلى أنه عاد في وقتٍ من الأوقات.

قمت بإرسال رسالةٍ إلى مارثا أسألها فيها ما إذا كان بإمكانها جمع الأولاد في بيت والدي وإحضارهم بسيارتي لاحقاً إذ لا ينبغي أن أبقى في المنزل. علي أن أجد توم.



بدأت أجوب أنحاء المدينة أنظر في أزقتها التي كنا نتخذها مع الأطفال، والتي اشتبكنا فيها مع توم بكرات الثلج الشتاء المنصرم، ومررت إلى جوار حائتنا التي كنا نفضل تناول الغداء فيها أيام الأحاد، ثم قدت السيارة إلى الفندق القريب، وتحققت من مرآب السيارات، لكني لم أجد لسيارته أثراً هناك؛ فقصدت بعده الشارع الرئيس والطرق الخلفية للقرية، ثم نزلت إلى ويمبلدون.

اتصلت بوالدته لأسألها ما إذا كان حل بهم ضيفاً فأدركت أنها مستيقظة منذ بزوغ الفجر، فقلت:

- صباح الخير يا فيكتوريا.

- هل أنت بخير يا فاييزة؟ لماذا تتصلين في هذا الوقت الباكر؟

أجابني سؤالها عن سؤالي، فهو ليس هناك. كان قلقها الفوري يشبه تقريباً قلق أمي، فلعلها أصيبت بعد عقدين من الزمن بشيء من عصاب والدي الباكتانيين.

- نعم. أسفة للاتصال بك في وقت مبكر. أردت أن أسألك عما استخدمته لتزيين كعكة الليمون في عيد ميلاد صوفيا، فأنا أقوم بإعداد الكاب كيك لحفلة مبيت أليكس، وكنت ذاهبة إلى السوبر

كنت أعلم أنها ستفزع إذا ما أخبرتها أن توم مفقود، فالأفضل عدم قول أي شيء في الوقت الحالي، وكنت أعرف بالضبط ما يمكنني التظاهر بالحديث عنه عبر الهاتف.

حاولت إنهاء المكالمة بأسرع ما يمكن، فلم يكن ذلك سهلاً إذ أعطتني فيكتوريا وصفات مفصلة للخزامى والبرتقال المجمد أيضاً. أوقفت السيارة وتفقدت هاتفي مرة أخرى، فلم أقع فيه على شيء. كنت أعرف أنني لن أجده أبداً في هذه الحالة، لكنني لم أستطع تخيل عودتي إلى المنزل من دون ذلك أيضاً، ولذا اتخذت الطريق السريع (A3) متوجهة نحو وسط لندن. عرفت أين يمكن أن يكون.

لأنني وصلت باكراً تمكنت من إيجاد موقف سيارات في شارع جانبي في بيكاديلي. تناولت فنجاناً من القهوة الجاهزة، ثم اندفعت عبر الشارع إلى فندق ريتز قاصدةً مدخل حديقة غرين بارك، ولما بلغت بوابتها توقفت إذ تذكرت أنني كنت أقف في المكان ذاته منذ ٢١ عاماً، فحرت حينها ما بين الدخول من عدمه لأن توم كان ينتظرنني هناك.

كان موعدنا الأول فيها، ولذا فإن رأسي كان مترعاً بجميع أسباب عدم الدخول إلى هناك: الثقافات المختلفة، ومنع والدي لي من مواعدة أي شخص، ناهيك عن غير المسلمين أو غير الباكستانيين. إن دخلت الحديقة، فإني سأنقض كل التوقعات والتقاليد التي تعلمتها، وسأدخل منطقةً مجهولةً.

كنت أحب توم فعلاً، لكنني لم أكن أعرف شعوره

تماماً؛ غير أنني كنت أدرك أن الرجل الإنكليزي إذا ما بلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً فإنه لن يفكر في الحب والزواج إلا بعد مواعدة أولى مناسبة. تجهزت لسقطة. كان من الممكن لي في يوم المواعدة أن أستدير عائدةً إلى محطة المترو ومنها إلى المنزل متبعةً المسار المتوقع مني.

كنت في تلك المرحلة قادرةً على نسيانه رغم حبي له إذ كنت ما أزال أفكر في النهاية. كنا ندور معاً في حلقة واحدة لأشهر عدة، فنقترّب أكثر فأكثر إلى أن طلب مني توم أن آتي في نزهة إلى هناك، فقال لي حينها: «اعلمي أنها مواعدة حتى لا يلتبس عليك الأمر.

بعد ظهر ذلك اليوم من شهر أبريل، وخلافاً للمنطق، ورغم كل قلقي وتحفظي، قصدت الحديقة لمواعدة توم الذي وجدته وقد هيا سجادة حمراء وبيضاء تحت شجرة، فابتسم حين رأني ونهض، فلوحت له وأكملت ما تبقى من المسافة بيننا ركضاً.

أطلقنا لاحقاً على تلك الشجرة اسم «شجرتنا»، ثم كنا بعد أربعة أشهر مستلقين على البساط ذاته في الحديقة ننظر إلى السماء. كنت أبكي وهو ممسك بيدي، فقلت له:

-لست ملزماً بالمضي قدماً في هذا الأمر. أنا أسفة، لكنني لا أستطيع النوم معك إلا بعد أن نتزوج. صحيح أن رغبتني في النوم معك تفوق كل رغبة أخرى، لكنني لا أستطيع معارضة معتقدي الذي يمنعني من فعل ذلك. أعلم أنك ستعجب من أن يكون عليك الزواج من شخص قبل النوم معه، ولذا أقول إننا أمام خيارات مستحيلة، فاعلم أنني

سأتفهّمك إذا ما أردت المضيّ في سبيلك وتجاوز ما كان بيننا.

كانت دموعي تحجب رؤيتي فلم أستطع رؤية الغيوم الرغوية التي كنا ساهمين بالنظر إلى سمانها الزرقاء. قبض توم على يدي، وصمت برهة قصيرة ثم قال:

-أو يمكننا أن نتزوج.

توقفت عن البكاء فوراً، وقلت:

-ماذا قلت؟

لا بد أنها عبارة عابرة. إن كان ما قاله مزاحاً فسينفطر قلبي لا محالة. حبست أنفاسي فأوماً برأسه، ثم سكن تماماً. كانت عيناه زرقاوين عميقتين جادتين تنتظران رؤية ردة فعلي، وعندما رآها ارتسمت على وجهه ابتسامة وأدناني منه، فقلت:

-هذا جيد. لا يخفى عليك أنني سأفعل أي شيء لرعدة نشوة.

وطوقني بذراعه فابتسمت.

بقينا عشرين عاماً نأتي إلى غرين بارك في أبريل، ولذا أدركت عندما دخلت الحديقة أننا فوّتنا موعدنا هذا العام.

كانت ذكريات مؤلمة فأخذت رشفة من قهوتي. إنها المرة الأولى التيأتي فيها إلى هنا بمفردي، والمرة الأولى التي أجهل فيها مكان توم، أو ما إذا كان لا يزال يحبني أم لا.

جلست تحت شجرتنا وأخرجت هاتفى، وغدت إلى مراسلته إلى أن أجابني فحبست أنفاسي عندما رأيت أنه أرسل للتو رسالة نصية تقول: «أنا بخير. علينا أن نتحدث. أنا ذاهب إلى البيت.»

تنهدت بعمق. الحمد لله أنه بخير. قبضت في يدي قبضة من العشب.

كتبته بسرعة: «لا تذهب إلى المنزل. لا يمكننا التحدث هناك فالأطفال قد عادوا مع مارتا. أنا خارج المنزل. هل يمكنك الانضمام إلي؟»

«أين أنت؟»

«غرين بارك.»

وتوقف قليلاً، ثم كتب:

«حسناً.»

كنت أرغب في ترتيب شأني قبل وصوله فمعي فرشاة وبعض النعناع؛ لكنني كنت لا أزال أرتدي السروال والقميص اللذين نمت فيهما، ولم أقم بتنظيف شعري وأسناني قبل مغادرتي المنزل، ثم إنني مرغت وجهي بأحمر الشفاه والكحل الليلة الماضية. دفعت شعري المتشابك للخلف، ودسست خصلة منه وراء أذني. لم تعد لي طاقة لإصلاح مظهري. حدثت في العشب عند قدمي وانتظرت.



- مرحباً.

لم أسمعه حين أتى. جلس أمامي فكان جفناه
ورديين وفي عينيه احمرار، وقد برزت لحيته
البيضاء في شمس الصباح.

- «أين كنت؟» تحدثت من دون عاطفة، وكنت
حريصة أن يكون صوتي محايداً، فلم أقل له إنني
قلقته عليه، أو إنه لم يتصل بي.

- كنت أحتاج إلى بعض الوقت للتفكير.

قال من دون غضب كفضبه بالأمس، فكان في
مقدورنا مناقشة الأمر على الغداء.

- ربما فاتنا موعدنا في غرين بارك لهذا العام، لكننا
هنا الآن في موعدنا الحادي والعشرين. قلت.

بدا لي حينما تحدث كما لو أنه لم يسمعني؛ فقد
أعد ما سيقوله سلفاً:

- لا أستطيع أن أفعل ذلك. أنا أسف.

كان هدوء صوته وطبقة اللطف في كلماته أسوأ
وقعاً في نفسي من غضبه الليلة الفائتة، وذلك أنها
لم تكن كلمات تلقى في سورة غضب؛ بل كان حكماً
اتخذه بعد ساعات من التفكير. شاهدت عجوزاً

بصفيرة رمادية وسترة مخططة بألوان قوس قزح
تطعم الحمام أمامنا، فتغني للطيور، والهواء يحمل
لنا صوتها. كانت ذراعها ترسم في الهواء قوساً إذ
هي تنثر فتات الخبز ذاك، فقلت:

- هل ستتركني؟

لم يجب، فأضفت:

- عزيزي توم، أرجوك ...

- لم أعد أعرف من تكونين يا فايضة، فقد وجدت
نفسي في الأمس لا أعرف صدقك من كذبك. لطالما
كنت أصدقك فيما مضى؛ أما الآن فبتُ أشك في كل
كلمة تخرج من فيك.

أشحت بنظري عن ناظريه هرباً من الألم والضياع.
نعم؛ هذا ما جنيث عليه.

- أنا أحبك يا توم. ألا تصدق ذلك أيضاً؟

- ربما لكل منا تعريفه الخاص للحب.

كان هدوء صوته يقتلني. شعرت أن قلبي قد
توقف، فلا أعرف اليوم كيف تمكنت حينها من
مواصلة التنفس والاستماع. نعم؛ هو ذا. هو ذا
بالضبط ما طالما كنت أخشاه.

صدمتني المفارقة. لقد تجاهلنا تحذيرات والدي
وتنبيهاتهما لكل منا بشأن توترات الزواج المختل
ومتاعبه، لكنني لم أنس كلماتهما التي رسخت في
رأسي ورافقتني خلال زواجي، وتعاهدنا ألا نسمح
للدين أو الثقافة أو الملبس أو التقاليد أو الضغوط
المجتمعية التي يفرضها علينا عالمان مختلفان تماماً

بتحطيمنا، ولكن هذه المسائل ما لبثت أن تلاشت
بعد السنوات الثلاث أو الأربع الأولى فلم أكن أتخيل
قط أن الخطر الذي يحيق بحبنا لن يأتي من جهة
اختلاف الثقافات، بل من جهة المال.

- اسمعي! علينا تسوية هذا الأمر. قال فيما بدالي
أنه في عجلة من أمره، أو كأنما يريد تسوية أمر
متعلق بالأعمال بينما شعرت أنني أسمع ورأسي
مغمور بالماء. «فلنشرب القهوة ولنفكر في سبيل
لإنهاء الأمر.»

بانهاك وارتياح عميقين معاً كانت العجوز تراقب
الطيور كحالي حين كنت أراقب بها أطفالي إذ
يأكلون عندما كانوا صغاراً جداً.

أمسك توم بيدي كالمعاتب ثم تركها وسار أمامي
فنظرث من ورائه إلى كتفيه لا أرغب في أكثر من
وضع رأسي عليهما. لا بد أنني لن أستطيع ضمه مرة
أخرى.

غادر الحديقة من دون أن يلتفت إلى الوراء،
فسرث خلفه أعبر البوابة التي بدأت عندها قصتنا،
وستنتهي الآن.



قصدنا المقهى في ووترستونز، فاستعار توم ورقة وقلماً من النادلة التي أحضرت لنا القهوة والكرواسون، وبدأ بإعداد قائمة ما شربته قهوتي لكنني لم أستطع تناول شيء سواها.

توم سيتركني. كانت كلماته أشبه بأسيد يغلي داخل رأسي إذ لم أكن أعتقد أنني قد أستطيع البقاء على قيد الحياة، أما هو فواضح أن مثل هذه المشاعر لم تكن تنتابه. قال:

- أول شيء علينا فعله هو إعادة أموال هاري، وسأتولى ذلك من خلال حاسبي المحمول حال عودتي إلى المنزل. هل يمكنك أن تعطيني رقم حسابه من فضلك؟

التهب وجهي عندما ذكر اسم هاري. كنت قد تلقيت بريداً إلكترونياً يؤكد التحويل من البنك، ولذا التقطت صورةً للشاشة وأرسلتها إلى توم، ففتح النص وعلى شفتيه علامات استنكار، وقال:

- عليك أن تخبري سيرجيو أن هاري خدعك للحصول على تلك المعلومات ... أكاد أجزم أنه فعل أشياء أخرى من هذا القبيل باعتباره فعلها معك.

- ماذا لو لم يصدقوني؟ يمكنهم الاكتفاء بطردي.

- لا خيار لديك. هل اتصل بك بعد الحفلة؟

هزئت رأسي نفيًا إذ لم أكن أريد إخباره أن هاري قد قال لي في رسالة إن شيئاً لم يتغير، وإنني أستطيع خداع توم بالزعم أن جوليا قد خلطت بيني وبين أخرى سبق لها أن رأتها، وإن جوليا ترى جميع السمراوات ذوات الشعر الأسود الطويل متشابهات، وإن علي أن أنكر كل ما يتعلق بالمال.

كان نصه يقول: «لن يستطيع بأية طريقة أن يعلم بأمر المال. كل ما عليك هو أن تلتزمي الصمت وسأحافظ على سرك. لقد أخبرت جوليا أنها مخطئة بشأن المال إذ هو مكافأة من الشركة. أتطلع للقائك يوم الإثنين أيتها الموهوبة الغامضة، يا فرسي الدهماء.»

ما زلت عاجزةً كذلك عن إخبار توم أن هاري قد تحرش بي وهاجمني؛ لأنه سيدفعني إلى تقديم شكوى أمام الشرطة بينما أنا لست مستعدة للمخاطرة بأي شيء من شأنه أن يعرض وظيفتي ومكافأتي للخطر. كان علي أن أتصرف وكأن شيئاً لم يحدث، وأن أرجئ هاري أسبوعين آخرين ريثما أحصل على جائزتي، فقلت:

- لكننا إن ردنا على هاري ماله ثم فقدت وظيفتي ولم أحصل على مكافأتي ...

- لا بد من الاتفاق على هذه النقطة. قال توم بلامح صارمة.

لم أستطع منع يدي من الزحف نحو يده إذ لا تستطيع وظائف العمل من دون لمس توم، لكنه سحب يده بعيداً عني ووضعها تحت الطاولة،

فَسَحَبْتُ يَدَيَّ وَالتَّقَطْتُ هَاتِفِي. نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَأَشَاحَ
عَنِّي بَعَيْنَيْهِ اللَّتَيْنِ لَطَالَمَا كَانَتَا بَوصلَتِي فَلَمْ يَعدَ لِي
مَكَانٌ أَنْظُرَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ خَرَجْنَا فَاتَّخَذْنَا اتِّجَاهَيْنِ مُتَعَاكِسَيْنِ نَحْوَ
سَيَّارَتَيْنَا. عِنْدَمَا غَادَرْتُ التَّفْثَ نَحْوَهُ مُتَسَائِلَةً مَا إِذَا
كَانَ سَيَّلَتَفْثَ نَحْوِي، وَفِي جِزْءٍ مِنِّي أَمَلٌ أَنْ يَكُونَ
مَا حَصَلَ هُوَ شَجَّارٌ سَيَسْكُنُ ثُمَّ يَخْبُو، وَذَلِكَ أَنَّ
عَقْلِي لَمْ يَسْتَطِعْ اسْتِيعَابَ أَنْ حُبُّ تَوْمٍ لِي بَاتَ مِنَ
الْمَاضِي، لَكِنَّهُ ابْتَعَدَ عَنِّي بِالاتِّجَاهِ الْآخَرَ مِنَ الطَّرِيقِ.
لَمْ يَلْتَفْثْ قَطْ.



عندما وصلت إلى المنزل أفيث توم قد وصل قبلي، وكانت الحقيبة الزرقاء الصغيرة التي استخدمناها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في باث موضوعة فوق غطاء السرير. فتحت باب الخزانة فكان جانبه منها نصف فارغ وقد ارتجفت علاقات ملابسه حزناً حين نظرت إليها. لم أحسب أن سيرحل هكذا ...

لاحقاً شاهدت توم من نافذة المطبخ إذ كان صوث ضحكته مرتفعاً بما يكفي ليصل إلى مسامعي، وذلك حين كان يلتقط أليكس ويدفعه في الأرجوحة حول الحديقة، بينما سجل أحمد هدفاً في المرمى فرفع ذراعيه في إشارة انتصارٍ وراح يدور حول توم وأليكس. لا. قلت لنفسي، سوف يهدأ توم حالما يتاح له الوقت للتفكير في كل هذا. لا يمكن أن يرمي كل شيء هكذا. سيبقى من أجل الأطفال إن لم يبق من أجلي.

عندما كنا وحدنا بعد الغداء، قال لي:

- لقد قمت بتحويل الأموال إلى حساب هاري.

- شكراً.

كنت ممتنة أننا ردنا المال لهذا الوحش، لكن رسالة هاري لم تفتأ تخيفني حد الارتجاف إذ لا يزال

يتوقع مني قبول «عرضه». ماذا لو حاول مهاجمتي مرة أخرى؟ لم أستطع إخبار توم، لم أستطع وحسب ...

كانت عينا توم تحدقان في هاتفه من دون سواه؛ فوددت لو أمد يدي فأتحسس خده، وأقبل جبينه، وأبادر إلى ما من شأنه أن يجعل هذا الجرح يلتئم. كان علي أن أظهر له أسفي بعد زهاء أربع وعشرين ساعة على اكتشافه قضية المال. كنت أمل أن يسمح لي الآن بشرح ما حدث، وإخباره بمدى حبي له، فقلت:

-توم، اسمعني ...

-لقد جمعت أشياءي يا فايضة. يجب أن نجمع الأطفال معاً ونخبرهم أنني راحل ...

-توم. لا! أستحلفك ألا ترحل.

-أنا أسف. لا أستطيع البقاء هنا.

-هذا أكثر مما يقوى الأطفال على تحمله. فلنقل لهم إنك ذاهب في رحلة عمل.

-وماذا بعد؟ نشعرهم أننا خدعناهم عندما نخبرهم بالسبب الحقيقي لمغادرتي؟ لا مزيد من الأكاذيب يا فايضة. يجب أن يعرفوا ما يجري، وأنا أحتاج إلى إخبارهم أنني سأكون معهم دائماً حتى لو لم نكن معاً.

دعا الأطفال إلى غرفة التلفاز فجلس اليكس في حجري فضممته إلى صدري دون أن أعرف ما إذا

كنث أريحه أم أريح نفسي. جلس توم إلى جوار أحمد واضعاً ذراعه على كتف ابننا المهزول، ثم ربت على المقعد المجاور مشيراً إلى صوفيا أن تجلس، فوقفث قرب الأريكة بفارغ الصبر وعيناها ملتصقتان بهاتفها، وقدهاها على استعداد للجري كما لو كانت تستعد لسباق؛ ثم بقيت حيث كانت.

تركت لتوم المجال ليبدأ راجية أن يعيده إلى رشده رغبهم من سماع كلماته. ما زال في استطاعته تغيير رأيه وخطته، لكنه قال:

- جمعناكم لنخبركم أن أمراً محزناً ألم بنا.

جفل أحمد بينما سكنت صوفيا فجأة، فأضاف:

- لا تقلقوا. لا أحد مريض أو ما إلى ذلك، لكن، حدث سوء تفاهم بيني وبين أمكم منذ فترة، ولذا، قررنا أن من الأفضل لنا أن ننفصل لبعض الوقت. سأبقى مع العم ديفيد، صديقي من الكلية. هل تذكرونه؟

انفجرت صوفيا ضاحكة، وقالت:

- مضحك جداً، لكنها ليست أفضل نكتة يا أبي.

- عزيزتي. أنا أسف، لكنها ليست مزحة، وما كنت مازحاً في أمر كهذا.

غدا الصمت فجأة أثقل من كل الضوضاء التي أحدثها الأطفال خلال كل تلك السنوات. كان وجه صوفيا مختلفاً، وفكها متصلباً كفك توم، أما أحمد فقد حدق في حذائه، فأردث أن أقفز واحتضن جميع أطفالي، لكنني لم أستطع الحراك. حاولت

استجرار أنفاسي لأكمم الصراخ في رأسي. ما أردت سوى أن يتوقف كل شيء. حاولت أن أبقى وجهي هادئاً أمام الأطفال وأن أحبس الدموع في جوفي، فقال توم:

- صحيح أنني سأرحل، لكن هذا لا يعني أنكم لن تروني مجدداً.

حرر أليكس نفسه من بين ذراعي، وركض نحو توم فعانقه ثم قال:

- لا أريدك أن تذهب.

ظل أحمد صامتاً يقضم أظفاره بينما صوفيا تنظر إلى كلينا باستهجانٍ فاحمر خداهما ولمعت عيناها، وقالت:

- لا فرق عندي فأنا سأخرج من هنا قريباً على كل الأحوال!

- اسمعوني. كلكم تعلمون أنها أشياء قد تحدث. ولكل منكم أصدقاء لوالدين مطلقين ...

- مطلقين؟ صاح أحمد بينما أجهش أليكس بالبكاء، فأخذت صوفيا بيده وجذبتة إليها ثم عانقته.

- كُف عن ذلك يا توم! كنت غاضبةً، وقد رأيت أنه ندم على قول الحقيقة.

وقال محاولاً التراجع عن موقفه:

- لم يتحدث أحدٌ عن الطلاق.

قلت:

- لا بأس عليكم يا أحبابي. سيكون الأمر على ما يرام. أردنا أن نخبركم بما يجري، وأعلم أنه أمر مزعج ... أنا وأبوكم مستاءان أيضاً ... لكننا نحبكم. قال أليكس بصوت خفيض مرتعش مكرراً عبارتي التي دأبت على قولها لهم حينما كانوا يتشاجرون:

- اعتذر، وكون صداقات، وكن سعيداً يا أبي.

- لكنكما لطالما تحدثتما عن مدى «حبكما». أنتما أسعد من ذوي أصدقائي مجتمعين؛ فما الذي دهاكما؟ قالت صوفيا.

لطالما وددت ألا يرى أبناؤنا خلافاتنا، فكنت أجنبهم شجاراتنا وخلافاتنا الزوجية، لكن ادعائي الكمال جعلهم أوهن في تقبل الواقع، ولا سيما إن كان هذا الواقع هو انهيار زواج والديهم المزمع بين عشية وضحاها. لم أستطع حبس دموعي أكثر من ذلك، فجاء أحمد ليجلس بجواري ويضع ذراعه حولي.

- هل وجدت أخرى كما فعل والد إيماء؟ قالت صوفيا ناظرة إلى توم.

- لا. أبوك لم يرتكب أي خطأ. أنا ... أنا ... قلت محاولة كفكفة دموعي بالضغط على جفني بأطراف أصابعي.

- إذن فأنت المخطئة! قالت صوفيا وقد بدأ صوتهما يعلو فدنا منها توم.

فقال توم:

- لا؛ لا زنب لأحد في هذا. أنا وأمكم أسفان. لم نرغب في حدوث هذا. كل ما أردناه هو أن نكون صادقين فنخبركم بما يحدث، فهذا خير خيار.» قال توم.

ولمس ذراعها فهزت كتفيها، وقالت:

- فلماذا تبكي أمي إذن؟ لقد سئمت من كل هذا! تعال يا أحمد. فلنذهب.

وأمسكت بيد أليكس وتبعها أحمد، وصعدوا إلى الطابق العلوي جميعاً، ثم أغلقوا الباب.

جلست في المطبخ لا أبكي بعدما بلغ مني الخدز كل مبلغ، أما توم فكان في طريقه إلى الطابق العلوي. سمعت أصواتاً مكتومةً وهو يفتح الباب على صوفيا. لا بد أنه كان يودع الأولاد، ثم سمعته ينزل السلالم مغادراً من دون إعلامي.

كنت ممتنةً لتلك البداية الصباحية الصاخبة، لكنني شعرت فجأةً بالارتباك بسبب اضطراري للقيام بكل ذلك وحدي؛ فرغم اضطراري إلى إدارة روتين الصباح بمفردي لثمانية عشر عاماً، إلا أنني اعتدت أن يجد توم كتاب القراءة لأليكس، أو بعض القطع النقدية في ملابسه في اللحظة الأخيرة. كنت أتطلع إلى تناول الإفطار مع توم، والتحدث معه، ومنحه قبلة سريعة قبل الذهاب إلى العمل. لاحظت في أثناء شربي القهوة أن أحمد كان يراقبني بعينين تقومانني كما لو كانتا تحاولان اكتشاف مشاعري من خلال قسمات وجهي، فابتسمت له وابتسم لي. لا ينبغي لي أن أنهار أمامهم.

كنت طيلة فترة الإفطار قلقة حيال الذهاب إلى المكتب؛ لأن هاري سيكون بانتظاري. فكرت في كل الأوقات التي قضيتها في مكتبه وحدنا خلف باب مغلق وفي وقت متأخر من الليل، بعدما يكون الآخرون قد عادوا إلى منازلهم. كان بإمكانه التحرش بي في أي وقت من تلك الأوقات ... أما الآن وقد تجاوز ذلك الخط، فماذا لو أمسك بي مرة أخرى؟ بعد تجرده من زي سافيل رو والسحر الذي كان يتقنع به، رأيته على حقيقته: إنه سفاح.



شعرث بالتوتر في جسدي عندما اقتربت من مكتبي.

كان سيرجيو والتين كما عهدتهما عندما التقيا بي، فهاري لم يخبرهما بأي شيء بعد بحسب معلوماتي.

بدا لي هاري متعجلاً في إرسال بريد إلكتروني لي يطلب فيه مني إحضار تقرير إلى مكتبه، فكنت أعلم أنني لا أستطيع تجنب ذلك، لكنني خططت لما سأقوم به، وذلك بأن أترك بابه مفتوحاً، وأقف أقرب إلى الباب مني إليه حتى لا يستطيع فعل شيء بي، ومع ذلك، كان علي أن أجبر نفسي على الذهاب إليه.

كان جالساً خلف مكتبه، لكنه همّ بالنهوض، فقلت له:

- ابق في مكانك من فضلك.

- لماذا أنت هكذا؟ لن أعضك ... إلا إن كنت تريد ذلك.

وانتشرت تلك الابتسامة على وجهه كابتسامة الجلال، فوددت لو أجتاز الغرفة طيراناً فألكمه، لكنني حافظت على هدوء وجهي، ورفعت ذقني قليلاً من دون أن أسمح بعيني عن وجهه كي أخفي عنه خوفاً، أما ارتجافي فما قدرث عليه، ولذا لمحت

في عينيه الشماتة حين لاحظ ذلك، فقلت محافظةً على ثبات اهتزازات صوتي:

-توم يعرف كل شيء، فلا يمكنك أن تهددني بإخباره، وبما أنني أعدت لك مالاً فلا يمكنك القول إنني ابتزرتك. أنت تشير شفقتي باضطرابك لبذل كل هذا في سبيل جعل إحداهن تنام معك.

رجوت أن يرى اشمنازي منه في وجهي.

-إلا إن كان ذلك معك. لا مناص لك من أن تكوني معي إن كنت تريد البقاء في هذه الوظيفة، أو الحصول على وظيفة أخرى في المدينة في المستقبل. بخلاف ذلك، سأخبر سيرجيو أنك أعطيتني معلومات سرية عن عميلك وابتزرتني، وأنت أعدت المال إلي عندما هددت بالإبلاغ عنك.

وهنا غيرت تكتيكاتي، وقلت:

-هاري، الأمر لا يتعلق بي وحدي. لديك أطفال، وسوف تدمر عائلتك أيضاً. لقد عملت بجد حتى أشرفت على نيل مكافأتي، فأرجوك ألا تقول مثل هذه الأكاذيب لسيرجيو.

شعرت بغضبي يتزايد، وقد برد صوتي حين واصلت:

-إذا فعلت ذلك أخبرت سيرجيو بأنك هاجمتني في السيارة! ألم تسمع من قبل بالتحرش؟ أم مني سمعت به فقط؟ لا يمكنك الإفلات بعد سلوكك هذا فهو جريمة.

-من قال إنني فعلت لك أي شيء؟ لا يمكنك إثبات

ذلك، أما سيرجيو فسيصدق أي شيء أقوله له. إن كنت تحبين عائلتك كثيراً، فأنت تعلمين ما عليك القيام به. سأسافر اليوم إلى ستوكهولم، وعندما أعود يمكننا العودة من حيث توقفنا في نيويورك، فتوقفني عن غضبك الشديد هذا، يا فاي، فأنت تعلمين أنك ستقضين وقتاً ممتعاً.

استدرت وهربت مسرعةً إلى المرحاض، وحسب نفسي هناك، فكان قلبي ينبض ويدي ترتجفان عندما أخرجت هاتفي وضغطت على زر التشغيل الأبيض. كان هناك صمتٌ تلاه صوت خدوش؛ فقد وضعت هاتفي في جيبتي لأنني خشيت أن يرى هاري زر التسجيل يومض على شاشتي. كان مستقبلي متوقفاً بالكامل على كل ثانية مرت في التسجيل. ثم حدث ما خططت له. نعم، لقد راح صوت هاري يتدفق كاللعاب من مكبرات الصوت. لقد نجحت، وباتت تهديدات هاري الآن على هاتفي.

جلست على غطاء المرحاض، فجعدني ارتياحي ثم دفأني. قمت بإرسال الملف إلى نفسي عبر البريد الإلكتروني فوراً تحسباً لحذفي له عن طريق الخطأ. استمعت له مرةً أخرى للتأكد من أنه أرسل فعلاً.

قررت ألا أعطيه لسيرجيو حينها، إذ لا يزال في مقدور هاري التملص من العقاب إذا ما واجهه سيرجيو باتهاماتي تلك، وهذا قد يعرض فرصي في الاحتفاظ بعلمي للخطر، وذلك أن المديرين قد يرون في مشكلة حتى لو تم نقل الأمر إلى قسم الموارد البشرية. كنت في حاجة إلى الحصول على مكافأتي وكتاب منحها أولاً، ثم يمكنني العثور على وظيفة أخرى.

أما إذا هددني مرةً أخرى، فسأخبر المديرين أنني
سأقاضي هاري بتهمة التحرش إن لم يطرده،
ويمكنني حينها استخدام التسجيل كدليل؛ لكنه
ينبغي أن يكون الملاذ الأخير.



أرسل لي توم رسالة نصية ليقول لي إنه سيظل، إن وافقت، يأخذ الأطفال من المدرسة، ويقدم لهم العشاء، ويغادر قبل أن أعود من العمل.

كانت أمسياتي من دون توم لا تطاق، خاصةً وأنا كنت أعلم أنه دخل المنزل قبل لحظات. كنت أرى آثار وجوده في كل ركن... فنجاناه على رف الأطباق، وصناديق الغداء والأطباق التي رصها في غسالة الصحون، وشكله الذي تركه على وسادة الأريكة. لقد بحثت في جميع أنحاء المنزل عن كريم ما بعد الحلاقة.

في السرير، كنت أدير ظهري إلى موضع توم الخاوي، وذات ليلة جافاني النوم فيها كتبت له في الثانية صباحاً رسالة نصية: «غد أرجوك. امنحني فرصة أخرى.»؛ لكنه لم يرد بل لم تكن هنالك حتى علامة زرقاء تشير إلى أنه قرأ رسالتي.

عاد هاري من ستوكهولم في يوم توقيع الاتفاقية مع الرئيس التنفيذي لشركة غلوبالكورب، وبما أنني كنت الموكلة بإدارة الاجتماع، فلم أستطع البقاء في المنزل، وبما أن جميع المديرين سيحضرون الاجتماع، فقد تمنيت تجنب البقاء مع هاري بمفردي.

كنت قد خططت لارتداء فستانٍ ورديٍّ مناسبٍ

للاجتماع، لكني؛ إذ خطر لي أن هاري سيحقق بي، ارتديت بدلة زرقاء ذات تنورة، وسترة فضفاضة، وزرث قميصي الأبيض الناصع. بعد الاجتماع، أخذني سيرجيو جانباً لتهنّتي، فمأزحني بشأن ملابسي قائلاً إنه لم يرني قط أرتدي ملابس كهذه، لكني أستطيع ارتداء ما حلا لي من اللباس بعد توقيعي مع عميل مهم كهذا، ثم أخبرني أنني سأتلقي عرض عملي ومكافأتي عبر البريد الإلكتروني في غضون أيام قليلة.

طلبت التين صوراً مع العملاء لوضعها على «لوحة النجاح» التي أنشأتها في الردهة فاصطفنا جميعاً أمام شعار (HH) ريثما التقط موظف الاستقبال الصور، ولم أستطع فعل شيء عندما جاء هاري فوقف إلى جوارِي، واقترب مني أكثر لإفساح المجال للآخرين حتى لامس جانب جسده جسدي، فشعرت بنفسي أتعرق، وابتعدت بأسرع ما يمكن.

ثم أخذنا العملاء لتناول العشاء في سيتيسوسيال، فشرّب الرئيس التنفيذي نخبي، واعتبرني سيرجيو مثلاً للام الحانية. كان الأصل أن أكون متحمسة، لكن صبري بلغ حده بينما هاري يحدّق بي المساء بطوله.

وعندما قمّت أهُمّ بالمغادرة، قام هاري أيضاً، وقال:

-اسمحي لي بتوصيلك إلى المنزل. أنا وفاي جيران ... في الواقع، يرتاد أطفالنا المدرسة ذاتها.

واندلعت هنالك تمتّات دهشة وابتسامات، فأجبرت نفسي على التبسم أيضاً، ثم قلت:

-لا. شكراً. سيوصلني زوجي.

هرعت للخروج من المبنى لا أدري أين أذهب خوفاً من أن يتعقبني هاري. ركضت إلى محطة مترو الأنفاق، نزولاً عبر سلالم البنك، فعبثت كوة التذاكر ثم نزلت بالسلم الكهربائي. لم يتحرك قطار خط واترلو والمدينة لدقيقتين، وظلت أبواب الميترو مفتوحة.

بقيت واقفةً هنالك أسند ظهري إلى حافة العربة تحسباً من أن يجد هاري مكاني إن كان يبحث عني، ولما أغلقت الأبواب تداعيت في أقرب مقعد مني.

عندما وصلت إلى ويمبلدون تلقيت رسالة من هاري تقول:

«أراك يوم الإثنين. لقد حجزت في فندق بهي جداً، وأخبرت إيفان أن لدينا اجتماعاً لن تعود منه قبل نهاية اليوم. أتمنى لك نهاية أسبوع ممتعة.»

في السرير، مكثت أحرق في النص، وخطر لي أن أرسل التسجيل إلى هاري لإخباره؛ ولكن ماذا لو منحه ذلك الوقت ليخرج بعذر؟

اتصلت بسام، فقالت:

- هل أنت على ما يرام؟ الوقت متأخر جداً.

- لا. أنا خائفة جداً يا سام. لقد حجز هاري غرفة في فندق ليوم الإثنين، ويريدني أن أنام معه وإلا فسيخبر سيرجيو بالمعلومات التي قدمتها إليه. لا أعرف ما عليّ فعله.

على الرغم من أنه كان من دواعي ارتياحي أن أخبر سام، أو أياً كان بما يحدث، إلا أنني كنت أعلم

أنها لا تستطيع مساعدتي، بل لا أحد يستطيع مساعدتي. حتى لو صدق سيرجيو أن هاري هاجمني، فلا يزال في مقدوره تصديق أنني أعطيت هاري المعلومات لابتزازه، فيمكنهم إبلاغ الشرطة. في أحسن الأحوال؛ سيعتبرني سيرجيو غير كفء لجهلي بجريمة تسريب المعلومات، وهذا كافٍ لأفقد وظيفتي. بدأت بالبكاء.

- ما رأي توم بالقضية؟

- لقد تركني توم، وهو لا يعرف شيئاً عن هذا.

- لماذا لم تخبريني بذلك؟ أين هو الآن؟ متى حصل هذا؟

- في اليوم التالي للحفلة. لم أستطع إخبارك يا سام. لم أخبر أحداً. كنت أظن أنها نوبة غضب ستزول ويعود لي توم، لكنه منذ أكثر من أسبوعٍ حزم ملابسه، ولم يعد يرد حتى على رسائلي.

- هل يعرف أن هاري هاجمك وأنه يلاحقك؟

- لا. خشيت أن يضرب هاري ويبلغ عنه الشرطة، وهاري يقول إنني نمت معه في نيويورك.

- حسناً. لا يمكنك الذهاب إلى المكتب مع هاري، وخاصةً بعدما هددك.

- لا خيار لدي. نحن مفلسون يا سام، يجب أن أحصل على مكافأتي في غضون أيام قليلة، لذا فعلي مماطلته حتى ذلك الحين. نحن نحتاج إلى هذا المال. لا أعرف ماذا أفعل حتى يوم الإثنين.

بقيت صامتة، فقلت:

- كان يومي فظيماً حقاً، فقد وقف هناك وجسده يلامس جسدي بينما نقف لالتقاط صورة، ثم حاول اصطحابي بسيارته. أنا خائفة منه جداً. حتى لو لم أذهب إلى الفندق، فإنه سيهاجمني مرةً أخرى وفق اعتقادي.

- إنه شخص خطير يا فايضة.

- لكني لا أستطيع التفريط بهذه الوظيفة! إن قلت أي شيء للمديرين فلا يخفى عليك في جانب من سيكونون. أوه! اسمعي هذا ...

وأسمعها التسجيل، فقالت:

- جيد جداً. أسمعيه لرئيسك يوم الإثنين.

- لا. يجب أن أنتظر حتى أوقع عقدي الدائم.

- حسناً، لكن كوني حذرةً جداً، وأخبري توم بما يحدث. لا أكاد أصدق ما تمرين به. أنا أسفةً أنني لم أطمئن عليك، لكن جيمس ...

- كيف حاله؟ هل غداً بخير بعد الحفلة؟

- نعم. نعم. لا تقلقي. حاولي الحصول على قسط من النوم الآن. اتفقنا؟

نزلت إلى الطابق السفلي للتأكد من أن أبواب المدخل والمخرج مغلقةً بإحكام، وكذا النوافذ؛ ثم أويث إلى السرير أحاول القراءة لكن الكلمات كانت تهرب مني، فأطفأت الضوء ورحت أهدق في السقف أفكر في يوم الإثنين حين سمعت جلبةً في الردهة. شخص ما في المنزل! نزلت السرير وأنا أفكر

في أثناء نزولي في الأولاد، والتقطت هاتفي.
ثم سمعت صوت توم في الطابق السفلي، يقول:
- فائزة؛ هذا أنا.



ركضت إلى الطابق السفلي ناسية كل شيء آخر.
لقد عاد توم!

كان قد أشعل ضوء الصالة؛ فقال لي:

- اتصلت بي سام ... لماذا لم تخبريني؟

وضع يديه على ذراعي ناظراً في وجهي، فكنت
أرغب في الميل نحوه لكنه لم يحاول الاقتراب.

- ماذا فعل لك؟ قال توم بفم صارم الخطوط.
كانت ذقنه مغطاة بلحية تشكلت على مدى أيام
عدة. وقد ارتسمت تحت عينيه ظلال داكنة.
أحسست بالدموع على خدي.

- لا تبكي. تعالي.

وضع يده على ظهري، وقادني إلى غرفة التلفاز؛
فأردت أن أمسك بيده، وأرتمي على صدره، لكن
شيئاً ما في وقفته الحذرة جانباً منعني من ذلك؛
فقال:

- هل أنت بخير؟ هل أذاك؟

هزئت رأسي.

- أخبريني بما حدث؛ كل ما حدث. قال بهدوء

كانما هو مدرك أن نبرة صوته حتى يمكن أن تؤذيني حينها.

حاولت تهدئة نفسي بالرد عليه وإخباره بالحقائق التي جرت، كوضعية يد هاري في السيارة، ثم اقتبست تهديداته وأخبرته بما حدث في المكتب وبالرسالة التي أتت على ذكر الفندق. كنت أعلم أن توم سينهار لسماع كل هذا أيضاً، ولذلك لم أقل ما شعرت به، بل حاولت التحدث بهدوء.

كان يومى برأسه بينما أتحدث من دون أن يظهر أية عاطفة، لكني رأيت ارتعاش فكه وأخدود جبينه. أخذ بيدي في يديه وفركهما معاً كما لو أنه يحاول إعادة تنشيط دورتي الدموية؛ ثم قال:

- علينا أن نبلغ عنه الشرطة يا فاييزة. إن وقع في يدي ...! أنا حقاً أسف لما حدث لك.

ثم رافقني إلى الطابق العلوي وقال:

- سنقوم بتسوية هذا. اتفقنا؟

دخل الفراش معي فتلاشى من ذهني هاري وتهديداته. ما زال توم يحبني. لقد سامحني.

اقترب منه فوضع ذراعه حولي، فقلت:

- توم. أنا أسفة جداً لكل ما حدث.

- نامي الآن فقد تأخر الوقت.

استمر في معانقتي، لكن لمستته كانت لمسة قوة وحماية، لا لمسة حنان ومحبة إذ لم يعاودني الشعور الذي كان فيما مضى يعتريني.

عندما فتحت عيني في صباح اليوم التالي، كان
توم مستنداً إلى حافة السرير، فبادرني بالحديث
قبل أن أقول شيئاً:

- كان عليّ أن أكون معك.

- لا ذنب لك أنت، أنا من جنبث عن إنبائك بما بدر
من هاري، وخاصةً بعد كل ما اقترفت يداي.

- أنا لا أتحدث عن هاري وحده، وإنما عن كل ما
مررت به في الأيام القليلة الماضية. كان ينبغي أن
أكون إلى جوارك طيلة تلك الأشهر التي قلقت فيها
بشأن المال، فخفت جداً من إخباري وواجهت تلك
المشكلات كلها. كان عليك أن تكوني قادرةً على
التحدث معي، وكان عليّ أن ألاحظ من تلقاء نفسي
أنّ هنالك خطباً ما.

- لم تكن غلطتك. الذنب ذنبي، أنا أجيد الكتمان.

- ما كان ينبغي أن تضطري لإخفاء شيء عني. أنا
أسف.

هممّث بوضع رأسي على كتفه، لكنه ترك السرير
ووقف قرب النافذة، نظر إلى الخارج، وهز رأسه،
وقال:

- عندما أفكر فيما مررت به من تحاملك على
الذهاب إلى العمل رغم علمك بوجوده هناك أعلم
أنك كنت تشعرين بالرعب يقيناً، وأنك كنت تفعلين
ذلك في سبيل الأسرة. لن أسامح نفسي أبداً لأنك لم
تستطيعي إخباري بما كنت تمرين به.

قفزت من السرير وأخذت بيده، وقلت:

- كل ما أردته هو إعادة الأمور إلى نصابها.

- أعرف. قال وهو يقبض على يدي.

- رحيلك أسوأ ما مر بي. لا أستطيع العيش من دونك يا توم. هل نحن على وفاق الآن؟

لم يرد.

لم تتحسن الأمور بيننا خلال عطلة نهاية الأسبوع، فتجملت بالصبر، فالأمر أشبه ببتري يحتاج شفاؤه إلى زمن قبل أن نتمكن من مسه، وأمل أن لم يفت الأوان لذلك، فقد بدا كل شيء هشاً رغم عودته.



كان كلُّ منا في تلك الليلة ينام على حافة من حافتي السرير، ولما استيقظت صباح الأحد لم أجده فتساءلت إلى متى سيستمر هذا، ومتى سيففر لي. لم يكن يبدو غاضباً، لكنه بدا لي عازفاً حتى عن محاولة العودة إلى ما كنا عليه قبل أن تنحرف الأحداث في الطريق الخطأ. شعرت أنه تخلي عنا، فارتديت ملابس علي عجل وفكرت في طريقة لإخراج هذه الفكرة من رأسه.

عندما نزلت إلى الطابق السفلي وجدته يتناول الإفطار مع الأطفال، ويقطع لأليكس الخبز المحمص بالبيض إلى مربعات صغيرة.

أخبرنا الأطفال أن توم قد عاد وأنا قد تصالحنا، فأوماً الثلاثة برؤوسهم، بينما قفز أليكس في الهواء قائلاً: «مرحى!»

كان في مقدورهم أن يشعروا أن الأمور لم تعد إلى طبيعتها، فقال توم:

-العشاء الليلة عائلي. وأنت أيضاً صوفيا! سأطهو لك طبق الشهير «ساق الضأن».

-«نعمم!»؛ صاح أحمد وصوفيا مهنئين بعضهما بعضاً، بينما تظاهر أليكس بالإغماء على كرسيه وهو يهتف «يم!»

ابتسمت؛ فذا كان فال خير، وقلت:

- هل يمكنني المساعدة؟ مساعد رئيس الطهارة
رهن الإشارة!

- لا. شكراً. يمكنني إنجاز ذلك.

نادى الأولاد حينما غادروا المطبخ قائلاً:

- كونوا جاهزين بعد عشر دقائق يا أولاد. لا نريد
أن نتأخر عن كرة القدم.

ظل توم بعيداً عني طوال اليوم، فإذا ما مررت إلى
جواره ابتعد، ولذا بدأت أشعر بالخوف. ماذا لو أدرك
أنه لا يستطيع الصفح عني رغم ندمه على عدم
وجوده معي طوال تلك الفترة؟ ماذا لو كانت إقامته
بيننا فقط للاطمئنان أنني بخير ريثما تحل قضية
هاري؟

لم يكن توم ينظر إليّ أو يتحدث معي، لكنه كان
سعيداً مع الأطفال، وأدركت كم غدا منغمساً في
حياتهم، فقد عرف أيّ جدول زمني ينبغي لأليكس
أن يتعلمه من أجل اختبار يوم الإثنين، كما ناقش
استراتيجية أحمد الخرافية لكرة القدم، وهو أمر لم
أفهمه قط. أخبرتني صوفيا أيضاً أنه ساعد ميغ في
أن تبلغ والديها بخوفها من إصابتها بمرض جنسي
سار؛ وذلك أنه تحدث مع ميغ عندما أخبرته صوفيا
بمدى زعر ميغ من الإصابة بالعدوى، واكتشاف
والديها الأمر.

- تمت تسوية كل شيء الآن. والداها بخير وتم
فحصها، لكن أباهما كان رائعاً جداً إذ لم يغضب، بل

اكتفى بالحديث إلى ميع وتهدئتها.

هزئت رأسي متسائلة كيف فاتني كل هذا.

- لهذا السبب كنت أقضي الكثير من الوقت معها،
لقد رافقتها إلى المستشفى في ذلك اليوم، وعدت
إلى المنزل في وقت متأخر فغضبت مني. ظننت
نفسها مصابةً بالإيدز.

- ليتك أخبرتني.

- لا بأس يا أمي؛ فقد كنت تعملين بينما كان أبي
هنا.

عندما أعددت المائدة في ذلك المساء، قطفت
بعض الورود من الحديقة، ووضعتها في مزهرية،
وراح أحمد الذي بات أطول مني يساعدني في
وضع أدوات المائدة، ثم ضمني بعد ذلك، وقال لي:

- أحبك يا أمي.

حبست دموعي

نظر توم إلينا وكشف أمر عيني وهو يقطع
البروكلي فأشاح بنظره بسرعة.

وقفت على أطراف أصابع قدمي وقبلت خد ابني.

ما من عشاء كان أكثر من ذاك العشاء كملاً وروعةً،
إذ كان غروب الشمس في كثافته كغروب أيام
الصيف الأخيرة، وراحت خيوط الشمس تتدفق إلى
الداخل فتسقط على الخزف الصيني والكؤوس

فتجعل كل شيء يتألق. ناقشنا خيارات صوفيا الجامعية، ورحلة أحمد السنوية في التخيم المدرسي، كما أراد أليكس أن يترك له أحمد جميع ملابسه القديمة، وسأله ما إذا كان لديه منها ما يناسبه الآن.

-أمي، أعتقد أنني كبرت في السن بالنسبة إلى لعبة القطار تلك. قال أليكس «لكن هل يمكننا الاحتفاظ بها لأولادي؟»

ابتسمت لتوم وابتسم لي بدوره. لقد التقت عيوننا أخيراً.

-من فضلك أمي، هل لي بالمزيد من البطاطس المقرمشة؟ طلب أليكس ليسترعي انتباهي.

هل عاد كل شيء إلى طبيعته؟ كل شيء على ما يرام، وسأحصل على مكافأتي قريباً، وأقوم بسداد المال في غضون أسابيع قليلة، وها أنا أحتفظ بوظيفتي، وأولادي بخير وتوم قد عاد. كان كل شيء مثالياً... لكني ما زلت أعلم أنه ليس كذلك.

صحيح أن توم كان جالساً على بعد بوصات قليلة مني إلا أنني شعرت أننا بعيدان أكثر من أي وقت مضى. لقد قرّ القلق في قرارة قلبي، فما أدراني أنه كان يخطط للفراق خلال تلك المدة التي خلت أن شملنا التأم فيها؟ فهو لم يقل إنه عاد إلى الأبد.

-جاهزون للمدرسة غداً؟ قال توم مخاطباً الأطفال. لقد حظيث بصيف رائع معكم جميعاً. لا يخفى عليكم أنها أول مرة أقضي فيها الصيف في المنزل.

نهضت صوفيا واحتضنت توم، وقالت:

- لقد أبليت بلاءً حسناً يا أبي!

- يسعدني جداً أن أراكم جميعاً وقد أصبحتم
طيبين ناضجين. أنا فخور بكم.

صمت الأطفال إذ لم يتحدث توم بهذه الطريقة
قط.

- أحبكم جميعاً.

لقد كان وداعاً! وضعت شوكتي وأخذت رشفةً
من الماء لمحاولة ابتلاع طعامي فقد تحقق ما
كنت أخشاه. صحيح أنه عاد، لكنه أدرك أن هذا
خطأ. شعرت أنها آخر مرة ستكون فيها معاً. استمر
الأطفال في تناول الطعام غير مدركين لما ينتظرهم،
ثم قال أليكس:

- أنا أحبك أيضاً يا أبي.

بعد العشاء، رافق توم الأطفال إلى غرفة المعيشة،
بينما مكث في الردهة أختلس النظر. كان يقبلهم
ثلاثتهم في الوقت ذاته، فشعرت بالسوء عند نظري
إليهم، ففي ذاك المشهد خطب ما. أخيراً ضمهم ضمً
مودع لن يعود.



في تلك الليلة استلقيت أنا وتوم مستيقظين في
الظلام على ظهرينا، ثم بادر بالكلام:

- لماذا لم تخبريني أنك تحتاجين إلى المزيد من
المال؟

- كنت أتحاشى شجارنا، وخشيت أن تغضب وأنا
لا أحب أن أراك غاضباً مني. كنا سعداء جداً، فلم
أرغب في إفساد ما كان.

- هل كنت خائفة مني؟

- كنت خائفة أن نتشاجر. لقد كنت غبية، لا أنكر
ذلك.

صمت قليلاً ثم تنهد، وقال:

- لم أكن أدرك أنك تخشين التحدث إليّ.

- لأنك ستغضب لا محالة يا توم.

لم يقل بعد ذلك شيئاً، فبدا أنه استنفد ما يقال.

نام، وراح يشخر بهدوء في الاتجاه الآخر، فزحف
فوق السرير والتصقت به، ثم عانقته بقوة، وتساءلت
ما إذا كان نائماً أم أنه يتظاهر بالنوم كي يمنحني
الفرصة باحتضانه للمرة الأخيرة.

في صباح اليوم التالي وكان يمسك بي بين ذراعيه فابتسمت بدفءٍ وثمالة، واستغرق مني الأمر بضع ثوانٍ لأتذكر. وضعت يدي حول ذراعه فشدها بقبضته، ثم التفت نحوه فجذبني إليه. حبست أنفاسي. لقد سامحني! قبل أعلى رأسي.

تدحرج ثم نهض، وقال:

- لدي اجتماع في المدينة هذا الصباح، وقد نذهب لتناول الغداء أيضاً، ولذا طلبت من مارتا اصطحاب الأولاد بعد ظهر اليوم. من الأفضل أن أستعد.

بدأت كذلك في ارتداء ملابس لي للذهاب إلى العمل من دون أن أفهم ما يحدث. لقد أخذني بين ذراعيه ثم ابتعد، فلا هو تولى عني ولا احتفظ بي.

كان يرتدي بدلةً وربطة عنقٍ عندما كنت على وشك المغادرة؛ فقال:

- أخبرني سيرجيو بكل شيء. افعلني ذلك حال وصولك. هاري خطيرٌ... ويستحق الإبلاغ عنه بتهمة الاعتداء. سنذهب إلى الشرطة معاً؛ لأنني إن رأيتُه ..

- أنا خائفة. ماذا لو فقدت وظيفتي؟

- لا أعرف. نحن نحتاج إلى تسوية شؤوننا المالية بسرعة. لم يتبق في الحساب شيء، وباتت جميع الفواتير مستحقة الدفع ... وقد تأخرنا في سداد الرسوم المدرسية، وبيع المنزل سيستغرق وقتاً. أقدر مدى صعوبة محاولتك لإصلاح ما فسد يا فائزة، لكنها ليست مسؤوليتك وحدك. علي أن أجد وظيفة الآن فقد خيبت آمالكم جميعاً.

وجذبني إليه، فقلت

- لا، توم. أنت شخص رائع. كل ما جرى بسببي أنا.

- ما ينبغي لي كذلك أن اضطرر للدخول في هذه الفوضى: هاري والقروض وما إلى ذلك. كانت حمايتك مسؤوليتي أنا.

توقف عن الكلام، فقلت:

- توم ... سامحتني الآن ولن تطلقني. أليس كذلك؟

سحب ذراعيه من حولي، لكنه لم يرد.

أغمضت على صورته عيناى وغرقت فيه، ثم قلت:

- أحبك يا توم.

- لطالما أحببتك. تذكرى هذا.

لقد ذهب غضبه، لكن حزناً كظيماً حل مكانه، وهذا أسوأ حالاً. كانت كلماته مملّة، وذراعه بلا وزن.

- هذا أهم ما فى الأمر يا توم. أعنى أنى أعلم أننا أفلسنا، ولكن ...

- أنا أعمل على حل هذا الموضوع، وأعتقد أن هنالك طريقة نحل بها مشكلاتنا المالية. تعلمين أنى سأفعل أى شىء للأطفال، وأنى مستعدٌ لبذل حياتى فى سبيلهم ... قال ثم أشاح بنظره متنبهاً.

- هل نحن متفقان؟

- من الأفضل أن أوقف الجميع. حظاً طيباً مع سيرجيو.

كان صوته رتيباً، وعيناه فارغتين، فلم تكونا
زرقاوين داكنتين غاضبتين، أو دوامتين قلقتين
خليطتين من الأزرق والبني، أو زرقاوين فاتحتين
هادئتين، بل بدتا تقريباً بلا لونٍ كما لو أن الحياة
استنزفت كل ألوانهما، أو أنه قد فقد الاتصال من
خلالهما.

بقيت في طريقي إلى العمل أستذكر صورة وجهه
في ذلك الصباح. كان تعبيراً لم أراه من قبل. حاولت
دفع الفكرة بعيداً، لكنني علمت يقيناً أنها صحيحة:
لقد اتخذ قراره وحسم أمره. لقد انتهى ما كان بيننا
وقضي الأمر.



في القطار، حاولت أن أكرر ما أنوي قضاؤه على مسامع سيرجيو. كان علي أن أخبره بكل شيء ثم أسمعته التسجيل.

عندما دخلت المكتب، شعرت أن هنالك خطأ ما إذ كان الناس يقفون في مجموعات لا خلف مكاتبهم، وكانت التثرثات المهموسة تتطاير في الهواء بدلاً من مزاح الصباح المعتاد؛ ثم رأيت ضباط شرطة ثلاثة يخرجون من مكتب التنين. ماذا لو غضب هاري لأنني لم أرد على رسالته؟ هل اتصل المديرون بالشرطة لاعتقالي بعد أن روى لسيرجيو أكاذيبه عني؟ اتكأ على كرسيي وبدأت في خدش الأكزيما في يدي، فأنحنى إيفان وهمس:

- إنهم يبحثون عن هاري.

كانت الشرطة تتجه نحو مكتبنا، وكذلك التنين التي لوحث لي داعية إياي للحضور.

شعرت بقلبي ينبض وأنا أسير نحوهم محاولة إخفاء ذعري. كان أحد رجال الشرطة يحمل دفترًا صغيراً وفي يده قلم رصاص، فقال لي:

- هل لي باسمك وعنوانك من فضلك؟

لم أستطع الكلام، فظهر سيرجيو بجواري، وقال:

- هي تعمل معي. فاي؛ أعني فايضة. فايضة سوندرز.

- متى كانت آخر مرة رأيت فيها هاري وينتورث؟

- ليلة الجمعة في حفل عشاء مع العملاء.

ثم سألوني ما إذا كنت قد سمعت شيئاً عن هاري منذ ذلك الحين، لكنهم لم يعتقلوني فجلست على كرسيي واشتممت رائحة العرق تحت صدريتي؛ فقالت تيريزا:

- لقد اختلس هاري مالاً من الشركة. يبدو أنه فر بعيداً.

إن كانوا يحققون مع هاري، فلن يطول بي الأمر قبل أن يقعوا على بريدي الإلكتروني.

أردت الاتصال بتوم، لكنه كان في اجتماعه ربما، فأمسكت بهاتفه ورحت أتساءل ما إذا كان عليّ أن أرسله وإذا باسم هاري يظهر على شاشتي ويتصل؛ فذهبت إلى حمام السيدات وعاودت الاتصال به فقال:

- الحمد لله. أحتاج إلى مساعدتك. من فضلك لا تخبري أحداً، ولا تخبري الشرطة. لدي شيء لابنتي. هل يمكنك مقابلتي في كوستا، بالقرب من سانت بول؟ ليس معي الكثير من الوقت.

- ماذا فعلت؟ المكان يعج بالشرطة.

- أرجوك ساعديني يا فاي. لدي رسائل لابنتي، ولست أثق في أن جوليا ستسلمها لأمبر وإيلي.

بقيت صامتة؛ فأضاف:

-أتوسل إليك. اسمعي! سأكتب إلى سيرجيو رسالة أخبره فيها أنني خدعتك.

إن كان بإمكانه منحي صك براءتي، فعلي أن أطيعه، ولذا قلت:

-حسن.

أخبرت إيفان وسيرجيو أنني سأجري فحصاً للعينين، وسأعود بعد ساعة. كانت التنين تقود الشرطة إلى مكتبها مجدداً.



في كوستا، وقفت إلى جوار طاولة هاري، فقال:

- اجلسي لدقيقة.

كان يرتدي ملابسه كالمعتاد وصولاً إلى أزرار أكمامه الفضية، لكن وجهه كان رمادياً وخالياً من الدم، فقلت له:

- لا.

سلم لي مظروفين أبيضين، وقال:

- أعلم أنني سأعتقل قريباً ... إن لم يقبض عليّ العملاء الغاضبون أولاً. سأكون في الحجز أكثر أماناً. وضحك قليلاً ثم توقف فجأة وأضاف: كتبت رسالة لكل من ابنتي.

- سأحرص على تسليمهما لهما.

فكرت في أنه يستحق كل ما يجري له، لكنني لم أقل له ذلك، بل كنت أرغب في الابتعاد عنه بأسرع وقت ممكن، عسى ألا أراه مرة أخرى. بقيت أهدق في الباب أخشى أن تتبعني الشرطة.

- ماذا عن رسالتي؟ قلت.

وسلمني ورقة قرائتها بسرعة، وقد أوضح فيها أنه

خدعني لإعطائه المعلومات، وأنه هو من ابتزني،
وقد ختم رسالته بتوقيعه والتاريخ.

- شكراً لك.

وضعت كل شيء في حقيبتي وهربت من دون أن
أنبس بكلمة.

بدأت أسير نحو المكتب بأسرع ما يمكن. ربما
لا تزال الشرطة موجودة. سأخبرهم أنني رصدت
هاري في كوستا فيجدونه، لكن ساقني اهتزتا فجأة
فاضطرت إلى الجلوس في المقهى. لم أصدق أنني
لم أر هاري كما كان. رن هاتفي. إنها رسالة من توم.
قرأتها بسرعة.

«هل تسير أمورك مع سيرجيو بشكل جيد؟»

«نعم. كل شيء على ما يرام. شكراً لك.»

سأخبره بالتفاصيل لاحقاً. رد برمز الإبهام المرفوع.

ثم أرسلت له رسالة أخرى رغم أنه لم يعد متصلاً.

«أحبك يا توم.»

كنت أشك في أن يرد علي حتى حين سيعيد
توصيل هاتفي، وأعلم أنه لا يزال مهتماً بما حدث لي،
لكن هذا لا يعني أن ميا هنا عادت إلى مجاريها. أنا
أم أطفاله، وسيعني بي توم دائماً حتى لو لم يعد
يحبني، وذلك لأنه من هذا النوع من الرجال.

عند دخولي إلى المبنى اتصلت سام، تحدثت
بسرعة حتى أنني لم أكد أفهم شيئاً مما تقول، فقد
كان صوته يرتجف، ولا صوته المعهود. لم أسمع في

صوتها ذاك إلا الذعر فتساءلت: هل ألم بأمرها خطب
من الخطوب!

قالت لاهثة:

- لقد اندفع جيمس لمقابلة روبرت وكان غاضباً
جداً ويقول إنه سيقنتله. ماذا لو فعل شيئاً له؟

توقفت عن المشي فارتطم بي أحدهم من الخلف
فأخرجني عن الطريق، فقلت:

- لن يفعل شيئاً طبعاً. أنا متأكدة من أنهما
سيتشاجران بالكلام لا أكثر. التقطي أنفاسك.

- أنت لا تدركين الأمر يا فايضة! أنا لم أره قط على
هذه الحال. لقد اتصل به روبرت قائلاً إنه سيخبر
والديهما عن عمل جيمس، ففقد جيمس صوابه،
وخرج وهو يصرخ بأنه سيلقن روبرت درساً.

- أوه! لا.

- كان جيمس يتعرض لضغط كبير في العمل،
وكنث أعلم أن بينه وبين رئيسه بعض المشكلات،
لكني لم أتصور مدى سوء الأمور إلا في حفلة ليزي.
لقد أفلس وقال لي إنهم خفضوا رتبته وأخذوا
مكتبه! لم أعد أستطيع التفكير. إن علم والداه بكل
هذا فسيدمره ذلك.

- مسكين جيمس. أنا أسفة حقاً يا سام.

- إنه لا يرد على اتصالي. أنا قلقة جداً.

- اسمعي! جيمس لم يكن عنيفاً في يوم من الأيام،
وأنت تعلمين ذلك، ولذا أنا متأكدة من أنه سيتشاجر

مع روبرت ومن ثم سيعود إلى المنزل. صحيح أن
ضغط العمل فظيع، وكذا ضغط عائلته، لكنه يعلم
أنه يحظى بدعمك وأنتك تحبينه، ولا شك عندي في
أن كل شيء سيكون على ما يرام.

- أتمنى ذلك. سأستمر في محاولة الاتصال به.



عندما عدت إلى المكتب كنت أشعر بالإرهاق التام. مسكين جيمس! كانت مكانة عمله، ووضعه جزءاً مهماً منه، وتجلس سام المسكينة وحيدة في مكتبها تحاول حماية زوجها.

ما إن جلست حتى قال إيفان:

- لقد تم رصد هاري، فغادرت الشرطة لتوها.

شعرت براحة تامة، فقلت:

- هذا جيد. أين سيرجيو؟

- خرج بعد ذلك لحضور اجتماع وتناول الغداء مع العملاء.

لن أستطيع الاسترخاء حتى أخبر سيرجيو بأمر هاري وأوضح له كل شيء. أردت أن أخبر الشرطة أين «رصدت» هاري. راسلثهم عبر البريد الإلكتروني، ووصفت لهم ما كان يرتديه، كنت أمل أن تساعدني هذه التفاصيل في القبض عليه. كنت ممتنة أنه كان علي تقديم عرض خلال اجتماع الفريق، فهذا سيشغلني خلال انتظاري لرؤية سيرجيو. كنت في غرفة الاجتماعات ذات الجدران الزجاجية إلى جوار المكتب المفتوح مع إيفان وتيريزا وديفيد إذ يكتبون أرقام المبيعات على مخطط مطوي حين

سمعت من تلقاء الخارج جلبة ما. إنها ماريان، إحدى السكرتيرات، تجلس باكية على كرسي وقد وقف بعض الناس من حولها، فخرجنا جميعاً، وطوقناها وقوفاً، فقالت ماريان باكية:

- لقد سقط أمامي. يا إلهي! يا لذلك الصوت الذي أحدثه عندما ارتطم بالأرض!

ناولها أحدنا منديلاً، فسألت رجلاً كان إلى جوارى:

- ما الذي جرى؟

- كانت ماريان ذاهبة للحصول على فنجان قهوة من متجر قرب البنك حين قفز رجل ما من مطعم سينك فوق بجانبها مباشرة. كانت لتموت أيضاً لو أصابها.

- هل مات؟ قلت.

وانضمت إلي أندريا من قسم الموارد البشرية.

- مسكين هو وعائلته.

- هل تعتقد أن هاري؟ سأل أحدهم: تقول الشرطة إنه شوهد بالقرب من البنك هذا الصباح ثم اختفى. ربما كان هو...

شهق عدة أشخاص.

- حسن. ما كان لي قبل أن يتأذى أبداً.

- لا؛ فحبه لنفسه أكبر من أن يجعله يقتل نفسه. قال آخر.

- لقد أفلت من بعض المتنفذين جداً. قال ديفيد

بوجه قاتم غير معهود.

سرث بعض الضحكات المتوترة، لكن الناس بدوا قلقين أيضاً، فقد كان احتمالاً وارداً؛ وخاصةً أن هاري بدا خائفاً في الآونة الأخيرة. فكرث في الرسائل التي أعطاها لي، وكيف رجاني أن أحرص على تسليمهما إلى ابنتيه. ماذا لو كان هذا ما خطط له؟ لم أرغب في موته رغم كل شيء.

جاءت التنين لاحتضان ماريان بين ذراعيها، وقالت:

- هل أنت بخير؟

أومات ماريان برأسها ومسحت دموعها المتواصلة بالمنديل، وقالت:

- يا إلهي! ماذا لو كان هاري؟

نظرت التنين إلينا، وقالت:

- لقد اتصلت بزوجته للتو. إنها في حالة هستيرية.

بدأ هاتفني بالرنين فتساءلت للحظة ما إذا كان المتصل هو هاري مجدداً، وما إذا كان على ما يرام، لكن سام كانت المتصلة.

ابتعدت عن المجموعة، وسألتها:

- هل عثرت على جيمس؟

- لقد قفز أحدهم من مبنى يقع قرب مكتب روبرت! قالت وهي تلهث وتتحدث بسرعة كبيرة.

ماذا لو كان جيمس؟ هنالك شيء لم أخبرك به، وهو أنه أخبرني بعد حفلة ليزي أنه يعاني من اكتئاب محدودٍ شخّصه الطبيب أنه نتيجةً لضغوطٍ في العمل، لكن رئيسه كان يتنمر عليه ويهينه لشهور، فأرسله الطبيب العام للاستشارة، لكنه كان يخجل جداً من إخباري بذلك، وهذا عندما رأيته في المستشفى. لقد انتهت حياته المهنية ويعتقد أنه سيخسر والديه، فقال إنه سيلقن روبرت درساً، لكن ماذا لو قصد ...؟

كان فمي جافاً، لكنني حاولت تهدئة سام، فقلت:

- سام؛ ليس هناك سبب للشك في أي شيء من هذا القبيل! هل ذهب لرؤية روبرت؟ هل اتصلت به؟ أين يقع مكتب روبرت؟

- إنه في برج توينتي الذي قفز منه هذا الرجل. لقد رأيته للتو في الأخبار.

دق قلبي بسرعة؛ وتراقصت في رأسي صورة سام وجيمس مع أطفالهما في حفل شواءٍ في منزلنا وهم مجتمعون معاً على الأريكة. طلبت منها الاتصال بروبرت أولاً، ثم سأحاول معرفة مكان حدوث الانتحار تماماً، فسألت ماريان:

- عند أي متجرٍ كان ذلك؟ هل يقع بالقرب من برج توينتي؟

- نعم. بالقرب من محطة المترو، وهذه هي سادس حالة انتحارٍ من سطح مطعم سينك. هذا فظيغ حقاً. قالت ماريان.

كنت أتمنى ألا يكون المكان ذاته. أغمضت عيني

وأخذت نفساً عميقاً. كان عليّ أن أخبر سام بذلك، ففصليتُ ألا يكون جيمس، ولكن شيئاً آخر في حديثها جعلني أشعر بعدم الارتياح. تجهمتُ محاولةً أن أعرف ما هو ثم عرفتُه. إنه اسم المطعم. كان رأسي مليئاً بسام وهاري إلى درجة أنني لم أكد أدرك ذلك. كان توم قد ذكر مطعم سينك في ذلك الصباح. لقد قال إنه قد يكون في مقابلة هناك، كما ذكر مكاناً آخر، لكنني لا أستطيع تذكره.

تشنجتُ معدتي، فقلتُ في نفسي إن سبب تفكيرِي هذا هو حديثي مع سام. لا بد أن في مطعم سينك وقت الغداء ما يقرب من مائة شخص لم يقفز منهم سوى رجل واحد. لقد كنتُ غير عقلانية. أعرف ذلك، لكنني لم أستطع تجنب الارتعاش.

قررتُ إرسال رسالة إلى توم ليطمئن قلبي، لكنني حين فتحتُ هاتفي وجدتُ أنه قد أرسل لي رسالة:
«أنا آسف.»

فقط.

اتصلتُ به على الفور، ثم خرجتُ من المكتب نحو الردهة، لكنني لم أسمع سوى بريده الصوتي. اتكأتُ على الحائط. إنه بخير، بالطبع هو بخير. لا يستطيع الرد على هاتفه لأنه في اجتماع. لقد ساءت الأمور بيننا، فمن الطبيعي أن يرسل لي رسالة يقول لي فيها إنه آسف. أثراه كان يخبرني أنه لم يعد يحبني بعد رسالتي الأخيرة؟

بدأتُ أحتُ الخطي فأرسلتُ له رسالةً أخرى.

«توم، عزيزي، من فضلك أرسل إلي رسالة أو اتصل بي. إنه أمر طارئ!»

وبينما كنت أنتظر رده، فكرت في الحالة المزاجية الغريبة التي كانت تعتريه طيلة عطلة نهاية الأسبوع، وتذكرت كلماته في ذلك الصباح: «سأبذل حياتي من أجل الأطفال.»

كانت أظفاري تنهش بشرتي حتى غدت يداي مغطاةً بالبقع الحمراء. كنت أتصرف كأمي فكانما حياتي حبة دراما باكستانية. كان علي جمع شتات نفسي، وإخراج تلك الهواجس غير المنطقية من رأسي. على سام أن تقلق لا أنا. توم بخير. توم صلب.

وبينما أنا عائدةً إلى مكتبي عاودتني قصص من قفزوا من المنصة رقم ستة. كان أولئك الرجال، وهم من الرجال دائماً، قد عملوا أو يعملون في المدينة، وكانوا في منتصف العمر مثل توم، وكانت لهم عائلات مثل توم ... ولكن خطباً ما حل بهم فجعلهم يقفزون.

إن كان لي في ذلك اليوم أن أفكر؛ ولو للحظة، في الانتحار على المنصة رقم ستة، فكيف لي أن أثبت أن توم لن يفكر في الأمر أيضاً؟ لقد خسر أحداً الآخر، وتحطمت عائلتنا، ثم إنه تحدث عن تأمين حياته عندما كان يبحث عن عمل. حاولت تذكر ما سبق من سخريتنا عند رفضه لوظيفة أخرى إذ قال حينها: «إن مث كسبت أكثر من هذا؛ فتأمين حياتي يبلغ ١٥٠ ألف جنيه إسترليني.»

كانت أفكاري تلتئم معاً كقطع الألغاز المتشابكة. عناق توم ذلك الصباح، والذي شعرت أنه كان وداعاً،

والعشاء العائلي غير المتوقع، والطريقة التي ضم بها الأطفال الثلاثة معاً، وكون توم عاطلاً عن العمل منذ أشهر، وإفلاسنا المالي، وتقبيلي لرجلٍ آخر. فكرتُ في مقابلته المفاجئة في المدينة، ورسالته التي اعتذر فيها. لقد كانت عاصفةً بكل معاني الكلمة. لقد تحدث عن مطعم سينك ذلك الصباح. كنت واثقةً من ذلك.

تذكرتُ كيف توقف عن ارتداء الملابس ومقابلة الناس، وتذكرتُ غضبه وعدم مبالاته الغريبة بطباعه. لقد كنتُ غبيةً جداً. توم لم يكن مقصراً في دعمي، بل كان مكتئباً. بدأتُ بالاتصال به بشكلٍ متكررٍ. إن كان هاتفه صامتاً، فسيشعر باهتزازهِ إن واصلتُ الاتصال به، وسيتحرك ويهتز فوق المنضدة إن وضعه مقلوباً في أثناء اجتماعه.

فكرتُ في محادثة منسية أجريناها منذ سنواتٍ إذ دارت حول التقدم في السن. حينها قلتُ إنني بصرف النظر عن معتقداتي وددتُ ألا «أقضي نحبي» حتى أبلغ الخامسة والثمانين أو التسعين، وذلك بطريقةٍ حضاريةٍ في منتجعٍ صحيٍّ في سويسرا، وأن الانتحار محرمٌ، ولم يكن خياراً يخطر لي أصلاً.

فابتسم توم حينها وقال: «لست متأكداً من أن ذلك سيمنعني من قتل نفسي!»

هزئتُ رأسي. لا. لا. أنا أبالغ. يمكن أن يكون انتحار أي شخص، والراجح أن يكون هاري. أتمنى ألا يكون جيمس، ولا يمكن أن يكون توم، طبعاً لا. لا بد أنه سيتصل بي في أية لحظة.

قررتُ العودة إلى العمل، والنظر إلى شاشة هاتفي

من زاوية عيني في انتظار اتصال توم أو سام بي.
كنت قد بدأت في كتابة رد على استفسار ميشا
عن إحدى أرصده عندما ظهرت صورة في ذهني
فجأة: توم مستلقي على الخرسانة مهشم الساقين
والذراعين والدم الأحمر القاني ينساب ببطء حول
شعره.

واتضح فجأة قلقي بعدما كان ألماً غامضاً في
صدري فقط، إذ تذكرت ما قاله لي: «لقد خذلتك»،
ثم أخبرني أنه وجد طريقة لحل جميع مشكلاتنا
المالية، فماذا لو كان فكر فيما فكرت؟ وهو أنني إن
مُت تركت تأمين حياتي على الأقل.



ركضت نحو الردهة، وانتظرت المصعد وأنا أتصل بتوم الوقت كله. كان علي أن أقصد مطعم سينك. لم أستقل سيارة أجرة، فربما تكون الشرطة قد أغلقت الطرق القريبة، ولذا بدأت بالركض نحو شارع ثريدينيل كنت أخترق تجمعات الناس قائلة لهم «عذراً!» بينما أنا أقصد أن أقول «ابتعدوا عن طريقي».

وأمام مطعم سينك كانت هنالك أربع سيارات شرطة متوقفة في منتصف الشارع، إضافة إلى سيارة إسعاف. توقفت ألث خائفة من المضي قدماً بعدما وصلت. كانت حشود الناس متجمهرة حول المبنى الذي تفصلهم عنه شرائط الشرطة. شخصت ببصري لألقي نظرة على السقف الذي كانت النباتات الخضراء تحف بحاجز شرفته الزجاجي.

الآن، وبعد أن توقفت، كانت قدمي تؤلمانني فبث أعرج و تفقدت هاتفي. لا جديد. كان طاقم تلفزيوني يصور صحفياً يحمل ميكروفوناً أمام فم امرأة مسنة روت بأحداق متسعة ما رآته، فقالت:

- رأيته يقفز. لا أذهب عادةً إلى المدينة، لكن ابني كان يحتفل بي في عيد ميلادي الستين حين رأيته رجلاً يمشي حتى بلغ نهاية الشرفة، فوقف هنالك وراح يتمعن في المناظر. هل تعلم أن المدينة

بأكملها ثرى من هناك؟ رأيته لأن ابني وجد لي مكاناً
ذا إطلالة. وبعد ذلك، بعيد دقيقة ... أوه! كان ذلك
فضيعاً. رأيته إذ تسلق الحافة ثم قفز.

- لا شك في أن ذلك كان مؤلماً جداً؛ ولكن هل لك
أن تصفيه لنا؟

- كان كأي شخص في المدينة، رجلاً في منتصف
العمر ذا شعر بني يرتدي بدلة، لكنني لم أر ...

وغرق صوتها في شخير الدم في أذني، فاندفعت
وسط الحشود أرتطم بالأجساد حتى بلغت الطوق
وقد وضعت لوحة بلاستيكية زرقاء على الأرض،
لكنها كانت مسطحة، والجنّة لم تعد موجودة،
وكانت مجموعة من الشرطة تقف غير بعيد منها،
فقلت:

-المعذرة!

وانزلت تحت الشريط، وكنت على وشك التقدم
نحو الضباط لولا أنهم أمروني بالتراجع، ثم جاء
أحدهم فأمسك بذراعي، ودفعني مرة أخرى من
تحت الشريط، وقال:

-الساحة رهن تحقيق تقوده الشرطة. لا يمكنك
تجاوز هذا الشريط سيدتي.

-لعلك لا تدرك السبب! لا أريد سوى معرفة اسم
الرجل الذي قفز.

لأن وجه الشرطي قليلاً حين راني أبكي؛ فقال:

-أنا أسف. لا يمكننا فعل ذلك.

جاء شرطئي اخر ليقف إلى جوارنا، ثم شكّل الحشد دائرةً حولي فخلت أني رأيت من يصورني بهاتفه قائلاً:

- من فضلك، من فضلك، هل لي بمعرفة اسمه؟

طوقت نفسي بذراعي، وتشنج فكي.

تبادل الضباط النظرات، ثم أمسك أحدهم بمرفقي، وأبعدني عن الحشد، فهمست:

- ربما يكون زوجي.

فشهق شهيقاً عميقاً، ثم قال:

- أنا أسف؛ لكن الرجل لم يكن يحمل ما يثبت شخصيته. لا محفظة بحوزته ولا هوية.

- كيف يبدو؟ أله شعر بني فاتح مشوب بشيب؟ عينا توم زرقاوان فاتحتان، وكان يرتدي ربطة عنق زرقاء ووردية، وعلى حاجبه الأيسر ندبة صغيرة. «صرخت كمن يتألم» أرجوك ساعدني!

- اسمعي! من الأفضل أن تعودني إلى المنزل؛ فإن احتجنا إلى الاتصال بك لأي سبب كان، فسنقوم بذلك.

كنت أتوقع منهم أن يقولوا لي لا داعي للقلق، و ربما لم يكن المنتحز زوجي، لكنه بدلاً من ذلك أخذ اسمي ورقم هاتفي الخلوي ثم عاد لينضم إلى زملائه قرب الشريط البلاستيكي الأزرق.

طلبت سيارة أجرة إذ لن أستطيع العودة إلى المكتب، بل سأعود إلى المنزل وأنتظر من الشرطة اتصالاً. كنا قد وصلنا للتو إلى ستراند عندما تذكرت أنني لا أحمل مفاتيحي، فحقيبتني لا تزال على مكثبي، طلبت من سائق سيارة الأجرة أن يعود بي، وأرسلت إلى إيفان رسالة نصية أطلب منه فيها أن ينزل لي الحقيبة إلى الأسفل.

-تبددين في حال سيئة. ماذا جرى؟ قال إيفان حين سلمني حقيبتني عبر نافذة السيارة.

-أشعر أنني لست على ما يرام. شكراً إيفان؛ لكنني مضطرة للعودة إلى المنزل.

- هل بلغك الخبر؟ لقد اعتقل هاري.

ظلت أتفقد هاتفي في سيارة الأجرة. لا رسائل من توم. حاولت معاودة الاتصال به، وقد شعرت بالسخط يفمرني. لماذا لم يكن هاري المنتحراً؟ ثم أغمضت عيني. لا أحد يستحق هذا، ولا حتى هاري. فكرت في هاري في السجن فتخدرت أوصالي. صحيح أنه المكان الذي ينبغي أن يكون فيه لأنه كان خطيراً، وأني الآن بث في مأمن، إلا أنني لم أعد أشعر بأي شيء، لا براحة ولا بغضب. لا شيء سوى انقباض صدري المتزايد إذ راحت آمالي تتفلت مني بعيداً كلما مر الوقت من دون أن أسمع صوت توم.

بدأت أتلو في سري صلاة علمتها لي أُمي مراراً وتكراراً.

ولما أوشكت أن أبلغ منزلي أومض هاتفي، فكانت رسالة من سام:

«إنه سليمٌ معافى!»؛ فبدأت أبكي بارتياحٍ ورعبٍ.

في المنزل خلعتُ كعبتي وجلستُ على الأريكة، وقمتُ بتوصيل حاسبي المحمول بالشاحن، ووضعتُ هاتف المنزل إلى جوارِي، ثم جلستُ أنتظر.

قلتُ لنفسي ألا أخبار جيدةً باستثناء أنهم ما زالوا يحاولون التعرف إلى توم ربما. ظللتُ أدعو له أن يكون على ما يرام بينما أحاول أن أدفع عني صورة توم الممدد على رصيفٍ قذرٍ برأسه المهشم، ومستقبله الضائع بسبب ما فعلته.

لو لم أبدأ كل هذا؛ استنزافي المال وقولي الكذب، وإفساد زواجنا، لما حدث شيءٌ من هذا.

كان يفترضُ به الآن أن يرد على رسائلي أو يعود إلى المنزل.

وقفتُ في منتصف الغرفة، وبدأتُ أصرخ: «توم! توم! توم!» كما لو أن ذلك قد يعيده.

ظللتُ أصرخ باسمه مراراً وتكراراً حتى جفَ حلقِي.



عما قريب يعود الأطفال إلى المنزل، ولا ينبغي لي أن أظهر أمامهم على هذه الحال. أقلت مارثا الأولاد وتعهدت بطهي العشاء لهم؛ فقد راسلتها لأخبرها بأنني أعاني صداً نصفياً، وأني سأخلد إلى النوم.

أغلقت باب غرفتي وصعدت السرير، غطيته رأسي بالملاءة. كان هاتف المنزل مستريحاً إلى جوار بطني، وكان مصباح هاتفي الخلوي مضاءً داخل خيمة ملاءتي.

لا بد أنني نمت واستيقظت على طرق باب غرفتي.

- افتحي الباب يا فايضة!

إنه توم. كانت الغرفة مظلمة حين ركضت لفتح الباب، فارتيمت عليه أضغط على سترته، وأتلمش خده، وأتحسس بيدي ذراعه. إنه هو. دار رأسي، فأخذني بين ذراعيه فاتكأث عليه وأجهشت بالبكاء.

- توم ...

خارث ركبتي فحملني إلى السرير.

سمعتُه حين أنزلني وهو يخبر الأطفال أنني لست على ما يرام، ثم عاد إلى غرفة نومنا فأغلق الباب وقد جلب لي بعض الماء من الحمام، ثم جلس

قربي ورفع الكوب حذاء فمي، فشربت ثم اتكأت على الوسادة وعيناي تجوبان أرجاء جبينه وعينه وشفتيه. أمسكت بيده وقبّلت غقل أصابعه، فتناول من فوق المنضدة منديلاً مسح به وجهي.

أخبرثني مارثا أنك تعانين من صداع نصفي. هل تناولت بعض المسكنات؟ أنا أسف. لقد أغلقت هاتفي في اجتماعي، ثم أخذوني لتناول الغداء واحتساء مشروب بعد ذلك، فنسيث إعادة تشغيله ولم أر كل رسائلك إلا توأ. رأيت رسالتك التي تقول إن كل شيء سار على ما يرام مع سيرجيو، فما الخطب؟ هل حدث شيء في العمل؟ هل طردوك؟

وراح يدفع شعري المتشابك عن وجهي، وأضاف:

- لن تواجهي الأمر بمفردك بعد الآن. سنتجاوز هذا معاً.

أخذ يدي وقبّل راحة يدي كما لو كان لا يزال يحبني.

أمسكت يديه، ونظرت في عينيه مباشرة، وقلت:

-توم. لا أستطيع العيش من دونك، لذا لا يمكنك أن تتركني. لن أدعك. أطلب منك أن تسامحني.

-لن أتركك أبداً يا فايضة. أنا أسف أيضاً. لقد أرسلت إليك رسالة. ألم تريها؟ لم يكن الذنب ذنبك وحدك، وأنا أعلم ذلك الآن.

-إنها غلطتي. لقد كذبت عليك، لكنني لن أفعل ذلك مرة أخرى.

- سسس! لا تقولي هذا! لا بأس عليك!

وتحسس شعري.

- أنت لا تكرهني. أليس كذلك؟ أنا أعني ما أقول؟
أنا شخص فظيع. لقد دمرت كل شيء تقريباً.

- أنت لست شخصاً فظيلاً، ولا يجوز أن تتحملي
كل الملامة. كان ينبغي أن تكوني قادرة على
التحدث إليّ بدلاً من خوفك مما سأقوله.

وانحنى إلى الأمام ليقبلني، لكنني ابتعدت، وقلت:
- اعتقدت أنك مث! اعتقدت أنك انتحرت.

- ماذا؟

- قلت لي إنك ذاهب لتناول الغداء في مطعم
سينك؛ ثم بلغني خبز الرجل الذي قفز من هنالك،
ولم أستطع الاتصال بك فخلت أنك ... فهرعت إلى
المطعم لكن الشرطة لم تخبرني بشيء، ولم أتمكن
من الوصول إليك. لقد جعلتك تشعر بانهايار شديد
بسبب ما اقترفته يداي في العمل وفي كل شيء.
ظننت أنني فقدتك يا توم. لا أستطيع ... لم أستطع

لم يتفوه بكلمة؛ بل نهض وخلع حذاءه وجوربيه
ووضع سترته وقميصه على كرسي، وصعد إلى
السريّر. رفعني عن الوسائد برفق كأنما يخشى
لهشاشتي أن أتحطم بين يديه، ثم جذبني إليه
ووضع رأسي على كتفه. وجهني نحوه حتى بتنا
وجهاً لوجه، لقد رأيت الدموع في عينيه.

- أنا أسف جداً. لم تكن لدي أدنى فكرة عن ذلك. ما
كنت لأتركك أبداً، أما كل ما قلته فكان في فورة

غضب منك ومن نفسي أيضاً. مهما فعلت ما منعني
ذاك من حبي لك.

مسحت عينيه بإبهامي واعتدلت فقلت:

- لا أصدق أنني أنفقت كل هذه الأموال. لم أفكر ...

- لم تكن لدي أدنى فكرة عما كنت تمرين به. أعلم
أنني قد أكون متسلطاً قليلاً فيما يتعلق بالمال؛ وأن
«لا تمش المدخرات أبداً» هو شعار عائلتنا، لكن
كان علي أن أتحدث معك بدلاً من إلزامك بميزانية
مستحيلة.

- كنت أكره جدالنا يا توم، وأخشى أن يحل بي
ما حل بوالدي. حاولت ألا أنفق المال، لكنني لم
أستطع ضبط نفسي لأنني كنت أخشى ألا أجد
لنفسي ولأبنائنا أصدقاء، إن لم أسز على نهج النساء
الأخريات. لم أكن أتقبل أن يشعر الأولاد بالاختلاف
كما شعرت.

رفع توم ذقني، وقال:

- نحن لسنا والديك. اتفقنا؟ ولن يضطر الأطفال
للمرور بما مررت به. أعلم أنك كنت تحاولين
حمايتهم وحسب، لكن تجربتهم لن تكون كتجربتك،
وحتى لو كانت كذلك فإن في مقدورنا مساعدتهم
في التعامل معها.

تنهدت، وقلت:

- كنت أحاول حماية الأطفال، غير أنني ألحقت
بهم ضرراً فاق نفعي لهم ربما. أعتقد أن فقدانك
لوظيفتك كان خيراً بطريقة ما. كان عليهم مواجهة

الحقائق، والحقيقة أنهم كانوا أحسنوا ذلك جداً. لم أكن أريدهم أن يشعروا مثلي بالحزن لأنهم لا يملكون ما يملكه أصدقاؤهم، أو لأنهم لا يخرجون في رحلات مدرسية، أو يذهبون في إجازات، لكنني كنت مخطئة: لديهم كل شيء لكنني لم أكن أدرك ذلك.

أدركت الآن أنني لا أحتاج إلى طمأنة الأطفال؛ إنما كنت أحاول أن أطمئن نفسي وحسب.

- لقد أنفقت المال على نفسي أيضاً، لا على الأطفال فقط. قلت وعضضت على شفتي: لم أكن خالية من الجنون تماماً. كانت جميع الأخريات يبدن أصغر سناً حين يخضعن لعلاجات من علامات الشيخوخة، وما كنت متيقنة من أنك ستبقى على حبي بتجاعيدي وترهلاتي...

- حبيبتي؛ التجاعيد والشيخوخة شيء جيد فهما جزء من الحياة، ولا تعني أنني لن أحبك. ها أنا ذا لدي تجاعيدي وشعري الذي غدا رمادياً. التقدم في السن شيء جيد، صدقيني. إنه أفضل من البديل بكثير!

أومات برأسي وحاولت التبسم.

كان هنالك سبب آخر لمحاولتي أن أبدو حسنة المظهر ما استطعت، ولأطول فترة ممكنة، وهو هاجس رافقني لسنوات، حتى يوم زفافنا ربما، لكن هذا الشعور تعزز عندما بدأت أرى علامات الشيخوخة، فلم أتمكن مطلقاً من سؤاله عن الأمر لأنني خشيته إجابته جداً. أما الآن فسينبجس ذلك الهاجس من بين أوصالي لأنني أحتاج إلى كشفه،

ولذا ثنيث حافة الملاة بين أصابعي غير قادرة
على النظر إليه، ثم قلت:

- الأمر لا يتعلق بالتقدم في السن وحده يا توم،
بل في أني لا أستطيع التوقف عن التفكير في
صديقاتك القدامى اللاني كنّ جميعاً طويلات القامة
شقراوات إنكليزيات؛ ولطالما تساءلت ما إذا كنت
تزوجتني فقط ؛ لأنك لم تكن لتحظى بي، إلا إذا ما
تزوجنا، وحين زرقنا بالأطفال أبقيت على زواجك
بي لأنك رجل طيب فقط.

-فايزة! لم يصوب أحد مسدسه إلى رأسي
لأتزوجك أو أبقى معك. أنت أجمل امرأة رأيتها في
حياتي. أنا أحب وجهك، أحب جنونك، أحب لطفك،
أحب روح الدعابة فيك، والطريقة التي تتظاهرين
فيها بالقسوة. أنا أحبك وأريد أن أمسك بك كلما
رأيته. هل هذا واضح؟

خلت عقدة في مكان ما عميق في داخلي عند
سماعي كلماته، وذلك لعلمي بصدقه واجتنابه
الكذب؛ فقلت:

- بات واضحاً الآن! ولكن كان الأخرى بك أن
تخبرني ذلك في مرحلة ما خلال العشرين عاماً
الماضية علّ ذا يجنبنا الكثير من المتاعب. أليس
كذلك؟

- خلته تعرفين ذلك. قال فضحك كلانا.

بعد ذلك، قال لي توم:

- نسيث أن أخبرك. لقد أجريث اليوم مقابلة ...
وحصلت على الوظيفة.



جلسْتُ أنا وسام ونائلة في صمتٍ نحدقُ في مشروباتنا، وقد احتجبنا جزئياً في ركنٍ من المقهى.

لزمنا الصمت لبضع دقائق ثم بدأت كل واحدة منا تسرد جديدها. كانت الدموع في عيني ورأيث أن كلا منهما كانت تبكي كذلك، فقلت:

- لا أستطيع أن أصدق أننا مررنا بكل هذا الهراء من دون أن يفضي بعضنا إلى بعض. لو أخبرتكما لتشجعت ربما على إخبار توم أيضاً، فما كان للأمور أن تسوء هكذا.

فأومأتا لي ثم تشاركنما ما حاولنا جاهداتٍ حمله بمفردنا فبثُ الآن لا أريد سوى أن أكون على طبيعتي سواء مع أصدقائي أم مع توم أم مع كل شخص آخر في حياتي.

كنتُ أحتاج إلى التوقف عن التورية، فقلت:

- أردتُ أن أخبركما، لكنني شعرت بالخجل الشديد.

أعطتني نائلة منديلاً، بينما ضمتني سام بذراعيها وتداننا لإخفائي عن بقية المقهى، فقالت سام:

- أنت مجنونة يا فايضة. نحن نحبك، وأنا ممتنة جداً أنك أخبرتنا.

ابتسمت وأنا أنظر في عيونهما التي لم تظهر أي
اشمزازٍ أو عتابٍ، فقلت:

- لقد أنفقت كل تلك الأموال، وكذبت على والدي،
وتركت أطفالي بغير حماية، ولماذا؟ أخبرتني
والدتي أنها كانت تنفق المال لإثارة إعجاب والديها
وأخواتها الذين جعلوها تشعر بالدونية إذ لم تكن
أثرياء مثلهم، إلى أن جاء يومٌ أدركت فيه أنها تملك
أصلاً كل ما تريده، وأنا أعتقد أن ما جرى لها جرى
لي إذ كانت حياتي رائعة. لقد كانت رائعة حقاً، فها
أنا الآن بعد أن فكرت في الأمر وجدت أن لدي توم
والأطفال ووالدي وأنتن جميعاً، أما حين قارنت
نفسي بالفاتنات من حولي وحياتهن المثالية البراقة
نسيث ما أملك لصالح ما أفتقد، فشعرت أن من
حقني أن أتشبه بغيري فأكون مثلهن، لكن ذلك لم
ولن يكون.

أدركت الآن أن وجودي بين ذاك الحشد قد لمس
في وتراً لا أملك السيطرة عليه: إنه وتز كعب
أخيل الذي يعود إلى عهدي إذ كنت «فتاة المنحة
المدرسية»، والرقاقة التي كنت أخفيها عميقاً في
كتفي؛ فقلت سام:

- لا خير في مقارنة نفسك بالآخرات! ستكون
هناك دائماً من هي أنحف منك، وأجمل منك، وأغنى
منك، وأكثر نجاحاً منك، وهذا ما فعلته سموه
والدي جيمس به طيلة حياته بمقارنته بروبرت؛
ولهذا السبب انهار عندما ساءت أمور عمله. صحيح
أننا لم نكن نحتاج إلى المال وأنني أحببته بترقية
أو من دونها، إلا أنه شعر بالفشل عندما قارن نفسه
بأخيه.

كانت سام قد أخبرث نائلة للتو عن جيمس فقالت نائلة:

- أنا أسفة جداً. كيف حال جيمس الآن؟

- أفضل. شكراً. لقد ترك هذا العمل ... وأخبرث والديه أن يغربا عن وجهنا.

لم تكن سام قد شتمت قط، فقلث:

- هيا يا سام!

- لم أتشاجر معهم من قبل قط، لكني قصدتهم وأخبرتهم أننا لا نريد أن نراهم على الإطلاق ثلاثة أشهر، وأن حفل الذكرى السنوية سيكون عشاء عائلياً في منزلنا ... أعجبهم ذلك أم لم يعجبهم. أصيب جيمس بالرعب عندما سمع مقالتي، لكني أعتقد أنه ارتاح أيضاً. وددت لو أخبركما بالأمر لولا أن هذا سيخرج جيمس جداً ...

أخبرث نائلة سام عن عادل الذي بدأ يرتاد كليسينغتون، فقالت:

- أنا أسفة أنني كتمت هذا الأمر، لكني شعرت أنني محتالة بعد كل حديثي عن المدارس الخاصة.

- نائلة، لم نتخذك صديقة بناءً على مدرسة ابنك. قالت سام.

- ذكريني مرةً أخرى: لماذا اتخذناها صديقة؟ سألتها.

- بدانا أنا وسام نضحك ولكن نائلة لم تشاركنا الضحك، بل راحت تحرق في شوكة في يدها

وتتحسس مقبضها كما لو أنها لم تر شوكة من قبل.

- هنالك سُر آخر. سُر لم أقله لأحد سواكما، ويتطلب سريةً تامةً. بات لدى سيما صديق حميم؛ وكانت تشمل وتقصّد الحفلات وتدخن الحشيش، ولم تكن لدي أدنى فكرة عن ذلك حتى فقدت وعيها في منزل أحد أصدقائها فاتصلوا بنا. لم أكن أعرف أي خطأ ارتكبت. قالت ثم مسح عينيها بمنديل.

- إنها مراهقة. قالت سام.

- لا يا سام. أنت لا تعين الأمر. هذه الأشياء محرمة في ثقافتنا؛ فإذا ما اكتشف والداي أو والدا طارق أو غيرهم ما حدث فإن سمعتها ستمزغ في التراب؛ وكذا سمعنا.

أعطيت نائلة طبق الشوكولا، وقلت لها بعد أن تناولت منه قضة:

- اسمعي يا نائلة، ينبغي أن تكون الأمور مختلفة بالنسبة إلى أطفالنا؛ فتجربتهم لن تكون كتجربتنا. وبالمناسبة، لا أقول هذا فقط لأنني متزوجة من رجل أبيض. ألم تسمعيني أتحدث عن جميع حفلات العشاء والزفاف التي كنت أحضرها رغم ما فيها من البارات المكتظة بالسكاري؟ هؤلاء أنفسهم ينكرون ثمالتهم حين يكونون بصحبة جمهور تقليدي أكثر منهم، فلم أكن أقول لمثل هؤلاء سوى أن لكل من في هذه الحياة طريقاً يختاره بنفسه. على الأقل، يمكنك الآن التحدث مع سيما بعد أن أصبحت الأمور واضحة، فاشرحي لها سبب اعتراضك على فعل تلك الأشياء من دون أن تقولي لها: «هذا لأن ثقافتنا تفرض ذلك». فبدائية، ثقافتهم

ليست كثقافتك وثقافتني، والأمز الثاني هو أن
في لندن وباكستان الكثير من العائلات التي تفعل
كل ما تمنعنها من فعله؛ ولذا ابحتي عما يناسبك
ويناسبها. أنت أم رائعة، وسيما فتاة رائعة أيضاً.
اتفقنا؟

- «شكراً. لا شك في أنك على حق». قالت نائلة.

- هذا ما أحاول فعله مع أطفالي. لا يمكنني أنا
وتوم أن نعي تجربتهم لأن لديهم هذا المزيج
الثقافي الجميل، ولذا علينا أن نجد طريقة تناسبنا
وتناسبهم وتناسب ما نؤمن به. لماذا الحياة صعبة
هكذا؟ أعطني كعكة!

ضحكنا جميعاً، وبدأ لي أن صديقتي تشاطراني
شعوري بالخفة والراحة والسعادة.

سألتاني في وقت لاحق عن هاري، فقلت:

- من المقرر أن يمثل أمام المحكمة قريباً بتهمة
الاحتيال والاعتداء أيضاً، فقد تبين لي أن آني،
المرأة التي حلت مكانها في الوظيفة، قد تقدمت
كذلك بشكوى تحرش ضده، لكنهم دفعوا لها
فغادرت.

- لا! قالت نائلة.

- بل أسوأ من ذلك؛ فقد كانت هندية على ما يبدو،
وهاري معروف في المكتب عن ولعه بالآسيويات.
قلت: إن اسم آني الحقيقي هو أنوشكا. حاول إيفان
تحذيري، لكنني لم أستمع إلى نصيحته، لم يعترني
هذا الانطباع عن هاري حتى ليلة حفلة ليزي، ذاك
المكان الذي أظهر فيه لونه الحقيقي حين قال لي

إنني مثيرة فارتجفت؛ وهذا يفسر كذلك سبب كره جوليا الدائم لي. أثارها كانت تعرف بأمر معبودته الهندية؟

- هذا لا يبرر ما قالت في حقك. أنا أسفة. حتى أنا لم أدرك ذلك. قالت سام.

كنت قد شرحت لسام سبب انزعاجي من تعليقات جوليا حول عدم تكلم أُمي الإنكليزية، ومن حديثها الدائم عن «ثقافتني» ومحاولة تمييزي «كمختلفة»، وقد تفهمت سام الأمر فوراً، وقالت إنها لم تكن تدرك قط أن هذه التعليقات تتسبب لي بكل ذاك الضيق، ثم طلبت مني أن أخبرها إذا ما كانت هي أو سواها من داخل دائرتنا قد قال ما شاكل ذلك من دون قصد.

أرسلت جوليا رسالةً إلى سام، فقالت سام:

- لقد عادت إلى نوتينغ هيل، بينما ستعود الفتيات إلى مدرستهن القديمة، ولن تنفصل عن هاري، وتقول إن كل من في المدينة يفعل ما فعله هاري، وأن (HH) جعلت منه كبش فداء، كما تعتقد أنك بالفت في رد فعلك يا فائزة. لا أصدق أنها تجرأت على قول ذلك بعد ما فعله، وخاصةً أن تقول ذلك لي وهي تعلم أنك صديقتي!

فقلت:

- جوليا وهاري يستحق كل منهما الآخر، وأنا سعيدة بذهابهما.؛ قلت.

عندما غادرنا المقهى تعانقنا وبكىنا، وتواعدنا ألا يكون بيننا مزيد من الأسرار من أجل الحفاظ

على صورة رسمها عنا الناس، حتى لو كانوا أقرب
أصدقائنا.

كان توم ينتظرني في المنزل فاستلقيت على
الأريكة، وشعرث بسلام لم أعهده من قبل. لم
أعد مضطرة للتظاهر أنني مثالية. لقد عرف توم
وأصدقائي أسوأ ما في ولم يتخلوا عني، وإنما ظلوا
يحبونني.



بعد ثلاثة أشهر

- أين كتاب قراءتي؟

طالبنا أليكس بأن نوقف كل ما نقوم به لنلبي احتياجاته. تبادلث وتوم النظرات ثم تجاهلناه.

عثرث صوفيا على الكتاب ملقن قرب المحمصة فوضعه في حقيبة أليكس.

تمتث لها «بشكر» فقالت، مزمنة طلبها مع الخدمة التي أسدثها لأليكس:

-أمي، هل أستطيع استعارة سترتك، سترة الكشمير الزرقاء؟ سأكون حذرة حيالها. أعدك بذلك.

-إنها باهظة الثمن يا صوفيا.

- لكنك لا ترتدينها أبداً. لم أشتري الملابس منذ فترة طويلة، ولذا يمكنني استخدام ملابسك.

كانت على حق. لم يعد لملابس الفراشة مكان في حياتي الجديدة.

- حسناً، لكن كوني حذرة حيالها!

عانقتني؛ فقلت لأحمد:

-العمة نائلة ستأخذك إلى منزلها بعد المدرسة يا أحمد.

- هذا رائع! أجب.

ارتديت سترتي وتفحصت موعد وصول الحافلة التالية، فقلت لتوم:

- خمس دقائق يا حبيبي.

- وأنت يا أليكس، ستبقى هناك لأصطحبك اليوم إلى نادي كرة القدم. قال توم وهو يسلم أليكس وجبته الخفيفة في صندوق طعام تشيلسي الجديد.

- أين هو أنموذج معدات كرة القدم الخاص بي؟
سأل أحمد.

- اللعنة! اللعنة! المعذرة. لقد نسيته. انتظر قليلاً.

ركضت صعوداً إلى غرفتي ووجدت الأنموذج الذي تركته هنالك منذ يومين قرب مكياجي، ثم ركضت نزولاً إلى المطبخ وأنا أصرخ:

- قلماً! قلماً! بسرعة!

أعطاني توم قلماً فملاث الأنموذج، وأنا متكئة على الطاولة بينما الجميع مصطفىون استعداداً لمغادرة المنزل.

في الخارج، كانت نائلة مع عادل في انتظار أحمد داخل سيارتها، أما صوفيا فغادرت مع أليكس لإيصاله إلى المدرسة ممسكةً بيده بينما كانت تراسل عبر هاتفها بيدها الأخرى. تجهمت. كان أليكس يحب التحدث في الطريق إلى المدرسة، ثم

رأيت صوفيا تتوقف فتحنني نحو أخيها الصغير وهو يشير إلى شيء ما على الأرض. ارتاح جسدي. رأى توم ذلك أيضاً وابتسم قائلاً:

- إنها فتاة صالحة، بل كلهم كذلك. ما شاء الله!

- «رائع. رائع. من كان يعلم أنك ستحسن الاندماج بثقافتنا! ضحكك.

فاتتنا الحافلة فقررنا المسير نحو المحطة أسفل التل. أجريت مكالمتي الصباحية مع أُمي.

- وعليكم السلام حبيبتي. أنا أستعد لقدم الحافلة لتقلنا.

بدت لي متحمسة إذ كانا على وشك القيام برحلة ليوم واحد إلى إيستبورن، والتي نظمها المجلس كجزء من مخطط نزهة لكبار السن. لطالما أحبا مثل تلك الرحلات.

- أوه! نعم. لقد نسيت. وقتاً ممتعاً! بلّغي أبي تحياتي. في أمان الله!

كانت فرح هي من اكتشفت خدمة المستشفى تلك وبرنامج النقل الخاص بها لنقلهما إلى مواعيدهما، عندما أكون أنا أو هي في العمل. لطالما شعرت بالقلق من عدم وجودي إلى جوارهما بالمقدار ذاته، لكنهما سعيدان حتى الآن، وباتت فرح تساعدني في العناية بهما أيضاً.

عندما أنهيت المكالمة قال لي توم:

- هل لك أن تستمعي إلى خطابي الذي سألقيه هذا الصباح؟ أخبريني إن كان جيداً.

استعرض أفكاره فاقترح عليه بعض التغييرات التي قد تجعل النقاط فيه أكثر وضوحاً.

تمكنا في مترو واطرلو والمدينة من العثور على مقعدين متجاورين شاغرين، فشبكنا أيدينا حتى بلغنا البنك، ثم مضى كل منا في طريقه إلى مكتبه.

اتصل بي توم بعد بضع ساعات؛ وقال:

- هل يمكننا أن نلتقي أمام رويال للصرافة؟

- نعم. أنا مغادرة.

تناولت حقيبتتي، وظفت بالفريق لأعانق أصدقائي مودعةً. قبلتان على الخد لتريزا وسابين وثلاث قبلات لإيفان، ولوحت لديفيد.

- إلى اللقاء يا أطفال! أحسنوا التصرف!

أدركت أن كلاً من تيريذا وإيفان حاولا تحذيري من هاري، لكنني لم أستمع.

- هل ستنتقلين نهاية هذا الأسبوع يا فايضة؟ قالت سابين.

لقد باتوا جميعاً ينادونني باسمي الحقيقي الآن؛ أما «فاي» فبات من الماضي والحمد لله.

- نعم. إنها الخطوة الأولى لي منذ خمسة عشر عاماً! أنا متوترة قليلاً ولكنني متحمسة أيضاً؛ أما الأطفال فيئنون بالطبع!

- أنت شجاعة جداً يا فايضة. قال إيفان.

- شكراً لك إيفان! قد يكون هذا أجمل شيء قلته لي على الإطلاق.

شاركنا تيريزا وسابين ضحكنا، وقلت:

- أراكم جميعاً بعد أسبوع!

بدأتوم وظيفته الجديدة، لكنني لم أرغب في التوقف عن العمل، فلا يزال يتعين علينا سداد القروض، ورغم بيعنا منزلنا لتحرير بعض النقود، إلا أننا لا نزال في حاجة إلى توخي الحذر، فوظيفة توم كانت في البداية عقداً لعامين، كما أن مكافأتي لم تكن عالية كما توقعث رغم أنها مكنتني من إعادة جزء من المال إلى صندوق الطوارئ.

فضلاً عن المال الذي أجنيه، كنت قد أحببت عملي وبرعت فيه فغدوت المستشارة فيما يخص الصناديق الائتمانية التي أراد عملاؤنا إنشاءها لأطفالهم، وذلك أنهم قدروا أنني أم، وفهموا لماذا كانت تلك الأموال أهم أموالهم.

عثرث على تطبيق يخص الميزانية فاستخدمته لتتبع نفقاتي، فأتفقده كلما دخلت متجرأ من المتاجر، فأشرح لباعة ويمبلدون المتعجبين سبب عدم إنفاقي سوى ما يسمح لي به تطبيقي، حتى أنني كنت أستخدمه في متجر الفراشة، كما توقف توم عن مراجعة عناصر بطاقة الائتمان أو تجميع الفواتير مع الميزانيات.

لقد عقدنا ميثاقاً أن يتحدث كلانا فيما نجني وما ننفق من المال، فشعرت في بداية الأمر بالغربة والتوتر، إلا أن المشكلة راحت تتلاشى تدريجياً. كان عملنا يتقدم، لكننا شعرنا الآن أننا نعيش في شراكة

لا في حياتين متوازيتين.

غادرث المكتب وتوجهت إلى البنك، فنظرت إلى الأعلى عندما تجاوزت مطعم سينك. لقد وضعت أنا وتوم باقة زهور هناك للمسكين الذي قفز، وشعرت بطعنة حزن عليه وعلى أسرته، وأدركت مرة أخرى كم كنا محظوظين.

كانت مصابيح عيد الميلاد مضاءة في كل مبنى تقريباً، وكانت المدينة تتألق في شمس الشتاء الباهتة. كان توم ينتظرني، فسألني وقد لفني ومنحني الدفء بعدما كنت أرتجف في هواء شهر ديسمبر البارد:

- ماذا تريد أن تأكلي؟

تبادرت إلى ذهني قائمة بأماكننا المعتادة في المدينة، والتي تقع جميعاً في ناطحات سحاب ذات إطلالات خلابة، أو تقدم طعاماً لذيذاً، لكن فواتيرها الضخمة لطالما أرهبت توم، ثم إنها لا تتفق وتطبيق الميزانية الذي أمتثل له، ولذا خطرث لي فكرة أخرى فقلت:

- ما رأيك بمطعم «الأيام السعيدة»؟

- تبدو لي فكرة مناسبة.

أخذ يدي ودسها في جيب معطفه وقبض عليها بإحكام، ثم مضينا في مسيرنا نتجاذب أطراف الأحاديث المتعلقة بعملنا ومنزلنا الجديد، ففوجئت بالحماس الذي انتابني. كانت بداية جديدة.

لقد تركنا ناطحات السحاب والعلامات التجارية

ذات الأسماء البراقة وراء ظهورنا، وتوجهنا نحو الشوارع الضيقة والأرصفة المتسخة، مروراً بالمقاهي وأكشاك الساندويتش التي تتخللها خدمات نسخ المفاتيح والحلاقين المتجولين. تحولنا إلى سوق بيتيكوتلين مروراً بالأكشاك التي تعرض صفوفاً من السراويل والقمصان والسترات الجلدية.

وجدنا في ركنٍ من أركان مطعم «الأيام السعيدة» طاولةً صغيرةً في ذروة وقت الغداء من يوم الجمعة، وهو متجر رقائق محلي اعتدنا ارتياده حين بدأنا المواعدة.

بعد أن فرغنا من طعامنا هز توم غلب الملح والفلفل وزجاجة الخل العلبة تلو الأخرى، ثم أخذ إحدى يدي في يده فوق مفرش المائدة البلاستيكي الأحمر والأبيض، وقال:

- كان لذيذاً.

- لذيذاً ومثالياً حقاً.

بسطت يدي الأخرى إلى يده، وتأملت أركان المطعم الصاحب بأضوائه الحمراء، وقوائمه المنضّدة فابتسمت لتوم ناظرةً في عينيه. لقد كان محقاً حين قال إننا قد نرتكب الأخطاء، وندخل في شجارات، وتتناوبا التغيرات، لكن حبنا باقي. ضغطت على يديه وامتلات عيناى بالدموع. لا يهمني أين كنا ولا ما مررنا به، وهذا كل ما أحتاج إليه.

راح توم يرسم على راحة يدي حلقات ناعمة كريشة، فشعرت بنفسى أرتعش على مرأى منه، فابتلعت لعابى محاولةً إبطاء عجلة تنفسى مدركةً

أن صدري في ارتفاع وانخفاض، فضحك وقال:
- أظن أنني أعرف تلك النظرة وما سيحدث بعدها.
- أحقاً، أنك تعلم؟ فلنر ما إن كنت مصيباً.
نهضنا معاً وانحنى أحدهما تلقاء الآخر متكئين على
الطاولة الصغيرة المتهالكة.
وتبادلنا القبل.

شكر

شكراً جزيلاً لقراءتك (هل أكذب عليك؟)، فالقارئ مكافأة الكاتب الفضلى، ويسعدني أني شاركتك هذه القصة.

عندما بدأت في كتابة روايتي الأولى، لم تكن لدي أدنى فكرة عن عدد من سيسهمون في وصولي إلى هذه اللحظة الفاتنة، ولذا فأنا ممتنة لهم جداً.

بفضل زملائي الحكماء والطلبة في الماجستير في رويال هولواي: أليسون وكاثرين وميغان وبريسلا وروس وسام وزوي وجوليا. شكراً للجميع في مجموعة الكتابة خاصتي (Curtis Brown Creative)، وأخص بالذكر جيف ولويز وسويثون وويندي وزيل ويان لقضائهم الليالي في قراءة مخطوطتي! لولاكم جميعاً لكانت كتابة هذه الرواية أكثر صعوبةً ووحدةً، وأقل إمتاعاً. أندريا ماسون، شكراً لك على كونك مثلاً ملهماً لكتابتي وحياتي!

أنا ممتنة جداً لأخت زوجي الحبيبة فوزية على تشجيعها وكونها قارئة أولى يقظةً ولطيفةً ومتبصرةً. شكراً لأصهاري الأعزاء على نقاشاتنا الطويلة حول الكتب.

شكر خاص لأبناء إخوتي وبناتهم على تشجيعهم لي، وسهرهم على تلك المحادثات الطويلة حول كتابتي. شكراً لإخوتي وأخواتي الأعزاء على محبتهم ودعمهم الهائلين، واحتفالهم بكل حدثٍ تاريخيٍّ يخصني، وتفهمهم الكبير لغياباتي. شكراً لأخي الذي واظب على حثي على الإسراع بإنجاز

شكراً شيلي وينر، وأنا ديفيس، ونيكي لا لوانا
لإيمانكن بقدرتي على إنجاز الكتاب حتى عندما
لم أكن متأكدة أنا نفسي من ذلك. تقديري لفضل
الدكتور جون موران: لولا مساعدتك ربما ما زلت
أكتب هذا الكتاب!

لقد كان العمل مع لورا بالمر؛ محررتي البريطانية
اللامعة، تجربة رائعة. شكراً لك على حبك للكتاب
منذ البداية وتفهمك البالغ له! أشهد أنك عبقرية
وقد أضفت أفكارك على الكتاب قوة وإشراقاً
بطرق لم أكن أتخيلها قط. شكراً لك على تشجيعك
المستمر ونهجك الهادئ وأسلوبك التعاوني الذي
ذل الصعاب أمامي، وعزز ثقتي بنفسي. أود أيضاً
أن أشكر الجميلة أنا نايتينجيل على دعمها، وشكري
كذلك للجميع في دار النشر الرائعة في المملكة
المتحدة (Head of Zeus) على عملهم الجاد
ودعمهم لكتابي بهذه الطاقة والخبرة والحماس. أنا
محظوظة لوجودكم في فريقتي.

شكراً جزيلاً لمحرري الأمريكي الرائع بيث
ديغوزمان. أنا محظوظة باستفادتي من خبرتك
وشغفك بكتابي ونصائحك التي لا تشوبها شائبة
ولا تقدر بثمن. شكراً لتعاونكم ودعمكم وحماسكم.
أنا ممتنة جداً لفريق الناشرين الأمريكيين الرائعين
في (Grand Central Publishing) على العناية
البالغة بكتابي التي منحتني شعوراً أنه في أيدي
أمنية وخبرة. كما أشكر كيرسيا ماكنامارا على
مساعدتها ودعمها.

أود أيضاً أن أشكر جيني بينت التي دافعت عن

شكراً لأولادي على تفهمهم ودعمهم لأحلامي في الكتابة، وعدم الشكوى من الوقت الذي قضيته مع الكمبيوتر المحمول! أنا ممتنة ليوسف على تشجيعه، ولأسد على نصيحته الثاقبة، ولزويا على مساهمتها القيمة في التحرير، ولإعدادها لفديو عرض تقديمي رائع، ولعناقها المطمئن. أنتم الثلاثة عالمي.

شكراً جزيلاً لجولييت موشنز، وكيلتي النجمة. أنت حليف وشخص استثنائي إذ لم يكن أي من هذا ممكناً أو ممتعاً لولاك. تدهشني طاقتك ولطفك وفطنتك في عملك، ويجعلني إيمانك بكتاباتي أكثر شجاعةً وحماسةً. شكراً لوقوفك معي دائماً، وإعطائي النصائح السليمة، وحلّ المشكلات، وإلهامي فيما يخص الأسلوب، وجعلي أضحك. شكراً لك فقد تحقق حلمي على يديك. أود أيضاً أن أشكر ليزا ديبلوك على رسائل البريد الإلكتروني السعيدة التي قدمتها، وعلى جعلني أشعر أنني بحال جيدة جداً.

لم أكن أعرف كيف أبدأ أو كيف أنتهي لولا والديّ الحبيبين... مشكورين. اعتزازكما بي وحبكما لي كانا راسخين وكبيرين. إن من أعظم الهدايا أن يكون من حولك أناس رائعون وصالحون كوالدي. أبي، يمكنني أن أشعر تماماً بأنك تشجعني. أمي، فرحتك وحماسك في كل خطوة على طريق عملية النشر تعني لي الكثير. أنا سعيدة جداً أننا تمكنا من مشاركة هذه اللحظة معاً، وممتنة للحكمة في تفقد كل شيء واستعراضه.

جزيل شكري لك يا عرفان على حبك ودعمك

المديدين. الشيء الوحيد الذي كنت تريده دائماً هو أن أكون سعيدة، ولما كانت الكتابة تضمن ذلك لي فقد بذلت كل ما في وسعك لمنحي الشجاعة والوقت والمكان لإصدار هذا الكتاب. أشكرك على تقديرك لكتابي عندما لم يكن سوى أفكار عشوائية مبعثرة في رأسي، ولإمساكك بيدي خلال تقلبات تلك الرحلة، فأقول لك على حد تعبير لوحة ساحة ليستر: «أعرف الكثير من الطيبين، لكنك خيرهم.»

ملاحظات نادي الكتاب

١. بنت فائزة رواية (هل أكذب عليك؟) بناءً كلياً على كذبة واحدة، فنرى على طول الكتاب آثار الكذب، ولكن لماذا نكذب؟ هل كنت لتكذب بشأن صندوق الطوارئ أم تخبر توم من البداية؟

٢. ما أخز كذبة قلتها؟ وهل بعض الأكاذيب مقبولة أكثر من غيرها؟

٣. الهواجس المالية من الأسباب الرئيسة للانفصال؛ فكيف للأزواج أن يديروا شؤونهم المالية؟ هل يمكن أن تنجح العلاقات عندما تكون لديكما أساليب مختلفة جداً حيال المال؟

٤. تتعرض علاقة فائزة وتوم للكثير من الضغوطات، لكن هذا لا يعني أنهما لم يواجها تحديات في الماضي؛ فما رأيك في العلاقة بين فائزة وتوم؟ وما الذي يجعل الزواج ناجحاً؟

٥. إلى جانب اختلافات فائزة وتوم المالية، فإنهما كذلك من خلفيات ثقافية وعرقية مختلفة. كيف أثرت خلفيتهما في اتخاذ قراراتهما؟ كيف بدت لك تجربة أطفالهما كثنائيي العرق؟

٦. النساء في الكتاب جميعهن في الأربعينات. كيف تتغير حياة نساء هذه الفئة العمرية؟

٧. «أمهات ويمبلدون» حاضرة بشكل كبير في الرواية وحياة فائزة، ولكن ما مدى تأثير ذلك في حياتها؟ إلى أي مدى يتوقف وضعهن على

راتب الزوج؟ ما رأيك في ذلك في القرن الحادي والعشرين؟

٨. رغم صعوبة الاعتراف علينا، إلا أننا شعرنا جميعاً على الأرجح بالضغط في سبيل «مواكبة الآخرين» في مرحلة ما من حياتنا. ما هي آخر مرة تتذكر فيها أنك شعرت بهذا الضغط؟ هل تعتقد أن الديون على بطاقة الائتمان واحدة من أعراض الضغط الاجتماعي؟

٩. تعرف فايضة أنها ارتكبت خطأ فادحاً بإنفاقها مدخرات طوارئ أسرتها. هل يمكننا التعافي من خطأ فادح وهل يمكن للآخرين أن يغفروا لنا حقاً؟

عن المترجم

أنور عبد الرزاق الشيخ

كان مولدي في محافظة حماة السورية في العام ١٩٨١؛ والتي أتممت فيها تعليمي الثانوي لألتحق بجامعة حلب التي درست فيها علوم اللغة الفرنسية وأدبها، فنلت منها إجازتي في العام ٢٠١٠.

عشقت العربية يافعاً، ثم وجدت في اللغات الأخرى نوافذ مشرعة أطل من خلالها على عالم فسيح من ثقافات الشعوب وأخبارها بما في أدبها من مرارة المآسي، وخلاصات الحكمة التي لا ينبغي لها أن تظل حبيسة الحدود، رهينة الأبجديات، فكانت الترجمة مفتاحي الذي أفتح به أبواب العوالم، ومركبتي التي أجوب تضاريس التجربة البشرية.

تقحمت الترجمة بشغف بالغ في عام ٢٠١٥ فترجمت عدة كتب وروايات، إلى أن كنت على موعد مع حلمي في عام ٢٠٢٢ الذي أثمر عن عملي مع دار ملهمون للنشر والتوزيع، لأجني معها باكورة ثمار نجاحي الذي اعتز به جداً، فكان لي معها:

• قلب من زجاج

• الطين الأبيض

• بعيداً عن الأرض

• مذكرات مراهق برازيلي في ألمانيا النازية

• هل أكذب عليك؟

• روفينا والأسد

• حديقة الأسرار المفقودة

فضلاً عن أعمالٍ أخرى قادمة.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook